ديوان الوقف الشيعي
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم

معاً نتدبر القرآن

بيان مبسط في معنى التدبر وكيفيته
مع نماذج تطبيقية من سورتي الكهف ويوسف

بقلم

الشيخ أركان الخزعلي

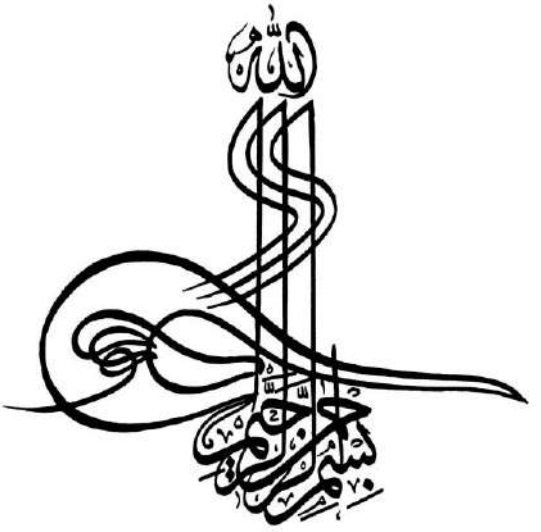
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم

اسم الكتاب: معاً لنتدبّر القرآن
المؤلف: الشيخ أركان الخزعلي
مراجعة وتحقيق وتقريض: الشيخ ضياء بلاسم المنصوري
مراجعة: الشيخ مرتضى عبود مهدي
تصميم الغلاف: مركز الهاشمي للابداع
نشر: دار القرآن الكريم فرع قم المقدسة
المطبعة: زلال كوثر
الطبعة: الأولى ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨م
عدد النسخ: ٥٠٠
جميع الحقوق محفوظة

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

اكد القرآن الكريم في غير آية على تدبر آياته واستجلاء تعاليمه واستيحاء دلالاته من خلال التمعن والتدبر في كلماته وجمله بقصد التأثر والتأثير ببصائره، فإن نور القرآن لا يدخل إلا الى قلب وعى القرآن، وإن نفحاته لا يشعر بها إلا من تأمل كلماته، وإن القلب الذي لا يتفكر في آيات القرآن قلب استولى عليه الظلام حتى عاد كالخربة المهجورة، وان الخروج عن دائرة الغفلة مرهون بالتدبر والتفكر والتذكر بالقرآن، فإنه مائدة القلوب ومرشد العقول وهادي النفوس ومخرجها من الظلمات الى النور بإذن ربها.

وفي سياق تعزيز هذا المفهوم القرآني قامت دار القرآن الكريم فرع قم المقدسة في ظل نشاطها واهتمامها بالمجهود العلمي والتعلمي للقرآن الكريم بتحقيق وتدقيق أحد الكتب المهتمة بمفردة التدبر في القرآن الكريم والتي حملت عنوان: (معاً لنتدبر القرآن الكريم) لمؤلفه سماحة

الشيخ أركان الخزعلي (دامت توفيقاته) حيث بنى الكتاب على قسمين أساسيين: أحدهما: في بيان مفهوم التدبر ومستوياته وأقسامه ونظائره. وثانيهما: في تطبيق هذه الدراسة على سورتي الكهف ويوسف.

وهو كتاب جدير بالاهتمام والطباعة لافتقار المكتبات لمثل هذه الدراسات القرآنية.

وقد شاطرت دار القرآن الكريم بكادرها العلمي والفني مع مؤلف الكتاب العمل على هذه الدراسة وتقويمها لتكون مؤهلة كخطوة طيبة في هذا المضمار لتفتح آفاقاً رحبة للباحثين والمهتمين لتعميق مثل هذه الاهتمامات وتطويرها، سائلن المولى القدير أن يوفقنا لخدمة الكتاب والعترة وأن ينير دربنا بهديهما وبصائرهما إنه ولي التوفيق.

دار القرآن الكريم فرع قم المقدسة

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع

إلى سيدي ومولاي صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

سائلاً الباري عزّ وجلّ أن يجعلنا من أنصاره وأعوانه

والمستشهدين بين يديه، إنّهُ سميعٌ مُجيب.

الشكر والتقدير

أتقدّم بشكري الجزيل إلى السادة والمشايخ الأفاضل من أساتذتي وزملائي، وكل من أعانني وشجّعني على هذا المشروع، خدمةً للإسلام الحنيف وكتابهِ المُبارك، ولجمهور القرّاء الأعزّاء، كما أُقدّم شكري الخاصّ إلى سماحة الشيخ طلال الحسن[1] والشيخ ضياء المنصوري[2] على متابعتهم وتقريضهم للكتاب، وإلى الدكتور علي جميل[3] على التصحيح اللغوي، فجزاهم الله جميعاً خيرَ جزاءِ المحسنين.

راجين للجميع دوام الموفقيّة والسداد

(١) دكتوراه في علوم القرآن الكريم، وأستاذ وعضو في الهيئة العلمية لجامعة المصطفى العالمية ـ قم المقدّسة.

(٢) باحث إسلامي، ومسؤول القسم العلمي في دار القرآن الكريم في قم المشرفة ـ العتبة الحسينية المقدّسة.

(٣) دكتوراه في اللغة العربية، وأستاذ في كلية الآداب – الجامعة المستنصرية – بغداد.

كلمة الشيخ الدكتور طلال الحسن (دام توفيقه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين على الرغم من أنّ كتب التفسير قليلة بالقياس إلى كتب الفقه وأصوله إلّا أنّها كثيرة بالقياس لما كُتب في مجال التدبّر في القرآن الكريم، وإذا ما لاحظنا ما كُتبَ في مجال التدبّر سنجد أنّ معظمها لم تعِ معنى التدبّر في القرآن حتى أنّ الكثيرَ منها تعتبر أنّ التفسير والتدبّر معنيان مترادفان، أو أنّ التدبّر: هو مرتبة من مراتب التفسير مع أنّ قريشاً لمّا كان يوجهها القرآن بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤] لم تكن محتاجة إلى تفسير الآية، ولا إلى تفسير القرآن، وإنّما كانت بحاجة إلى التدبّر في معانيه، (بمعنى النظر في مقاصده، والعمل في ضوئه).

ولذلك صار من اللازم علينا دعم كل كتاب، أو بحث، أو مقالة يُحقق فهم معنى التدبّر في القرآن، ويعمل في ضوئه. وقد جاء هذا الكتاب المختصر المفيد(**معاً لنتدبر القرآن**) للشيخ المهذّب أركان الخزعلي

منسجماً مع المعنى المطلوب من التدبّر سواء في فصله النظريّ، أو التطبيقيّ، وسيجدُ القارئ الكريم متعة علميّة وجذباً معنوياً في الكثير من سطور هذا الكتاب التعليمي. والتوجيهي لواحدة من أهمّ مفردة من مفردات القرآن وهي مفردة التدبّر.

وفي الوقت الذي أُثني فيهِ على صاحب هذا الكتاب أتمنّى عليه أن يواصل الطريق في رحلة التدبّر في القرآن لينتفع به الناس فذلك خيرٌ وأبقى ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

الدكتور طلال الحسن

قم المقدّسة

٢٣ / محرم / ١٤٣٨ هـ

تقريض الشيخ ضياء بلاسم المنصوري (دام توفيقه)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

من الحقائق النورانية التي ترتقي بالإنسان مدارج الكمال وأوج المعرفة، حقيقةُ التدبّر في آيات القرآن الكريم.

فالحقائق النورانية، واللطائف والإشارات الباطنية في القرآن كنوزٌ خفيّةٌ لا يطّلع عليها إلّا المتدبّر في آياته، ولا تنكشف إلّا للمتأمّل في نصوصه. وإنّ مفتاح المعارف الدينية والوقوف على المعاني والدلالات الربانية يكمن في تدبّر المفردة القرآنية بما يكتنفها من ظروف وشرائط وفق أسس علمية.

ولا يخفى أنّ لدعوة القرآن إلى التدبّر وقعاً في نفوس حملته تشحذ الهمم فيهم؛ لبذل الوسع والجد في استنطاق معانيه، واستظهار دلالاته، واستجلاء مفرداته، لتكون مقدمة للعمل بها ولتأطير السلوك بمحتواها، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

والتدبّر ليس المقصود لذاته، بل هو وسيلة للتوصل إلى الحقائق والمرادات القرآنية، من أجل أن تدخل الفكرة في وعي الإنسان؛ لتقوده بالتفاعل إلى العمل بها.

ولذا يحتاج التدبُّر إلى أجواء من صفاء النفس، وسموّ الذات، والحرية الفكرية، والدِّينية، للإفصاح بالمعاني والحقائق المتوصل إليها بواسطة التدبُّر على المستوى النظري على أدنى تقدير. وأنّ القيود والتحديدات الفكرية والدِّينية والأفهام المكبَّلة بضرورات اجتهادية تضرب طوقاً وأطراً محدودة في

تثوير آيات القرآن ولا تفسح مجالاً رحباً أمام المتدبّر، بل تحجم مساحة الفهم والإدراك للمعارف القرآنية. وهذا ما يجعل التعامل مع آيات القرآن تعاملاً سطحيّاً، وألفاظه مُهملة، ومعانيه متروكة لا حراك فيها، تعيش عزلةً في المنظومة الدينية بعيدة عن ملامسة الواقع، أو مناغمة له.

في حين أنّ تعاليم القرآن جاءت لتخُطّ منهجاً ربانياً يقيم للناس أوَدُّ حياتهم ويخرجهم من ظلمات الجهل والانحراف إلى نور العلم والبصيرة.

وقد جاء الكتاب الماثل: (**معاً لنتدبر القرآن**)، لسماحة الأخ الموفق صاحب الخُلق القرآني الرفيع الشيخ أركان الخزعلي، رافداً من روافد تعميق الوعي والتدبُّر القرآني، وقد أطلعنا على مضامينه ووجدناه كتاباً مفيداً، ونافعاً، ومستوفياً للمضامين في مفردة التدبُّر على مستوى من خوطب به، وكتبه بأسلوب مبسط شيّق، خالٍ من التعقيد والإطناب والترف الفكري، مع اشتماله على نماذج تطبيقية يحاكي فيها الفئات العمرية المتوسطة من المثقّفين، بل وطلاب المعاهد والجامعات، وقد أبدينا ملاحظات علمية وفنية على الكتاب أثناء سبر سطوره، وضعناها بين يدي المؤلّف؛ لإنضاج مشروعه التدبّري في القرآن، وقد أبدى المؤلّف استعداداً وسعة صدر كبيرَين في إصلاح الكتاب، حتى كان بهذه الحلّة القشيبة.

ونحن إذ نبارك لسماحته هذه الخطوة السديدة ندعو له بالتوفيق لإكمال هذا المشروع في تأليفات أخرى، خدمة للقرآن وتعزيزاً للعمل به، إنّه ولي التوفيق.

الشيخ ضياء المنصوري

٢٧ / ربيع الثاني / ١٤٣٨ هـ

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزلَ الفرقان على عبده ليكونَ للعالمين نذيراً، والصلاة على من جعله شاهداً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، وعلى آله الذين أذهبَ عنهم الرجسَ أهل البيت وطهّرهم تطهيراً.

أمّا بعد:

فنبدأ حديثنا من كلامٍ للإمام الحسين عليه السلام حيث قال: «**كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء..على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوامّ، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء**»[1].

فالقرآن بمنزلة مائدة نازلة من الحقّ إلى الخلق، مشتملة على أنواع الرزق، والكلّ يتزوّد منها، ولكن كلٌّ بحسبه، فقد أنزلَ الله تعالى القرآن لتأديب الخلق، ومعرفة الحقّ، والاهتداء بالسُبل لتنوير القلب والعقل، وحيث أمرنا الله تعالى بتدبّر القرآن للوصول إلى عمق معارفه، ذكر التدبّر في أربعة مواضع، قال تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء: ٨٢]، و﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾ [محمد: ٢٤]، و﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ**

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥، ص٢٧٨ .

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، و﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وكذلك وَرَدَ الحثّ على التدبّر في روايات أهل العصمة عليهم السلام فقد جاءَ عن أبي عبد الله عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**...لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر**»[1]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:«**تدبّروا آيات الله، واعتبروا فإن فيها أبلغ العبر**»[2].

فالتدبّر ما هو إلّا فيضٌ من فيوضاته سبحانه، ونهرٌ عذبٌ من أنهاره يروي بها عقول وقلوب عباده لفهم مراد كلامه، للولوج في بحر معرفته التي من أجلها خُلِق الخَلق.

وقد يتبادر إلى الذهن سؤالٌ لأوّل وهلة حاصلة: ما المقصود من التدبّر؟ وما هو السبيلُ إليه؟ لكي يتحقق الامتثال لأمر الله عزّ وجّل بتدبّر آياته؛ لذا شرعتُ بالكتابة في هذا المجال وإعطاء رؤية واضحة عن مفهوم التدبّر وكيفيته، وهي الخطوة الأولى ضمن مشروع **(معاً لنتدبّر القرآن)**، كتبته لعموم المسلمين، ولكل قارئ للقرآن.

وأستطيع أن أقول: أنّ هذا الكتاب مرَّ بثلاث مراحل طويلة، فالأولى: تولّدت فكرته، بعد عام (٢٠٠٧م) بقليل، حيثُ خَدَمَتنا الأجواء وظروف

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٦ .

(٢) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم: ص٣١٨ .

العزلة والتوجّه والعيش في رحاب القرآن وتلاوته وضبط أحكامها، ثمّ مطالعة الكثير من كُتب التفسير المأثورة، وغير المأثورة، وبعدها الانتقال إلى التدبّر وممارسته، والتأمّل في معظم آيات القرآن الكريم، ثمّ تَركتُ المشروع لفترة ليست بقصيرة، بسبب انشغالي في التحصيل العلمي لمرحلة المقدمات في حوزة النجف الأشرف، فلم أُوفق في حينها لإخراجه إلى عالم الوجود، ولأسبابٍ كثيرة، من أهمها: عدم توفّر المختصّين الذي يسهّل علينا مراجعتهم، أو التتلمُذ على أيديهم، وعدم امتلاكي الخبرة الكافية لترجمة الأفكار والتأمّلات لتظهر بشكل عبارات منظمّة ومنسّقة في كتاب.

أمّا المرحلة الثانية: كانت عند بدء العمل بكتابة سطوره وتنظيم عباراته تحت دعم الإخوة الزملاء والأساتذة الأعزّاء من المهتمّين بالشأن القرآني في حوزة قم المقدّسة، حيث استَغرَق ذلك فترة ليست بوجيزة.

وأمّا المرحلة الثالثة: تمثلت في عرضه على اللجنة العلمية في دار القرآن الكريم التابعة للعتبة الحسينية-فرع قم- وقد رسموا لي منهجية وأُسساً تنسجم مع الضوابط العلمية والفنّية في فنّ الكتابة والتأليف، سواء في هذا الجزء من المشروع، أو في الأجزاء اللاحقة إن شاء الله، واستمر العمل والتعاون معهم مدّة ليست بقصيرة أيضاً، مُستفيداً من كل ملاحظاتهم. آملاً أن يحقّق جهدي هذا خدمة متواضعة للقرآن الكريم.

وعلى ذلك تناول الكتاب مستويين من التدبّر. مستوى قد توخّيتُ فيه

الوضوح ما استطعت، ليستفيدَ منهُ عوامّ الناس من الذين أعرضوا عن قراءته فضلاً عن تدبّره، ومستوى لمن كان لهُ نصيبٌ من قراءة القرآن، لكنّهُ لم يستشعر عظمته[1]؛ ليُعالج بذلك الهجران والإعراض عن كتاب الله تعالى، وهذا الهجران يصدق على أيّ مرتبة من مراتب القرآن، والتي منها التدبّر في آياته: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ **[الفرقان:٣٠]**.

على الرغم من أنّ الذين هجروا تلاوته، أو الذين يتلونه من غير تدبّر يؤمنون إيماناً نظرياً بأنّ هذا القرآن هو كتاب هداية ونور، ولكنّهم لم يصلوا إلى كيفية شمول أحكام القرآن لكل القضايا: الاجتماعية، والاقتصادية، والأمنية، والسياسية، وغير ذلك.

فعدم تدبّر القرآن، يؤدي إلى عدم اليقين بوجود تفصيل لكل شيء فيه، أو عدم وجود منهج له، أو حلٍّ لكلّ مشكلة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ **[النحل:٨٩]**، مما جعل الكثير من مجتمعاتنا المسلمة تضطرب حياتهم بكل مفاصلها.

ومن هنا رأينا من الواجب تقديم رؤية واضحة، ومبسطة عن مفهوم التدبّر وكيفيته، والبحث في هذا الحقل القرآني، وبعد أن وجدنا المكتبة الإسلامية خالية من إشباع هذا الموضوع المهم، وكذلك لكي نكون في

---

(١) ستتضح تلك المستويات في الفصل التطبيقي من الكتاب.

عِداد المتدبّرين في القرآن، الخارجين عن الذين وصفهم الله تعالى بأصحاب القلوب المقفلة، كما في قوله تعالى:﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وحيث أنّ الكتب التي أُعدّت، وطُبعت سواء كانت في الفقه، أو العقائد، أو الأخلاق، وغيرها، هي لهداية الناس وارشادهم، كذلك هدفنا من هذا الكتاب، والله يهدي لدينه من يشاء، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس:١٠٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

***

التمهيد

- تقسيمات البحث
- بيان مفهوم التدبر
- موضوع التدبر
- الثمرة من التدبر

تقسيمات البحث

التمهيد:

يتضمّن بيان مفهوم التدبّر، وخلاصته: هو المَسّ القلبي للقرآن، فيحصُل التفاعل مع الآيات، ثمّ الامتثال لها، وذلك غير منحصر بفئة معيّنة، بل هو لعامّة الناس. وموضوعه: آيات القرآن الكريم. والثمرة المترتّبة منه: الحياة السعيدة بامتثال أمر الله عزّ وجلّ واتّباع الرسول ﷺ، فهو برُّ الأمان، والنجاة من ظلمات الدنيا وعذاب الآخرة.

***

الفصل الأوّل: الجانب النظري في التدبّر، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل ـ فيه ستة مسائل في مقوّمات التدبّر: من ذِكر ضوابطه، والفرق بينه وبين المعاني التي قد يُتوهّم مرادفتها له، ومراتبه، وآداب المتدبّر في آيات الله تعالى، وكذلك العلامات الحاصلة للمتدبّر، والإشكالات التي يتوقّع أن تواجه مفهوم التدبّر وكيفيته، والردُّ عليها.

المبحث الثاني: قدّمنا فيه نماذج تطبيقية لبعض الآيات المختلفة بِكلا مرتبتي التدبّر الظاهري والباطني لتكون أُنموذجاً لتعلّم التدبّر.

المبحث الثالث: بيّنا فيه المنهج والأسلوب الذي اتبعناه في التطبيق، وتقديم الأطاريح، سواء في سورتي الكهف ويوسف، أو ببقية القصص القرآنية إن قَدّرَ لنا الله تعالى تقديمها، وخلاصة هذا المنهج هو: أنّنا نُقدّم

أيّ فكرة، أو خاطرة تَردنا حول القصص القرآنية ولم تكن مخالفة للقرآن، أو أنّها مخالفة لِسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام، مع ذكر الشواهد والقرائن عليها، مُركّزين فيها على جوانب مختلفة من قبيل المواعِظ الأخلاقية، وحلّ المشكلات الاجتماعية، وذكر النكات أو المضامين الجديدة، وربطها بواقعنا الحالي، وكل همّنا وجّل اهتمامنا خدمة القرآن الكريم مستمدين العون من الله سبحانه.

***

الفصل الثاني: الجانب التطبيقي في التدبّر، وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل– سورة الكهف، وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: في معاني مفردات السّورة.

والمحورالثاني: في أطاريح ثلاث حول قصص السّورة.

الأولى ـ ربط القصص الأربعة في السّورة بفتن الدجّال حيث أنّ كل قصّة منها تُمثّلُ فتنةً من فتنِ الدجالِ.

والثانية ـ ربط قصص السّورة بالمراحل الأخلاقية: **(التخلّي، والتحلّي، والتجلّي)** حيث أنّ كل قصّة تُمثّلُ مرحلة من المراحل المذكورة.

والثالثة ـ ربط قصص السّورة بالأسفار القلبيّة وبيان المنهج والطريق لمريدي السير والسلوك إلى الله تعالى. ونكون بذلك قدّمنا ثلاث مستويات من التوضيح والبيان، فالقرآن كالبحر له عدّة مستويات، فمن دخل البحر لابدَّ له من السباحة في المستوى الأوّل، وهو سطح البحر، أو الغوص في المستوى الثاني؛ لمعرفة أسراره، وهو عمق البحر، أو الغور

في المستوى الثالث؛ لاقتناءكنوزه، وهو قاع البحر. وكلّها موصِلة إلى برّ الأمان، لتكون شاملة لعامّة الناس باختلاف قدراتهم، على الرغم من أنّ القرآن أعظمُ من البحر، بل أعظم من المحيط الذي لا ساحل ولا نفاد له: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [**الكهف: ١٠٩**].

المحور الثالث: في فوائد عامّة مستنبطة من عموم السّورة.

***

المبحث الثاني: في سورة يوسفعليه السلام، وفيه ثلاثة محاور:

المحورالأوّل: في معاني مفرادت السّورة.

المحور الثاني: في أطروحتين حول السّورة.

الأولى: في بيان مقامات التائبين، حيث اعتمدنا على قصّة السيدة زليخا، وربطها بواقع كل شخص منّا، فقد يُخطئ، ثم يتوب وتُحسَن عاقبته كالسيدة زليخا، ويصل إلى ساحة قبول إمام زمانه، كما وصلت إليه السيدة زليخا.

والثانية: في ربط قصّة النبيّ يوسفعليه السلام بقضية مولانا الإمام الحجة صاحب العصر والزمانعجل الله فرجه الشريف، وذكرنا فيها أوجه التشابه حسب ما وردت في الروايات الشريفة، وبيّنا النكات، والمواعِظ، والفوائد من معرفة إمام الزمانعجل الله فرجه الشريف، وكما وَرَدَ: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة**

جاهلية»[1].

المحور الثالث ـ في فوائد عامّة حول عموم السّورة.

كذلك استعملنا أسلوب التخطيط في بعض الأطروحات؛ لتسهيل فهمها، أو لتكون بمثابة خلاصة لها.

وقد تَبيّنَ لنا بعد إتمام البحث أنّه مهما كتبنا، أو كَتَبَ غيرنا في هذا المجال، فلن يُحقق المطلوب، والصواب هو: أنّ كل إنسان لابدَّ له أن يغترف بنفسه من العين الصافية، وأن ينهل من النّبع بحسب سعة وعائه، كما قال تعالى: ﴿ **أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا** ﴾ **[الرعد: ١٧]**، فإنّ من شأنه تعالى هو العطاء والإمداد، يُمِدّ كل من يحتاج إلى إمداده ويُعطيه ما يستحقه: ﴿ **كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾ **[الإسراء: ٢٠]**، فعطاءهُ غير ممنوع من قبله تعالى، فمن بحثَ وبذلَ جهده فسَيجِد، سواء كان ظاهرياً، أو باطنياً، وبمختلف المستويات. نعم؛ القرآن بحرٌ موّاج لا نهاية لحقائقه ومعارفه ومعانيه، والذي يمكن أن يدرك حقائق القرآن كما هي، هم أهل البيت وأهل العصمة والطهارة عليهم السلام، الذين هم نفس القرآن.

وهذه هي الخلاصة والفكرة العامّة للكتاب، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً، وأن يرزقنا العلم، والعمل به، إنّه حميدٌ مجيد.

---

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ج٢، ص٤٠٩ .

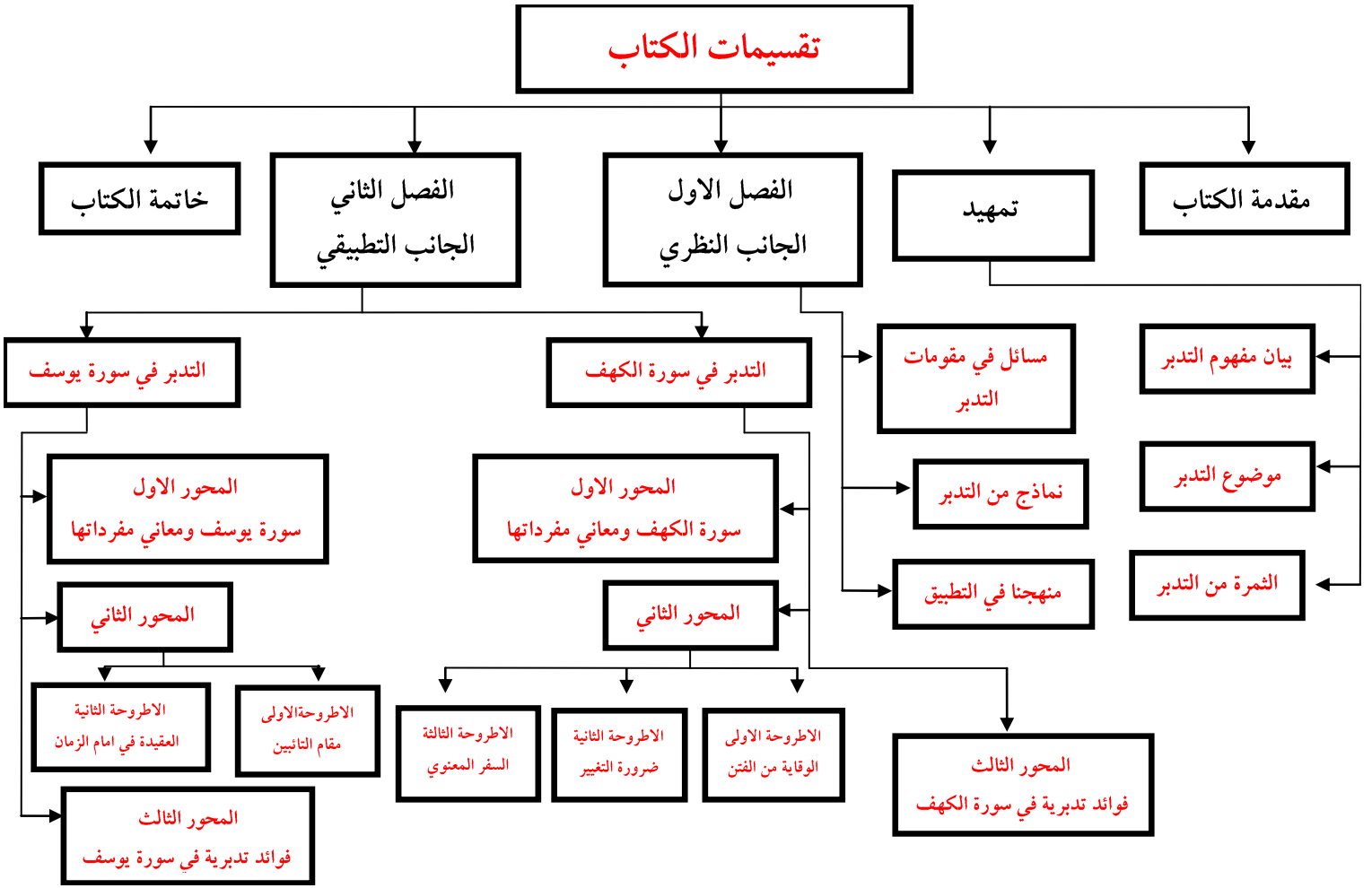
تقسيمات الكتاب
مقدمة الكتاب
تمهيد
الفصل الاول
الجانب النظري
الفصل الثاني
الجانب التطبيقي
خاتمة الكتاب
بيان مفهوم التدبر
موضوع التدبر
الثمرة من التدبر
مسائل في مقومات التدبر
نماذج من التدبر
منهجنا في التطبيق
التدبر في سورة الكهف
المحور الاول
سورة الكهف ومعاني مفرداتها
المحور الثاني
الاطروحة الاولى
الوقاية من الفتن
الاطروحة الثانية
ضرورة التغيير
الاطروحة الثالثة
السفر المعنوي
المحور الثالث
فوائد تدبرية في سورة الكهف
التدبر في سورة يوسف
المحور الاول
سورة يوسف ومعاني مفرداتها
المحور الثاني
الاطروحةالاولى
مقام التائبين
الاطروحة الثانية
العقيدة في امام الزمان
المحور الثالث
فوائد تدبرية في سورة يوسف

بيان مفهوم التدبّر

التدبّر لغة:

١ ـ «دُبُرُ كلِّ شيء خلاف قبله، ويقال للقوم في الحرب: ولّوهُم الدُبُرَ، وَأَدبارَ السُّجُودِ، أي: أوآخر الصلوات، وَإدبارَ النُّجُومِ عند الصبح في آخر الليل، ودَبَرَ يَدبُرُ دَبراً، أي: تبع الأثر، وقطع الله دَابِرَهُم، أي: آخر من بقي منهم». [١]

٢- «الدُّبرُ والدُّبُرُ: الظَهرُ، خِلافُ القُبُلِ، وَدُبرُ الأَمرِ ودُبرُهُ: آخره، وَدَبَرَ الرجلُ: ولَّى وشَيَّخَ، ودَبَرَ بالشيء: ذَهَبَ به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾، أي: تَبعَ النَهَارَ قَبلَهُ». [٢]

٣ ـ «دَبَرَ الأمر وتَدبّره: أي: نظر في عاقبته، وعرف الأمر تدبّراً، أي بآخره، فتدبّر الكلام، أي: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرّة بعد مرّة». [٣]

٤ ـ «تَدبَّرُ القول: النظر في عاقبته، ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾[٤] أي: لم يتفهّموا

---

(١) الفراهيدي، خليل بن أحمد،كتاب العين: ج٨ ، ص ٣١ .

(٢) الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح: ج٢ ، ص ٦٥٢ .

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٤ ، ص٢٧٣ .

(٤) سورة المؤمنون: ٦٨.

ما خوطبوا به»[1].

التدبّر اصطلاحا:

ذَكَرَ العلماءُ والمفسّرون والباحثون معنى التدبّر. ولو تأمّلنا فيما ذكروه من تعريفات على اختلافها نجد أنّها متضمّنة لمعنى واحد، وهو: النظر في أوآخر الأمور والتأمّل فيها والتأثّر بها. وإليكم بعض الارآء لعلمائنا المعاصرين:

١ ـ جاءَ في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ **[النساء: ٨٢]**.

أنّ التدبّر هو: «أخذُ الشيء بعد الشيء، بمعنى التأمّل في الآية عقيب الآية»[2].

٢ ـ جاءَ في تفسير الآية السابقة أنّ التدبّر: «بمعنى التأثّر، والمقصود منه التأثّر في الإعجاز والآيات»[3].

٣ ـ جاء كذلك في تفسير نفس الآية أنّ التدبّر: «من مادّة دَبَر، وهو مؤخّرة الشيء، وعاقبته، بمعنى: البحث عن نتائج آثار الشيء **(أي: التحقق في نتائج الشيء)**»[4].

---

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٢، ص٢٦.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٥، ص١٩.

(٣) مغنية، محمد جواد، تفسير الكاشف: ج٧ ، ص٧٤ .

(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٦ ، ص٢٩٣.

٤ ـ التدبّر هو: «التفكّر الشامل الواصل إلى أوآخر دلالات الكلام، ومراميه البعيدة»[١].

وحيث أنّنا لم نجد تعريفاً واضحاً ودقيقاً في ما يخصّ التدبّر في آيات القرآن الكريم من حيث اللغة والاصطلاح، أو ما هو المقصود من عواقب الأمور، أو أدبار الآيات، أو مقاصدها؟! سواء في أقوال أهل اللغة: حيث ذكروا أنّ التدبّر مأخوذ من النظر في أدبار الشيء وعواقبه ونهاياته، أو ما تلخّصت في أقوال أهل الإصطلاح بأنّ التدبّر بمعنى: النظر في عواقب الأمور والتأثّر بها. فإنّ ما ذكروه كان عامّاً ومجملاً، ولعلّ مرادهم بلفظة (الكلام، الشيء) فيما يخُصّ آيات القرآن الكريم وغيرها كالأحاديث والروايات وحتى الكلام المتداول بين الناس؛ لأنّ لفظة الشيء أعمّ من أن تكون كلاماً. وهو بعيد عما نريد فهمه بخصوص التدبّر في آيات القرآن الكريم وهي كلام الله تعالى لا غير، فتبقى تلك التعريفات بنظرنا تحتاج إلى توضيح، وإن ذَكَرَ بعضهم خصوص آيات القرآن، لكنّهم لم يوضّحوا ما هو المقصود بأدبار الآيات، أو مراميها ومقاصدها، أو ما هو التأمّل والتأثّر بها، وما إلى ذلك.

لذا يُمكن لنا أن نُحرّر مفهوم تدبّر القرآن بمعنى مختصر بإذن الله تعالى، وذلك بعد أن نتأمّل بقوله سبحانه: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾ **[محمد: ٢٤]، بمعنى:** وجود قياس استثنائي يقع بين الإثبات

(١) الميداني، عبد الرحمن حنبكة، قواعد التدبّر الأمثل: ص٤ .

والنفي وهو: أنّ الإنسان إمّا متدبّرٌ للقرآن، وإمّا قلبه مُقفل لا يتدبّر كلام الله تعالى، فنجد أنّ التدبّر القرآني في الآية الكريمة جيء به مقابل القلوب المقفلة، ومن منطلق معرفة الأشياء بأضدادها، فإنّنا لو عرفنا معنى القلوب المقفلة لاتّضح لنا التعريف القرآني لمعنى التدبّر على وجه الدقّة، فقد جاءَ في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ**﴾ [**محمد: ٢٤**] قال: «**إنّ لك قلباً ومسامعاً، وإنّ الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]**»[1].

فاتضح لنا معنى القلوب المقفلة: (**ختم مسامع قلبه**) ويقابله (**فتح مسامع قلبه**)، وبفتح مسامع القلب يحصل المسّ القلبي لآيات القرآن، فيقف عليها ويتفاعل معها، ليمتثل لأمر الله عزّ وجّل وهو معنى التدبّر.

وبعبارة أخرى: أنّ التدبّر هو: **المسّ القلبي لآيات القرآن الكريم، بالوقوف عليها، والتفاعل معها بإستنطاقها**[2]**، واستخلاص الحقائق القرآنية من حِكم، ومواعِظ، وحلول لمشاكل إجتماعية واقتصادية ونحوها، ثمّ الامتثال لما يُريده الله جلّ جلاله.** ومعنى المسّ القلبي

---

(١) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن: ج١، ص ٢٠٠ .

(٢) الإستنطاق بمعنى: طلب النطق، أو: عدّه ناطقاً ومبيّناً لكل شيء. أنظر: القزويني، الملا خليل، الشافي في شرح الكافي: ج١، ص ٥٢٠.

للآيات: هو حضور القلب بخشوعهِ عند تلاوة **الآيات القرآنية**. ومعنى الوقوف على الآيات: **هو الرجوع لمعاني القرآن في كتب التفسير وما قُبِلَ فيها**. ومعنى التفاعل مع الآيات: **هو التفكير المعمّق في أبعاد الآية المختلفة وبجميع الجهات، لاستنطاقها في مختلف المواقف الحياتية، ومعرفة الأمر القرآني حول أيّ موقف منها، سواء ما تمّ التفاعل بظاهرها، أو بباطنها على حد سواء.** والمقصود بالظاهر: هو التأثّر في نفس ظاهر الآية وانعكاسها على القلب[1]، وأمّا المقصود من الباطن: فهو استخراج مفاهيم عامّة تتطابق مع حال المتدبّر على الصعيد الشخصي، أو المجتمعي، ولا تتعارض مع ظواهر الآية كما سَيَجيء بيان ذلك أكثر في المباحث اللاحقة إن شاء الله تعالى[2]. وأمّا معنى الامتثال للآيات: هو ما يشمل العمل والسلوك، وتطبيق ما أمرت به ونهت عنه الآيات القرآنية.

وحاصِلُ التعريف موصِل إلى عواقب، وأدبار، ومقاصد الآيات، وهو ثمرة الإيمان وعاقبة التدبّر.

خلاصة معنى التدبّر:

أنّ العامل الرئيسي للتدبّر هو القلب، على أساس تَقلُّب ذلك القلب في الميدان القرآني خلال عملية التدبّر، فحضور القلب عند التلاوة يجعلك تتفاعل معها، ومن ثمّ أخذ العِبرة منها، ثمّ الامتثال لأمر الله عزّ

---

(١) سيأتي بيانه في مبحث ضوابط التدبّر: ص٤٧، وفي مبحث نماذج من التدبر الظاهري: ص٧٩

(٢) سيأتي بيانه في مبحث ضوابط التدبّر: ص ٤٩، وفي مبحث نماذج من التدبر الباطني: ص٨٢

وجلّ وهو مقصد القرآن. وعلى هذا الأساس **يتّضح لنا:** أنّ التدبّر هو المَسّ القلبي للقرآن وهو منسجم مع قوله تعالى: ﴿**لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ**﴾ **[الواقعة: ٧٩]**. ولا يحصل المَسّ القلبي إلّا بتطهيره من الشوارد والزوائد التي تجعله يسرح خارجاً عما يتلوه، أو يسمعه من القرآن، حتى يبقى قلب القارئ يدور في ساحة المعاني القرآنية، وإذا أصبح القلب قلباً قرآنياً، مستعدّاً لاستشعار عظمته، ومسّ حقائقه، عندها سيُسقى شراباً طهوراً ﴿**وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾ **[الإنسان:٢١]**، والساقي هو (رَبُّهُمْ) و(شَراباً طَهُوراً) فهم معانيه، وإدراك حقائقه، وهي رحمته جلّ ثناءه في قوله تعالى:﴿**وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ **[الأعراف: ٢٠٤]**. وهدايته سبحانه، كما في قول الإمام **«إنّ الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه»**[1]. وعندها سيدخل في عِداد المتدبّرين إن شاء الله تعالى.

وبمعنى آخر: أنّ تطهير القلب هو الوسيلة لتدبّر القرآن، وليس معنى التدبّر هو المعنى المتداول الذي يفهمه الكثير من المسلمين، باعتقادهم أنّه تفسيرٌ، أو هو تأويلٌ للقرآن، وذلك مختصّ بفئة معينة، ولا يعذر عامّة الناس من التدبّر بحجّة عدم استطاعتهم فهم القرآن بمستوى التفسير، أو التأويل، فهذا هو الخطأ في فهم التدبّر، فهجر تدبّر القرآن ما هو إلّا خطوة من خطوات الشيطان ومصيدة ليوقع العبد بها، ليمنعه من

(١) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن: ج١، ص ٢٠٠.

تدبّر القرآن الموصِل إلى امتثال أوامر الله تعالى.

فيا إخوتي ها هو النبيّ صلى الله عليه وآله يحُثّنا على تدبّر القرآن، ويشكو من هجرانه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ **[الفرقان: ٣٠]**.

وها هو أمير المؤمنين عليه السلام يقول لنا: **«لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر»**[1]، بمعنى: لا تكون التلاوة تلاوة وهي خالية من التدبّر، فلابدَّ أن يكون مع التلاوة تدبّر، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ **[ص: ٢٩]**.

***

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٦ .

موضوع التدبّر

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١].

من حقوق القرآن الكريم تلاوته وتدبّره والعمل به، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

والعجب كلُّ العجب ممّن يُعرِض عن تدبّر القرآن، ويجعله وراء ظهره، ويكتفي بالتبرك بقراءته، وينسى أنّه كتاب هداية ودستور عملي، نعم ؛ وَرَدَت روايات كثيرة في أجر وثواب قراءة القرآن الكريم لكل سورة، بل لكل آية وكل حرف، وآيات تُرشِدُنا وتأمُرنا بقراءته، والإنصات إليه عند سماعه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ولكن هذا ليس هو الحدُّ الذي ينبغي أن يقف عليه المسلم، وإلّا كيف يكون القرآن حبلاً متيناً يقود المسلم إلى النجاة والحياة الحقيقية! كما قال النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: **«كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض»**[1] أي: إن تمسّك المسلم بأحد طَرَفي

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ج١، ص٢٣٥.

الحبل وهو القرآن ستُفاض عليه الألطاف والأنوار الإلهية التي تقوده إلى الصلاح والفلاح.

إذن؛ أهمّ ما ينبغي فعله هو: التمسّك في القرآن بقراءته، أو سماعه، ثمّ تَدبُّره، وذلك هو معنى تعظيم القرآن، كما عَظّم سبحانه كتابه، ووصفه بعِدّة صفات منها: قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: ١].

وقوله تعالى: ﴿يسٓ ۞ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يس:١، ٢].

وقوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۞ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۞ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۞ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٧، ٨٠].

وأوّل الخلق تعظيماً لكتاب الخالق هو نبيّه ﷺ، الذي أُمِرنا باتّباعه والاقتداء به، حيث كان يتلوه ليلاً ونهاراً ويتدبّر آياته، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر**»[1] ، فأوّل المقتدين والمتأسّين به هم أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

فَتَحَصَّل: أنّ موضوع التدبّر الواجب هو الآيات القرآنية لا غيرها.

***

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٦ .

هل يشمل التدبّر الآيات الكونية؟

بمجرد النظر وبأدنى تأمّل في الآيات التي ذُكرت فيها لفظة التدبّر نرى أنّها استُعملت في خصوص القرآن فقط، من قبيل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وفي قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

أمّا التي ذُكرت فيها الآيات الكونيّة، فاستُعمِلَ فيها التفكّر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

اتضح لنا أهمية التفكّر في الآيات الكونيّة، والتحذير من إهمالها، كما وَرَدَ عن النبيّ ﷺ في ذكر الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا

سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩]: «ويلٌ لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها»[١].

وكذلك اتّضح لنا موضوع التفكّر والتدبّر من خلال النظر البسيط في الآيات القرآنية والروايات الشريفة، كما ورد **«لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر»**[٢].

بمعنى: أنّ موضوع التدبّر هو الآيات القرآنية، وموضوع التفكّر هو الآيات الكونيّة، وهو أيضاً عبادة حسب تعبير الإمام عليه السلام، كالوصول إلى وحدانيّة الله تعالى من خلال النظر في الآيات الكونيّة، وقصّة الأعرابي خير دليل لِما وصل إليه نتيجة التفكّر عندما عبّرَ بعفويّةٍ حينما سُئل عن دليل وجود الله تعالى؟ فقال: **«البعرةُ تدلُّ على البعير، وأثر الأقدام يدلُّ على المسير، أفسماءٌ ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذاتُ فجاج، لا تدلّان على العليّ القدير»**[٣].

فتَحَصّل: أنّ موضوع **التفكّر:** هو الآيات الكونيّة، وقد صُنّفت في ذلك أبحاث عديدة ومستقلّة، وليس هنا محلّ تفصيله. وأمّا **التدبّر،** فموضوعه: الآيات القرآنية وجاء الأمر فيها لا غير.

---

(١) الفيض الكاشاني، محمد محسن، تفسير الصافي: ج١، ص٤٠٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المجلسي، محمّد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: ج٧، ص١٣٥.

هل يشمل التدبّر الأحاديث و الروايات؟

الأحاديث والروايات هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وتشمل أقوال النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فهي شارحه لكثير من آيات القرآن الكريم وأحكامه، وكذلك إن أردنا التأكّد من صحّة فهمنا لآيات القرآن والتدبّر فيها، علينا الرجوع إلى الروايات الصحيحة؛ لإثبات صحّة التدبّر والفهم القرآني، وبهذا تكون المرجعيّة الأولى للقرآن الكريم ويليه في الحجّية تشريع السنّة النبويّة الواصلة إلينا. وأنّ تشريعها في طول تشريع القرآن وليست مستقلّة وإنّما هي في عرضه.

نعم؛ لو كنا في عصر النصّ وكان المعصوم عليه السلام بين ظهرانينا لكان كلامه مقدّماً على فهمنا للقرآن الكريم؛ لأنّ كلامه هو الحُكم الواقعي، ولا حُجّية للاجتهادات مقابل كلام المعصوم عليه السلام، وإنّما الكلام فيما وصَلَ إلينا ونُسب إليهم عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فالاختلاف بين السُنّة والقرآن: أنّ القرآن متواتر الصدور وقطعي النص، بينما أغلب الروايات والأحاديث تُنقَلُ بالمعنى، وفيها بعض الآفات، كالوضع، والتقطيع، والدسّ. أمّا القرآن، فهو كلام الله عزّ وجلّ الذي أُمِرنا بقراءته وتلاوته في الصلاة وخارجها ولم يُنقل منه شيء بالمعنى، أو بالاختصار، بل جاءَ نصاً كاملاً مُصاناً من أيّ زيادة، أو نقصان ولا حتى مجرد احتمال الزيادة والنقيصة؛ لذا ورد الحث والتأكيد على التدبّر في القرآن الكريم.

الخلاصة:

أنّ موضوع التدبّر: هو كتاب الله تعالى، فَمَن هَجَرَ التدبّر هَجَرَ القرآن، ومَن هَجَرَ القرآن دخل في التوبيخ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ **[الفرقان: ٣٠]**، ومن وَجَدَ نفسه بعيداً عن تدبّر القرآن، فليعلم أنّه مُبتلى بتفريطه وإهماله، لأنّه قد استبدله بالذي هو أدنى منه، كالقصص والمجلّات ونحوها، وعقوبة ذلك شديدة في الدنيا والآخرة.

أمّا التدبّر بالأحاديث والروايات، أو سائر الكلام، فمهما وصلت درجة الاحتياج لذلك، فإنّها لم تصِل إلى درجة التدبّر القرآني الذي أمرنا به، ووُبِّخ تاركه، ووصفه الله تعالى بصحاب القلب المقفل، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ **[محمد: ٢٤]**، كذلك هو خارج نطاق بحثنا، فلا نريد أن نفصّل فيه أكثر من ذلك.

فيبقى موضوع التدبّر المأمور به هو: الآيات القرآنية دون غيرها.

***

الثمرة من التدبّر

أنّ الله عزّ وجلّ أنزَلَ القرآن من أعلى سمواته للتدبّر فيه لا لمجرّد التلاوة، أو التبرّك فيه، أو تعليقه ووضعه في البيوت والدكاكين ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩].

فالغرض من نزول القرآن هو لإفهام مراد المتكلّم وهو الله جلّ جلاله، ومن ثمّ ترتيب الأثر عليه من قبل المخاطب وهو العبد. ولو فتّشنا في حياة الأولياء والعرفاء والعلماء وما وصلوا إليه من مقامات رفيعة لَعَلِمنا أنّهم قد وفّقوا نتيجة إخضاع نفوسهم لكلام الله وما فيه من أوامر وإرشادات، حيث تجلّت لهم عظمة وجَلالة وقدرة ورفعة كلام الخالق، وبتدبّر آياته اطمأنّت قلوبهم ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وشفيت بها نفوسهم﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] ، شفاءٌ من الوسوسة، والقلق والحيرة، وتنوّرت بها عقولهم ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فتأدَّبوا بآداب الله ورسوله ولم يأبهوا بما يلاقونه من مصاعب الحياة ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة:٥١].

وكلّ ذلك بتدبّر القرآن ونور اليقين ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ وليس كالذي لم يرَ إلّا سواد الحروف وأرقام الآيات ونقوش الكتاب، وما ذلك إلّا لسواد ظلمته وجهله عن تدبّر القرآن ﴿مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.

الفصل الأول

الجانب النظري في التدبر

المبحث الأول

مسائل في مقومات التدبر

المسألة الأولى: ضوابط التدبّر

بعد أن قدّمنا مفهوم التدبّر الصحيح، وحتى يكون التدبّر التطبيقي مقبولاً، استخلصنا من مفهومه هذه الضوابط، والتي لابدّ أن يلتزم بها المتدبّر أمام آيات القرآن الكريم، ليكون تدبّره موافقاً للشريعة المقدّسة، ومن دونها ليس للتدبّر ثمرة وأثر، أو أنّه لا يسمى تدبّراً أصلاً، وهي:

١- أن لا يكون للمتدبّر هدف غير الامتثال لإمر الله عزّ وجلّ.

٢- أن يكون غرض المتدبّر هو استنطاق القرآن «ذلك القرآن فاستنطقوه»[1]، سواء كان الاستنطاق في:

أ- ظاهر الآيات، ومثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ **[النساء:٧٨]**، فمجرد تأثّر القلب بنفس ظاهر الكلام، وتفكّره البسيط بأنّه أينما يكون فلا مهرب من الموت، سواء كان على ظهر سفينة في البحر، أو على متن طائرة في الجوّ، أو كان في بيته، أو عمله، أو في قلعة مُحصّنة وغيرها، فعندئذٍ يسمى ذلك استنطاقاً للقرآن، أي: أنّ القرآن تكلّم معه، وهو ما نسمّيه بالتفاعل مع الآيات وحاصل ذلك التأثّر بها، وهو ما نسمّيه بالتدبّر الظاهري.

ب- باطن الآيات، ومثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

---

(١) القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي: ج١ ، ص ٣ .

[المائدة: ١١٦]، أو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ **[هود:٧]**، فظاهر الكلام من لفظ (يَدُ الله) لا يتناسب مع عقائدنا، لأنّ الله مُنزّه عن الجسمية، فليس له يَدٌ كأيدي البشر، فبذلك لا يمكن التأثّر بظاهر الآية ما لم نفهم المراد من **(اليد)** لنصل إلى أنّ المقصود من اليد: هو القوّة، والسلطان، والبسط، والنفوذ، والحُكم، وهي ما تسمّى بالباطن، فعندئذٍ يتفاعل المتدبّر مع تلك المعاني المستخرجة ويتأثّر بها ومن ثمّ يخضع إليها، وكذلك الشيء نفس في (عَرْشُهُ عَلَى الماء)، وغيرها من الألفاظ القرآنية، التي لا يمكن أن نلتزم في فهمها بظاهر اللفظ.

٣- الرجوع إلى معاني المفردات القرآنية من خلال كتب اللغة والتفسير، التي أُعدت في بيانها، ومثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **[المائدة: ٣]**، فلابدّ أوّلاً من الرجوع إلى معرفة معنى (مَخْمَصَةٍ) و(مُتَجَانِفٍ)، ثمّ يتدبّر فيها المتدبّر ويتفاعل معها؛ لكي يمتثل لما أراده الله تعالى بخصوصها، أو من قبيل قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ الله مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ **[المائدة: ١٠٣]**، فلابدَّ للمتدبّر أيضاً من معرفة معنى (حِيرَةٍ)، و (سَائِبَةٍ)، و(وَصِيلَةٍ)، و(حَامٍ)، ثمّ يمكن بعدها أن يتفاعل مع الآية، و إلّا لا تفاعل مع ما يجهله من معنى.

٤- مراعاة القواعد النحوية والبلاغية، والمقصود أن يحصل المتدبّر على الحدِّ الذي يُمكّنه من فهم كتاب الله، لا أن يرفع المنصوب وينصب

المرفوع، ويجزم المجرور ونحوها، لمِا لهذه القواعد من تأثير في فهم المعنى، ولا يراد التظلع بالنحو، بل يكفي الاطلاع الإجمالي، وعليه يُمكن أن يُفهم القرآن الكريم من قبل عامّة الناس، فهو لم ينزل لفئة معيّنة، كسيبويه ومن على شاكلته.

٥- تعمّق التفكير في ظواهر الآية، أو بواطنها، بمعنى: التفكير المعمّق بجميع جهات وأبعاد الآية المختلفة بالدخول لها من أكثر من مدخل لاستخراج المعاني التي تتطابق مع حال المتدبِّر والمجتمع الذي هو فيه.

٦- مراعاة العلاقة بين ظاهر الآية وباطنها. فلا تكون الدلالة الباطنية غريبة، أو معارضة لظاهرها، كما مرّ في لفظة (**اليد**).

٧- أن لا يتعارض التدبّر باستخراج الحِكم والمواعِظ ونحوها مع الدلالات القطعية من القرآن، والسنة، والعقل.

٨- الاستفادة من الشواهد والقرائن العقلية والنقلية، وذلك سيُشعر المتدبّر بالطمأنينة لمِا وصَلَ إليه، وأنّها توافق الشريعة ولا تعارضها بأدنى شيء.

٩- إذا تمكّن المتدبّر من استخلاص واستخراج قاعدة كلية، أو مفهوم عامّ من الآية، فلابدّ من أن تكون الآية أحد مصاديق ذلك المفهوم، ونقدّم مثالاً لذلك: في قصّة النبيّ يوسف عليه السلام عندما أرادوا إخوته إبعاده عن أبيهم، ومن المعلوم أنّ الآية تتكلم عن حياة النبيّ يوسف عليه السلام في حين أنّ هناك عِبرة وحِكمة يمكن استخراجها من قصة النبيّ تصلح لتكون قاعدة عامّة في كل زمان، ومصاديقها متعددة، كوجود من يُريد

إبعاد أبناءنا (**الشباب**) عن آباءهم والعلماء والأولياء؛ ليضيّعوهم في غياهب الجبّ المظلم.

١٠- أن لا يدّعي المتدبِّر أنّ تفاعله مع الآيات هو المراد الواقعي ويقطع به، وإلّا لكان جزماً بالرأي، أو ما يسمّى بالتفسير بالرأي وهو ممنوعٌ ومحرّمٌ.

١١- أن يواكب التدبّر شواهد خارجية من الواقع الحالي، بمعنى: أن يعكس تفاعله مع الآية بواقعه الخارجي، حتى يتحقق الانتفاع، وإلّا فما هو فائدة التدبّرحينئذٍ!، وعندها سيُسمّى ذلك عبثاً، وهو ممنوع أكيداً.

١٢- أن يصل المتدبّر بتفاعله مع ظاهر الآية إلى الانتفاع منها، ومن ثمّ الامتثال، فهو تدبّر صحيح ولا إشكال في ذلك إن شاء الله، أمّا إذا تفاعل مع باطنها فلا بأس به، ولكن بشرط عدم فصل الباطن عن الظاهر، وإلّا سيكون التدبّر بالتفاعل مع الباطن وإنكار الظاهر مما لا يختلف عن منهج بعض الصوفية الذين أنكروا ظواهر الآيات وتمسكوا ببواطنها، وهو غير مقبول حتماً[1].

***

(١) سيأتي بيان منهج بعض الصوفية الذين أنكروا ظواهر القرآن وتمسكوا بباطنه ص ٧٣

المسألة الثانية: الفرق بين التدبّر و التفسير و التأويل و الاستنباط

حتى لا يلتبس على القارئ العزيز، ولمعرفة الفرق بين التدبّر والمصطلحات القرآنية التي قد يُتَوّهم مرادفتها له، لذا سنُبيّن الفرق بينها باختصار، وكذلك أوجه الاتفاق إن وجدت، مع ذكر بعض الآيات التي وردت فيها تلك المصطلحات القرآنية، وهي:

أولا: الفرق بين التدبّر و التفسير

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ **[الفرقان: ٣٣]**.

التفسير لغة: إظهار المعنى المعقول، والتَّفسِيرُ قد يقال فيما يختصّ بمفردات الألفاظ وغريبها[١].

أمّا التفسير اصطلاحاً: هو بيان معنى الآيات والكشف عن مداليلها[٢]، بينما **التدبر:** هو مسّ الآيات القرآنية قلبياً، والتفاعل معها؛ لأجل الامتثال لأمر الله عزّ وجلّ. ومن خلال التأمّل في التعريفين اللغوي والاصطلاحي نستطيع أن نُبيّن أهمّ الفوارق بين التدبّر والتفسير، ونُجملها بأربعة نقاط:

١ ـ التفسير هو بيان معنى الآيات، وبعض الألفاظ الغريبة، بينما التدبّر: هو المسّ القلبي للآيات والتفاعل معها والامتثال لها.

---

(١) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٣٦.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٤١.

٢ ـ التدبّر لعامّة الناس، فهو غير منحصر بفئة معيّنة، بل لكافّة فئات المجتمع تقريباً، بينما التفسير غير ذلك، فهو منحصر بفئة خاصّة تتوفّر فيهم مؤهّلات، وضوابط وشروط لابدّ أن يلتزم بها المفسّـر، وهي مدوّنة في كتب العلماء المتخصّصين حتى أصبح التفسير علماً مستقلاًله أصوله وقواعده.

٣ ـ أنّ التفسير بالاضافة إلى بيان معاني ألفاظ الآيات يتكفل أيضاً بيان الواقعة التي من أجلها نزلت الآية، وحكمها، وناسخها، ومنسوخها، بينما التدبّر ليس كذلك، فحاصله العمل والتطبيق، بمعنى: أنّ الأوّل عملية تفسيرية، والثاني عملية تطبيقية.

٤ ـ التفسير هو كشف القناع والإبهام عن الآيات وتقريرها وإعلانها للغير لمعرفة مراد الله سبحانه من الآيات، بينما التدبّر قد لا يُعلَن ولا يُقَرّر للغير، لأنّ ما يستخرجه المتدبّر قد يكون غير ثابت لكل شخص، أو في كل زمن، فقد يستخرج موعِظة مثلاً، تنعكس عليه كفرد، بأيّ جانب من جوانب حياته-في عمله أم في أسرته ونحوها- وقد لا تنطبق على شخص آخر، فهو لا يستطيع أن يقول هذا المراد من الآية؛ ليبقى نظير ما دُوِّن في كتب التفسير لعشرات السنين.

ثانيا: الفرق بين التدبّر و التأويل

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

التأويل لغة: التأوّل والتَّأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا

يصحّ إلا ببيان غير لفظه[1]. **أمّا اصطلاحاً:** فقد «وَرَدَت أقوالٌ كثيرة في معنى التأويل، فمنهم من قال: أنّ التأويل بمعنى التفسير، ومنهم من قال: هو المعنى المخالف لظاهر اللفظ، ومنهم من قال: هو معنى من معاني الآية لا يعلمه إلّا الله تعالى، ومنهم من قال: إنّه ليس من قبيل المعاني المرادة باللفظ، بل هو الأمر العيني الذي يعتمد عليه الكلام»[2]. ولسنا بصدد إيراد أكثر من هذه الأقوال، أو مناقشتها، فمن أراد ذلك عليه الرجوع إلى المصادر ولا سيما ما أورده العلامة الطباطبائي رحمه الله في تفسيره[3].

فقد وَرَدَ لفظ التأويل في سورة الكهف مرتين، قال تعالى: ﴿**سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾ [**الكهف**: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾ [**الكهف**: ٨٢]، والمعنى: سأنبّئك بحقيقة ما رأيت من الأمور الغَيبيّة التي لم تصبر عليها. ويُفهمُ من ذلكَ أنّ التأويل بمعنى: معرفة حقائق الأمور بالرجوع لعواقبها، والله هو من يعلم عواقب الأمور: ﴿**وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ**﴾ [**الحج**: ٤١]، أو من أفاض عليهم من علمه أن يعلموا تأويلاتها: ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ**﴾. ولا ريبَ أنّ أهل العصمة عليهم السلام هم الراسخون في العلم، كما صَرّحت بذلك الأخبار،

(١) الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين : ج٨ ، ص ٣٦٨ .

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٣ ، ص٥١.

(٣) المصدر نفسه.

فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله**»[1]، وبذلك لا ينحصر تأويل القرآن بالله تعالى. وفيما يتعلق بمعرفة تأويله لغير أهل العصمة عليهم السلام، قال أهل السُّنة: إنّ الراسخين في العلم يعلمون تأويله، فيكون ممكناً عندهم، قال الزركشي: «**فاذا جازَ أن يعرفه الرسول جازَ أن يعرفه الربانيون من صحابته، والمفسرون من أمته، ألّا ترى أنّ إبن عباس كان يقول: أنا من الراسخين في العلم، ويقول عند قراءة قوله في أصحاب الكهف: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: أنا من أولئك القليل...**»[2]. أمّا في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فوردت ثلاثة أقوال[3]:

الأوّل: يرى انحصار ذلك بأهل العصمة عليهم السلام.

الثاني: يرى تعدّيه إلى خواصّهم المباشرين لا غير.

الثالث: يرى تعدّيه إلى الخواصّ من أتباعهم، ومن ورثتهم من العلماء الواقفين على علومهم، وإن لم يلتقوا بهم عياناً[4].

الخلاصة:

أنّ التأويل: معرفة حقائق الأمور بالرجوع لعواقبها. وأمّا التدبّر بمعنى:

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢١٣.

(٢) الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن: ج٢ ، ص٧٣ .

(٣) الحيدري، كمال، منطق فهم القرآن: ج٣ ، ص٣٨٢.

(٤) ومن القائلين بالقول الثالث هو الشيخ المعرفة رحمه الله مؤيداً هذا الرأي: الراسخون في العلم هم من عرفوا من قواعد الدين وأسسها المكينة، ودرسوا من واقع الشريعة مبانيها القويمة، انظر: كتاب التأويل في مختلف المذاهب والآراء، للشيخ محمد هادي المعرفة: ص٢٩.

هو المسّ القلبي للآيات القرآنية، والتفاعل معها لأجل امتثال أمر الله عزّ وجلّ.

فَتَحَصّل: أنّ بَينَ التدبّر والتأويل اتفاق واختلاف، أمّا من جهة الاتفاق، فالتدبّر والتأويل يتّفقان بالنظر إلى باطن الآيات، لمعرفة حقائقها، وأمّا الاختلاف، فإنّ التدبّر مأمور به عامّة الناس، والتأويل يقتصر على فئة معينة من الراسخين في العلم، (على جميع الأقوال).

ثالثاً: الفرق بين التدبّر و الاستنباط

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣].

الاستنباط لغة: معنى يَستَنبِطُونَهُ: يستخرجونه، وأصله من النَّبَط، و هو الماء الّذي يخرج من البئر أوّلَ ما تُحفر[١].

أمّا اصطلاحاً: أنّ أصل الاستنباط هو: الاستخراج، يقال لكل ما استخرج حتى يقع عليه رؤية العين، أو معرفة القلب[٢]. **وبمعنى آخر:** «أنّ الاستنباط من آيات الأحكام ونحوها يتوقّف على **(خبرويّة)** معينة لا تحصل إلّا ببلوغ الإنسان مرحلة **(الاجتهاد)**. فالتدبّر في هذه الآيات يكون وقفاً على **(المجتهدين)** بالطبع.. أمّا التدبّر في الآيات الأخرى فهو

(١) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج١٣، ص ٢٤٩.

(٢) الطبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان فى تفسير القرآن: ج٣، ص ١٢٤.

أمر مفتوح لغيرهم أيضاً»[1]، **وخلاصته:** أنّ الاستنباط على قسمين:

الأوّل: الاستنباط مما تحتويه الآية من معانٍ؛ ليستخرج الحُكم الشرعي، وهو خاص بفئة معينة وهم الفقهاء، وقد وضعوا لذلك ضوابط وشروط في كُتبهم(**مثل: أصول الفقه**).

الثاني: ما يستخرجه المُستنبِط من حِكم، ومواعِظ، وعِبر، ومفاهيم أخلاقيّة، ومعرفيّة وغيرها، وهو غير منحصر بفئة معيّنة، كالمجتهدين، وإنّما هو لعامّة الناس ليتدبّروا في الآيات بما يوافق الشريعة ولا يخالفها بشيء.

فَتَحَصَّل: أنّ الاستنباط والتدبّر يشتركان بأمر ويختلفان بآخر، أي: أنّهما يشتركان في ما يُستخرج من حِكم ومواعِظ وعِبر ونحوها، من آيات القرآن الكريم والتي لا تقتصر على فئة معيّنة، بل هو لعامّة الناس. ويختلفان فيما يخُصّ آيات الأحكام التي يقتصر النوع الأول من الاستنباط فيها على فئة محدّدة وهم الفقهاء.

المسألة الثالثة: آداب المتدبّر

لكل أمرعبادي وردت آداب، كآداب الصلاة، والصوم، والحج، والجهاد، ونحوها من العبادات التي منها ما وَرَدَ صريحاً في الشارع المقدسّ، ومنها ما استُنبِط بما يوافق الشريعة، كذلك هو التدبّر في القرآن؛ فإنّه لا

(١) الشيرازي، محمد رضا، التدبّر في القرآن: ج١، ص٣٤.

يختلف عن بقية العبادات، وحيث لا توجد آداب منصوصة بهذا الخصوص، لكنّنا وبالتأمّل نرى أنّ نفس الآداب التي وردت في قراءة القرآن الكريم هي ما ينبغي على المتدبّر الإتيان به، وخير ما ننصح به هو قراءة ما كتبه الإمام الخميني رحمه الله في آداب قراءة القرآن الشريف[1]، «ابتداءً من مسّ كتابة القرآن، والاستعاذة بالله قبل الشروع بتلاوة القرآن، وتحسين الصوت عند التلاوة لما يعطيه من تأثير في فهم وتدبّر معانية، إلى حضور القلب عند القرآءة، وتعظيم كلام الله تعالى، فقد وَرَدَ عن الإمام الباقر عليه السلام في باب عظمة القرآن « **إذا جمع الله تعالى الأوّلين والآخرين إذا هم بشخص قد أقبل لم يروا قط أحسن صورة منه فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا: هذا منّا، هذا أحسن شيء رأينا، قال: فإذا انتهى إليهم جازهم ثمّ ينظر إليه الشهداء حتى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم، فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم كلهم حتى إذا انتهى إلى المرسلين، فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم حتى ينتهي إلى الملائكة، فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم، ثمّ ينتهي حتى يقف عن يمين العرش، فيقول الجبار: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرمنّ اليوم من أكرمك و لأهيننّ اليوم من أهانك**»[2].

بالإضافة إلى ترتيل القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ**

(١) الخميني، روح الله، الآداب المعنوية للصلاة: ج٢، ص ٣١٧ .

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢ ، ص٥٩٦.

تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:٤]، قالَ أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية: **«بيّنه تبياناً، ولا تهذه هذي الشعر، ولا تنثره نثر الرمل ولكن أفزعوا به قلوبكم القاسية ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة»**[1]. والاستماع والإنصات عند قراءته، أو سماعه، كقوله تعالى: **﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]**. والتكرار للآية، فقد رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **«أنّه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فردّدها عشرين مرة»**[2]، وجاء أيضاً عن أبي ذر: **«قام رسول الله صلى الله عليه وآله بنا ليلة، فقام بآية يردّدها، وهي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾»**[3][4].

المسألة الرابعة: علامات المتدبّر

ذَكَرَ الله تعالى في كتابه الكريم مميّزات وعلامات للمتدبّر في القرآن، كما نفهم ذلك من الآيات المباركة، منها:

قوله تعالى: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]**، وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا**

---

(١) المصدرنفسه: ج٢، ص٦١٤.

(٢) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ج١، ص٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) انظر: الخميني، روح الله، الآداب المعنوية للصلاة- آداب قراءة القرآن: ج٢، ص:٣١٧، بتصرف.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ**﴾ [الزمر: ٢٣].

فَنَحصل على خمس علامات من الآيات المذكورة، وهي:«البكاء من خشية الله، والزيادة في الإيمان، والفرح والاستبشار، والسجود تعظيماً لله عزّ وجلّ، والقشعريرة خشية من الله تعالى. ويتّضح: أنّه من وجد واحدة من هذه العلامات، أو أكثر فقد وَصَلَ إلى حالة التدبّر، وأمّا من لم يحصل على أيّ من هذه العلامات فقد يكونُ محروماً من تدبّر القرآن، وذلكَ ما لا نتمنّاه لأحد»[1].

***

(١) انظر: د.خالد عبد الكريم ، مفاتح تدبّر القرآن والنجاح في الحياة: ص٢٤، بتصرف .

المسألة الخامسة: مراتب التدبّر

ممّا لا خلاف فيه أنّ القرآن الكريم، له باطن وله ظاهر، وقد وردت الأحاديث الكثيرة من أنّ للقرآن ظهراً وبطناً، كما ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: **«إنّ في القرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن، أو إلى سبعين بطناً»**[1] ورُوي عن الفضيل بن يسار أنّه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، قال: **«ظهره تنزيله وبطنه تأويله. منه ما مضى، ومنه ما لم يجئ بعد يجري كما تجري الشمس والقمر»**[2].

فالإمام عليه السلام يعني بالظهر: المصداق الظاهري للآية، وهو مورد نزولها قبل ألف وأربعمائة سنة. أمّا البطن: فهو المصداق الباطني للآية، أي: المصاديق المتكرّرة في كل زمان ومكان، وكما هو واضح من قول الإمام الباقر عليه السلام لحمران: **«ظهرالقرآن: الذي نزل فيهم وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم يجري فيهم ما نزل في أولئك»**[3]. كذلك الحال في التدبّر، فله مراتب أيضاً، وذلك كما قلنا أنّ التدبّر: هو المسّ القلبي بالوقوف على الآيات، إذن: لا يمنع أن نقول: إنّ للتدبّر ظاهر وباطن، وذلك تبعاً

---

(١) ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية: ج٤، ص١٠٧.

(٢) الفيض الكاشاني، محمد محسن، تفسير الصافي: ج١، ص ٢٩.

(٣) المصدر نفسه: ج١، ص١٧.

للمُتَدبّر به وهو القرآن الكريم، وظاهر التدبّر معلوم، وهو مورد النزول. أمّا الباطن فلا ينبغي استخراج معنى معين بدون الإحراز بأنّه لا يخالف الشريعة المقدسّة، كما ما بيّنا ذلك في الضوابط التي ينبغي مراعاتها، حتى لا يكون تدبّراً مردوداً، أو ما قد يُسمى التفسير بالرأي، وهو منهيٌ عنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«قال الله جلّ جلاله ما آمن بي من فَسَّرَ كلامي برأيه»**[1].

المسألة السادسة: الإشكالات المتوقّعة على مفهوم التدبّر

قد يتبادر إلى الذهن بعض التساؤلات، أو قد تتولّد بعض الإشكالات حول التدبّر، سواء على مفهومه، أو على كيفيته، وسنذكر هنا أهمّ ما قد يُتَوقّع طرحه، ثمّ مناقشتها والردُّ عليها، لكي لا يُفتح ذلك الباب ويُغلق تماماً بعونه وقوته تعالى:

الإشكال الأول: أن التدبّر لا أصل له ولا جذر في القرآن، أو في السنّة الشريفة.

الجواب: أنّ أصل تدبّر القرآن في القرآن نفسه، ومن السنّة أيضاً، وسنذكر أهمّ الأدلّة الصريحة بهذا الشأن.

أ) الآيات القرآنية:

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص٦٨.

١- قوله تبارك وتعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

٢- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢].

٣- قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

٤- قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

أنّ التكرار في الآيات ما هو إلّا تأكيد على التدبّر في كتاب الله تعالى، وذمّ الذين لا يتدبّرون دليلٌ على أهمية هذا الموضوع من حيث محبوبيّته لله تعالى ومن حيث المصلحة الواقعة للعباد وانتفاعهم من هذا التأكيد الإلهي.

ب) السُنّة :

١- عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر**»[١].

٢-عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**تدبّروا آيات الله، وا عتبروا؛ فإنّ فيها أبلغ العبر**»[٢].

٣- عن الإمام الحسين عليه السلام حيث قال: «**كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة**

(١) المصدر السابق.

(٢) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم: ص٣١٨.

أشياء..على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوامّ، والإشارة للخواصّ، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»[1].

٤- عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال:« **آيات القرآن خزائن، فكلما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»**[2].

حَثُّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام على تدبّر القرآن يستلزم استخدامهم له؛ فلا يُعقل أن يأمروا الناس به، وهم غير عاملين به!، لذلك نفهم من تلك الروايات أنّ أوّل من تدبّرالقرآن الكريم هم أهل بيت النبوّة عليهم السلام، ومن ثمّ الصحابة والتابعين أسوة في رسول الله صلى الله عليه وآله.

فتقرّر أنّ جذور وأصل التدبّر ترجع إلى الوحي الإلهي، وإلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

الإشكال الثاني: أن تدبّر القرآن هو التفسير بالرأي، ولا فارق بينهما.

الجواب: قبل الردّ على هذا الإشكال علينا أوّلاً التعرّف على معنى التفسير بالرأي ولو إجمالاً.

التفسير بالرأي وحسب ما جاء في البرهان للبحراني: «أن الذي يشجبه الإسلام من التفسير بالرأي هو الرأي المذموم، وهو القول في القرآن بغير علم ولا هدى، وأمّا الكلام في القرآن بعلم ودليل وبرهان، فليس من

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٥ ، ص٢٧٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢ ، ص ٦٠٩.

الرأي المذموم، وإنّما هو من الرأي الممدوح الذي لا ضير فيه»[١]. وقد وردت روايات عديدة في كتب الفريقين مانعة لهذا النوع من التفسير، نذكر بعض منها:

١- ورد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله **«من فسّر القرآن برأيه، فليتبوّأ مقعده من النار»**[٢].

٢- وعنه صلى الله عليه وآله قال: **«من فسّر القرآن برأيه، فقد افترى على الله الكذب»**[٣].

٣- وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام **«ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي»**[٤].

٤- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام **«من فسّر برأيه آية من كتاب الله، فقد كفر»**[٥].

٥- وعنه أيضاً **«من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، فإن أخطأ كان إثمه عليه»**[٦].

نعم؛ إنّ ما جاء في الأحاديث والروايات عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة

---

(١) البحراني، سيد هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن: ج١ ، ص ٣٨.

(٢) ابن أبي الجمهور، محمد بن زين الدين، عوالي الئالي: ج١، ص١٢٨.

(٣) ابن باويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ج١، ص ٢٥٦.

(٤) ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج١، ص:١١٤.

(٥) العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج١، ص ١٧.

(٦) المصدر نفسه.

الأطهار عليهم السلام، موضّحة لحرمة هذا النوع من التفسير وخطورته. ولم يقل أحد أنّ هذا المنهج صحيحٌ، ولكنَّ النقاش كله دار حول مصداق ذلك المنهج، ومن ذلك نطرح سؤالاً وهو: أنّ القرآن الكريم قد حثّنا وأمرنا بتدبّر القرآن والتفكّر فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى نهانا عن التفسير بالرأي، فهل المقصود من التفسير بالرأي هو التدبّر أم شيء آخر؟

الجواب: سيتضح لنا الفرق بين التفسير بالرأي وبين التدبّر من خلال ما سنعرضه من كلامٍ، لبعض علمائنا المعاصرين في مصداق التفسير بالرأي وتطبيقه:

١-ما قاله الإمام الخميني رحمه الله: «أنّ المحتمل، بل المظنون أنّ التفسير بالرأي يتعلق بآيات الأحكام التي لا تصلها الآراء والعقول، والتي يجب أخذها بحالة التعبد الصرف والانقياد التام من خزّان الوحي، ومهابط ملائكة الله كما هو الحال مع أكثر الروايات الشريفة الواردة في هذا الباب والتي وردت لمواجهة فقهاء العامة الذين أرادوا أن يفهموا دين الله بعقولهم وبالقياس»[1].

٢-ما قاله الإمام الخوئي رحمه الله: «يحتمل أنّ معنى التفسير بالرأي الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمّة عليهم السلام، مع أنّهم قُرناء الكتاب في وجوب التمسك ولزوم الانتهاء اليهم، فإذا عمل الإنسان بالعموم، أو الإطلاق

(١) الخميني، روح الله، الآداب المعنوية للصلاة: ج٢،ص:٣٤٤.

الوارد في الكتاب ولم يأخذ التخصيص، أو التقييد الوارد عن الأئمّة عليهم السلام كان هذا من التفسير بالرأي»[1].

٣-ما قاله العلامة الطباطبائي رحمه الله: «الحاصل أنّ المنهي عنه، أنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن واعتماد المفسّر على نفسه من غير الرجوع إلى غيره»[2].

٤-ما قاله آية الله معرفة رحمه الله: «الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن مجانباً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام ولا سيما كلامه تعالى، فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل وطرقاً منها مراجعة كلام السلف، والوقوف على الآثار الواردة حول الآيات، وملاحظة أسباب النزول وما شابه ذلك من الشروط التي يجب توفّرها في المفسّر»[3].

٥-ما قاله الشيخ الرضائي الإصفهاني: «إذا وَصَلَ المفسّر إلى نتائج شخصية مُعيّنة عن طريق التفكّر في آيات القرآن، ولم يعرض هذه النتائج على الآخرين ولم ينسب ذلك إلى الله والقرآن، فإنّه لا يكون مصداقاً للتفسير بالرأي»[4].

وخلاصة هذه الأقوال: أنّ أغلب ما ذكروه: كان يدور حول أنّ معنى

---

(١) الخوئي، أبوالقاسم، البيان في تفسير القرآن: ص٢٦٩.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٣، ص٨٩.

(٣) المعرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ج١، ص٦٤.

(٤) الرضائي الأصفهاني، محمد علي، دروس في المناهج والإتجاهات التفسيرية للقرآن: ص ٢٣٠.

التفسير بالرأي هو: قيام المفسّر بالتفسير من غير توفّر الشروط اللازمة في المفسّر، أو دون الرجوع إلى القرائن النقلية والعقلية، أو تحميل المفسّر رأيه الشخصي على آيات القرآن الكريم والقطع به.

وهناك أقوال كثيرة ومختلفة للمتقدّمين والمتأخّرين من العلماء، والباحثين، والمهتمّين بالشأن القرآني، حتى تمخّض النقاش والاختلاف في معنى التفسير بالرأي بحسب وجهات نظرهم تقسيمه إلى قسمين: ممدوح ومذموم، والممدوح: «ما يُقصد به التفسير العقلي وهو قائم على أساس القرائن العقلية القطعية»[1]، وقد لاحظنا أنّ الآراء غير متّفقة على مصداق وتطبيق التفسير بالرأي، فيبقى ذلك محلُّ نظرٍ، فتأمّل.

ومهما كثُرت الأقوال، أو اختلفت، فيبقى التفسير بالرأي هو عملية تفسيرية يجريها المفسّر، والتفسير هو: كشف القناع، أو هو: «بيان معنى الآيات والكشف عن مداليلها»[2]، سواء أعلن المفسّر نسبتها إلى الله وقال هذا مراد الله تعالى، أو لم يُعلن ذلك.

أمّا التدبّر وكما ذكرناه سابقاً هو: المسّ القلبي لآيات القرآن الكريم، فيتأثّر بها ويتفاعل معها؛ لكي يمتثل إليها، والمتدبّر ليس في صدد إيضاح مراد الآيات وكشف معانيها، وإنّما هي عملية خاصّة بالفرد نفسه، ولم يقل: أنّ هذا هو المراد من كلام الله، أو ينسبه إليه سبحانه، أو يقطع

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٤٢.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٤١.

به، أو يقرّره لغيره، كما هو الحال في كتب التفسير بمختلف اتجاهاتها، بل لا يستطيع المتدبّر أن يُعيّن ويحدّد مصداقاً واحداً؛ ليكون هو المراد من الآية دون غيره، لأنّ المصاديق الباطنية متعددة وكثيرة كما بيّنا من رواية الإمام الباقر عليه السلام: «**ظهرالقرآن: الذي نزل فيهم وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم يجري فيهم ما نزل في أولئك**»[1].

فالمتدبّر يربط الآيات بواقعه الحالي، ويأتي غيره ويربطها بواقعه الذي هو غير ذلك الحال، وكذا في تغيّر الزمان والمكان، وهو واضح من قول الإمام الصادق عليه السلام: «**ومنه ما لم يجئ بعد يجري، كما تجري الشمس والقمر**»[2].

فلا جزمَ في البَين، ولا رأي في فهم آيات الله تعالى، بل هو التدبّر المأمور به عامّة الناس.

وحاصل الكلام أنّه: «قد اشتبه على الناس التفكّر والتدبّر في الآيات الشريفة بالتفسير بالرأي الممنوع، وبواسطة هذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة جعلوا القرآن عارياً من جميع فنون الاستفادة واتّخذوه مهجوراً بالكلّيّة في حال أنّ الاستفادات الأخلاقية والإيمانية والعرفانية لا ربط لها بالتفسير، فكيف بالتفسير بالرأي، فمثلاً: إذا استفاد أحد من كيفية مذاكرات موسى عليه السلام مع الخضر، وكيفية معاشرتهما وشدّ موسى رحاله

(١) الفيض الكاشاني، محمد محسن، تفسير الصافي: ج١، ص١٧.

(٢) المصدر نفسه: ج١، ص٢٩.

إليه، مع ما له من عظمة مقام النبوّة، لأخذ العلم الذي ليس موجوداً عنده وكيفية عرض حاجته إلى الخضر، وكما ذُكرت في الآية الكريمة:(**قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ **[الكهف:٦٦]**، وكيفية جواب الخضر والاعتذارات التي وقعت من موسى عظمت مقام العلم وآداب سلوك المتعلّم، مع المعلّم، ولعلّها تبلُغ من الآيات المذكورة إلى عشرين أدباً، فأيُّ ربط لهذه الاستفادات بالتفسير، فضلاً من أن تكون تفسيراً بالرأي والاستفادة من هذا القبيل في القرآن كثيرة»[1]

فَتبيّنَ: أنّ لفظ ومعنى التدبّر غير لفظ ومعنى التفسير، كما تقدّم، فالتطابق منتفٍ أساساً.

الإشكال الثالث: إذا كان التدبّر يحمل مرتبة باطنية، والباطن هو ما خفي وأبهِم، فيكون التدبّر عسيرا، وفيه مشقّة لعوام الناس، وهو بخلاف اليسر الذي قال عنه تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:١٧]

الجواب: من قال أنّ القرآن يأمرنا بالجمود على ظواهر الآيات! بل على العكس تماماً؛ قد أمرنا القرآن الكريم بالتفكّر والتدبّر في آياته، وعلّمنا النبيّ الأكرم ﷺ حينما قال في ذكر الآية المباركة:

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ

(١) الخميني، روح الله، الآداب المعنوية للصلاة: ج٢، ص:٣٤٣ .

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩]: «**ويلٌ لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمّل فيها**»[1].

وخاطبتنا العديد من الآيات بألفاظ (**أفلا تعقلون- لعلكم تتفكّرون- أفلا يتدبّرون**)، فلو كان في ذلك عُسر ومشقّة، ما سكت عنه أئمّتنا عليهم السلام، أو لم يكن هناك من هدف في ذكرهم أنّ للقرآن ظاهر وباطن. ووجود عسر في التدبّر يقتضيه معنى التدبّر، حيث يحتاج إلى إعمال العقل والفطنة وأمور أخرى، وهذا لا يجعل التدبّر متعذراً على عوام الناس.

مضافاً إلى أنّ التدبّر يحمل مرتبتين (**التدبّرالظاهري والتدبّر الباطني**)، فهو غير منحصر على الغوص في البواطن، حتى يكون التدبّر بإطلاقه عُسراً ومشقّة لعوامّ الناس، وأنّما يبقى استخراج المفاهيم والقواعد الكلية راجع للمتدبّر، وقوة تفاعله وحضور قلبه وتوجهه نحو الآيات القرآنية، وإن لم يستطع ذلك فتبقى المرتبة الظاهرية الصحيحة متاحة للجميع، وسيكون في عِداد المتدبّرين أيضاً.

الإشكال الرابع: التدبّر هو نوع من أنواع التفسير المسمّى بالتفسير الإشاري، فهما لفظان لمعنى واحد، وليس بشيءٍ آخر.

الجواب: التفسير الإشاري هو: «تأويل آيات القرآن الكريم على غير ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفيّة تظهرلأهل العلم والسلوك، تقوم على

(١) الفيض الكاشاني، محمد محسن، تفسير الصافي: ج١، ص٤٠٩.

التطابق بينها وبين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية، بوجه من الوجوه الشرعية»[١].

وهو أيضاً: «ما يطلق على الإشارات الخفيّة الموجودة في آيات القرآن والتي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن والأخذ بالباطن، أي: استخراج وفهم وتوضيح نكتة من الآية لا توجد في ظواهر الآية عن طريق دلالة الإشارة»[٢].

وبما أنّ المسلمين متّفقون على أنّ القرآن الكريم له ظاهر وباطن قد فتح الباب لهذا النمط من التفسير، وقد اعتبره جملة من العلماء أنّه «يرجع إلى القرنين الأوّلين من الهجرة بعد أن نُقلت فلسفة اليونان إلى العربية في السلطنة الأمويّة، ثمّ في عهد العباسيين، وانتشار البحث العقلي والفلسفي وظهور التصوّف المقارن لهما»[٣].

وقد وردت آراء كثيرة لعلماء الإسلام منها ما يوافق هذا المنهج التفسيري للقرآن ومنها ما يُخالف، ومنها ما يُفصّل في ذلك، «ومن أبرز الموافقين له هو الإمام الخميني والتفتازاني، وأمّا أبرز المخالفين له هو عميد الزنجاني، وأبرز القائلين بالتفصيل هو العلامة الطباطبائي، وآية الله

---

(١) العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده: ص٢٠٦.

(٢) الرضائي الأصفهاني، محمد علي، دروس في المناهج والإتجاهات التفسيرية للقرآن: ص ١٩٢.

(٣) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٨.

معرفة»[1].

وبعد أن تعرّفنا على هذا المنهج التفسيري للقرآن، وعَرَفنا جذوره وأبرز القائلين به والمخالفين، والمفصّلين له، سنتعرّض الآن إلى أقسامه وبيان مدى قربه ونقطة إلتقائه مع التدبّر في الآيات القرآنية، «فالقائلين بالتفصيل قسموا هذا المنهج إلى قسمين:

١-منهج التفسير الإشاري الباطني غير الصحيح.

٢-منهج التفسير الإشاري الباطني الصحيح.

وخلاصتهما:

أنّ القسم الأوّل **(غير الصحيح)**، قائم على أساس تأويل آيات القرآن بالاستفادة من الشهود الباطني، أو من خلال النظريات العرفانية المنافية لظواهر القرآن ودون الاستفادة من القرائن النقلية، أو العقلية. وعُدّ هذا القسم من التفسير بالرأي.

وأمّا القسم الثاني **(التفسير الباطني الصحيح)**، وهو ما أيّدَهُ الإمام الخميني، والعلامة الطباطبائي، وآية الله معرفة، لأنّه لا يتمّ فيه التأكيد، أو الجزم بالإشراقات والشهودات والتأويلات، لذلك وضعت له ضوابط وشروط.

وأنّ أبرز الضوابط في هذا التفسير والتي قد تتّفق مع ضوابط التدبّر هي:

---

(١) الرضائي الأصفهاني، محمد علي، دروس في المناهج والإتجاهات التفسيرية للقرآن: ص ١٩٤-٢٠٠

الالتفات إلى ظاهر الآية وباطنها في آن واحد، أي : عدم إغفال ظاهر الآية في التفسير. وأن يُراعي المفسّر المناسبة القريبة بين ظاهر الكلام وباطنه، أي: لا تكون الدلالة الباطنية أجنبية عن الظواهر. وأن يستفاد من الشواهد والقرائن النقلية، أو العقلية»[1].

ومن هنا نُجمل الفرق بين التدبّر والتفسير الإشاري بنقطتين أساسيتين، هما:

١- أنّ التفسير الإشاري نوع من أنواع التفاسير، وهو قائم على أساس إيضاح مراد الآيات وكشف القناع عنها، كما مرَّ ذلك في تعريف التفسير[2] سواء كان ذلك الإيضاح والكشف عن الآيات عن طريق الشهود، أو عن طريق النظريات العرفانية، بينما التدبّر لا يعني شيئاً من التفسير، لأنّه عملية تفاعل من خلال حضور القلب عند المتدبّر لآيات القرآن الكريم، سواء ما مسّ قلبه من ظواهر الآيات، أو بواطنها، كاستخراجه الحِكم والمواعِظ ونحوها. فهي عملية خاصّة بالمتدبّر نفسه، وتدور حول مدى توجّهه وقوة تفاعله مع آيات القرآن الكريم.

٢- أنّ التدبّر يحمل مرتبتين (**التدبّر الظاهري والتدبّر الباطني**) وذلك غير حاصل في التفسيرالإشاري، لأنّه يعتمد على البواطن فقط، وإن عُبِر من خلال الظاهر لها، وراعى المناسبة بينهما؛ لذلك هولا يعتني بتفسير

---

(١) انظر: المصدر السابق: ص٢٠٣- ٢١١ ، بتصرف.

(٢) مرَّ سابقاً في بيان الفرق بين التفسير والتدبّر: ص٥١.

ظواهر الآيات، بل هو مجرد العبور منها فسُمّي تفسيراً إشارياً.

وبمعنى آخر: أنّهما يتّفقان في عملية العُبور من ظاهر الكلام إلى باطنه مع مراعاة الشروط والضوابط من: عدم ادّعائه لمِا وصل إليه هو المراد لا غير، وأن يُؤيّد وصوله هذا بالشواهد والقرائن المعتبرة **(عقلية ونقلية)** وعدم منافاته معها، ومراعاة المناسبة بين الظاهر والباطن.

ويختلفان في أنّ التدبّر عملية تفاعلية مع الآيات القرآنية، وهي خاصّة بقلب المتدبّر نفسه، وهو لعامّة الناس، وليس مختص بفئة معيّنة، وأمّا التفسير الإشاري عملية تفسيرية، القصد منها إيضاح ورفع الإبهام عن الآيات القرآنية، وتدوين ذلك لإعلانها للغير، وهي خاصة بفئة معينة من أهل العلم والسير والسلوك.

الإشكال الخامس: التدبّر لا يختلف عن منهج الصوفية، لأنه ناظر إلى باطن القرآن.

الجواب: الصوفية هم من اعتمدوا التفسير الإشاري، لأنّهم «يقولون بعلم **(الإشارة)** وهو علم معاني القرآن الكريم من أسرارٍ عن طريق العمل به، ويسمّون هذا مذهب أهل الصفوة في المستنبطات الصحيحة في فهم القرآن...والصوفية يقرّرون، ويكرّرون تقريرهم، أنّ طريق الفهم الدقيق العميق للقرآن الكريم مفتاحه العمل بالقرآن، ولذلك يقول أبو سعيد الخزّار: وأوّل الفهم لكتاب الله عزّ وجلّ العمل به، لأنّ فيه العلم والفهم والاستنباط، وأوّل الفهم إلقاء السمع والمشاهدة...،كما يرون الصوفية أنّ الذين تنكشف لهم الخزائن المذخورة تحت كل آية، بل تحت كل

حرف في القرآن الكريم، إنّما هم الراسخون في العلم»[1].

وأمّا بخصوص تفاسير الصوفية، قال عنها الغزالي: «لا يمنع من تفسير القرآن تفسيراً صوفياً، وإن كان يعارض التوسّع فيه إلى حدّ الاعتماد على الرموز والإشارات، يُفسّر﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه:١٢] بقوله: من يريد إدراك الوحدانية الحقيقية يجب عليه أن يطرح عن نفسه التفكير في الحياتَين الدنيا والأخرى. أي: يُقبِل على الله دون غرض وكل ما يُفكّر فيه هو رضا الله ومحبته...ويعقب الغزالي على هذا التفسير بقوله: لا تظنّ من هذا الأنموذج وطريق ضرب الأمثال رخصة مني في رفع الظواهر، واعتقاداً في إبطالها، حتى أقول مثلاً: لم يكن مع موسى نعلان، ولم يسمع الخطاب بقوله تعالى:﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ حاشا لله، فإنّ إبطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء إلى أحد العالَمَين، وجهلوا جهلاً بالموازنة بينهما، فلم يفهموا وجهه، كما أنّ إبطال الأسرار مذهب الحشويّة، فالذي يجرّد الظاهر حشويّ، والذي يحرّر الباطن باطنيّ، والذي يجمع بينهما كامل...بل أقول: موسى فهم من الأمر بخلع النعلين، طرح الكونَين، فامتثل الأمر ظاهراً بخلع النعلين، وباطناً بخلع العالمَين»[2].

و«من المفسرين من يجمع في تفسيره للقرآن الكريم بين الظاهر وطريقة

(١) العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده: ص٢١٠-٢١٣ .

(٢) انظر: المصدرالسابق: ص ٢١٤.

الباطن، فإذا أورد آية ذكر تفسيرها الظاهري، ثم أتبعه بتفسيرها الباطن، وممن اتّبع هذه الطريقة هو الحسن بن محمد النيسابوري في كتابه(**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**) وقد طُبع على هامش تفسير الطبري، وقد ألّف النيسابوري هذا التفسير في أوّل القرن الثامن الهجري. وكذلك الآلوسي في تفسيره (**روح المعاني**)، فنجده يفسّر الآية تفسيراً ظاهرياً، ويذكر ما يتعلق بها، ثمّ يقول: من باب الإشارات، ويُورد بعض التفسيرات للصوفية، أو الإشارة للآية.»[1].

وخلاصة ما تقدّم: أنّ الصوفية يقولون بعلم الإشارة وقد اعتمدوا منهج التفسير الإشاري، وهم يؤكّدون على أنّ فهم كتاب الله تعالى مفتاحه العمل بالقرآن، كما يرون أنّ من تنكشف له الخزائن في القرآن الكريم خاصّ بفئة معيّنة وهم الراسخون في العلم. والصوفية على فرقتين، كما هو واضح من كلام الغزالي، فالأولى هم الباطنية الذين أنكروا الظواهر، بمعنى: أنّهم يرون أنّ المعنى الحقيقي من التنزيل ما وراء ظاهر الآية، والثانية هم الذين جمعوا بين الظاهر والباطن وأسماه بالكامل، كما هو الحال في تفسير النيسابوري.

إذا تَبيّن لكم منهج الصوفية، فلننظر سَويّاً في الفرق بينه وبين التدبّر.

فنقول: إنّ من أنكر ظواهرالقرآن لا كلام لنا معه، لأنّ التدبّر يهتمّ

(١) انظر: المصدرالسابق: ص ٢١٧.

بالظاهر كما هو الحال في الباطن، وإنّما الكلام في الفرقة الثانية وهم الذين اهتمّوا بالظاهر والباطن ويقولون: إنّ هناك معنى ظاهرياً ومعنى باطنياً، وآراءهم هي أن يكونا معاً، وهو أصل الإشكال الصحيح، فمما يُميّز ذلك المنهج عن التدبّر هو:

١- يعتمد الصوفية منهج العمل بالقرآن، ثمّ بعد ذلك يفهموا معاني القرآن، ويستخرجون الأسرار والمعاني الحقيقية، بينما التدبّر على العكس تماماً فانطلاق المتدبّر للوصول إلى العمل والامتثال إلى أوامر الله هو القرآن، وذلك لأنّ القرآن هو الدستور وهو مُبيّن الأحكام فهو المنطلق الأوّل.

٢- منهج الصوفية عُدَّ منهجاً تفسيرياً للقرآن الكريم، وغاية المفسّر كما أوضحنا سابقاً هو كشف المعاني ومداليل الآيات، وتقريرها للغير، وذلك واضحٌ من خلال الكتب التفسيرية الباطنية لهم، وهو أيضاً مختصّ بفئة معيّنة وهم الراسخون في العلم. بينما التدبّر ليس منهجاً تفسيرياً وهو خاصّ بتوجه وتفاعل المتدبّر أمام الآيات القرآنية، ولا يقرّرها لغيره، وكذلك هو لعامّة الناس، وليس خاص بفئة معينة من الراسخين في العلم، أو أهل السير والسلوك.

***

المبحث الثاني

نماذج من التدبر

نماذج من التدبّر الظاهري

لا حدّ ولا حصر لوجوه وصور التدبّر الظاهري، بمعنى أنّ للتدبّر غايات ومقاصد، وهو يَتّبِع إدراك الشخص وأهدافه، فمن نظر إلى وجوه فصاحة القرآن وبلاغته، فإنّه قد تَدبّر، ومن نظر إلى لطائفه اللغوية، أو معانيه البيانية وما اشتملت عليها من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فإنّه قد تَدبّر أيضاً، وهكذا في أحوال يوم القيامة وأوصاف الجنّة والنار، وأوصاف المؤمنين والكافرين، فإنّه قد تَدبّر أيضاً، أو إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرَّ بآية فيها تعويذ عوّذ، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ينبغي للعبد إذا صلّى أن يرتّل في قراءته، فإذا مرَّ بآية فيها ذُكر الجنّة و ذُكر النار سأل اللّه الجنّة و تعوّذ بالله من النار، و إذا مرَّ بـ (يا أيها الناس) و(يا أيها الّذين آمنوا) يقول: لبّيك ربّنا**»[1]، وعنه عليه السلام قال: «ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مرَّ بآية فيها مسألة، أو تخويف أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو و يسأل العافية من النار ومن العذاب»[2]، والعُمدة في التدبّر بظواهر الآيات هو تأثّر القلب بما يقرأ، أو يسمع، ولا يتمّ ذلك إلّا بحضوره وخشوعه عند التلاوة، فإذا كان الجبل الذي يُمثّل

(١) الهاشمي، ميرزا حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١٢، ص ١١٤.

(٢) المصدر نفسه.

أكبر قوّة للجماد والقسوة يخشع ويتأثّر إذا نزل عليه القرآن، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر ٢١]، فكيف بقلب العبد المؤمن؟!، وإذا كان الجنّ يخشع ويتأثّر عند سماعه القرآن ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]، فكيف بالإنس الذي من أجلهم نَزَل القرآن؟!، وقد كان نبيّنا محمد ﷺ من بين الخلق أشدّ تأثيراً بالقرآن، كما وَرَدَ في حاله وتأثّره عند سماع القرآن «**أنّه قال رسول الله ﷺ لإبن مسعود: إقرأ عليَّ، قال: فتَحتُ سورة النِّساء فلمَّا بلَغتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾**[1] **رأَيتُ عينيه تَذرفان من الدَّمعِ، فقال لِي: حسبُكَ الآن**»[2]، وهو من قال: «**إنّ القرآن نَزَل بالحُزن، فإذا قرأتموه فأبكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا**»[3].

وكذا في أهل بيت النبوّة عليهم السلام ورد: «**عن ابن حُبَيش قال: قرأتُ الْقرآن من أوّله إلى آخره في المسجد الجامع بالكوفة على أَمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال: فلما بلغتُ رأس العشرين من ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ**

---

(١) النساء: ٤١.

(٢) النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ج٤، ص ٢٧٧.

(٣) علم الهدى، علي بن حسين، أمالي المرتضى: ج٢، ص: ٤٥٣.

رَبِّهِمۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[1] **بكى أمير المؤمنين عليه السلام حتّى علا نَحيبه»**[2].

وخير أنموذج أقدّمه في التدبّر الظاهري من تأثّر القلب بآيات القرآن والامتثال لها، هي قصّة **(الفضيل)** عند سماعه لقول الله تعالى: ﴿**أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ**﴾ [الحديد: ١٦]، حيث وَرَدَ فيه: «**كانت سبب توبته أنّه عشق جارية فواعدته ليلاً، فبينما هو يرتقي الجدران إليها؛ إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، فرجع القهقرى وهو يقول: بلى والله قد آن، فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعه من السابلة، وبعضهم يقول لبعض: إنّ فضيلاً يقطع الطريق. فقال الفضيل: أواه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني! اللهمّ إنّي قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام**»[3].

وأصبح واضحاً للقارئ العزيز من أنّ القرآن بذاته يحمل شحنات مؤثّرة، ولا يحتاج منّا سوى انسجام وتناغم وجداني معه، لتمُسّ معانيه قلوبنا، وذلك بحسن التوجه والإنصات.

---

(١) الشورى: ١-٢٢.

(٢) علم الهدى، علي بن حسين، أمالي المرتضى: ج٢ ، ص : ٤٥٣.

(٣) الطبري، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج١٧، ص٢٥١.

نماذج من التدبّر الباطني

١ـ حقيقة الميزان في التدبّر[1]: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨ـ ٩].

قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢].

قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والسؤال هو: هل أنّ الميزان المُنزل من عند الله مع إنزال الكُتب وإرسال الرسل هو ميزان الأرز والشعير والتمر وغيرها؟!.

فلو جَرّدنا حقيقة معنى الميزان من المعاني المادية، لعلمنا أنّ حقيقة الميزان ليس من الواجب أن يكون مما له شكل مخصوص، أو صورة جسمانيّة، فإنّ حقيقة الميزان هو ما يُقاس ويُوزن به الشيء، والشيء أعمُّ من أن يكون جسمانياً، أو غير جسماني، فالقُبّان ميزان للأثقال، والشاقول

(١) انظر: الشيرازي، محمد، الحكمة المتعالية: ج٩ ، ص٢٩٩ ، بتصرف.

ميزان لمعرفة الأعمدة، والمسطرة ميزان لاستقامة الخطوط، وعلم المنطق ميزان للفكر يعرف به صحيح الفكر من خطأه، وعلم النحو ميزان للإعراب والبناء، وهكذا.

وبالجملة: ميزان كل شيء من جنسه، فالموازين مختلفة، والميزان المذكور في القرآن ينبغي أن يُحمل على أشرف الموازين، وهو ميزان يوم الحساب في الآخرة. وأمّا في الدنيا، فهم الأنبياء، والأولياء، كما وَرَدَ في الروايات، فإنّه قد سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ**﴾[1]، فقال: «**الموازين هم الأنبياء والأولياء**»[2]. فهي واضحة للمتدبّر بأدنى تأمّل من الآية الأولى: ﴿**وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ**﴾ **[الحديد: ٢٥]**.

ومجمل الاستفادة هنا: أنّ لأهل السلوك محاسبة ومراقبة وموازنة بأن يزنوا كل ليلة حسناتهم وسيئاتهم الصادرة عنهم، فإن زادت السيئات تداركوها بالتوبة، والذكر، والطاعة، وإن زادت حسناتهم اليومية وازنوها بنعم الله تعالى، فيرجعوا إليه مستغفرين، مستحيين من فضله وكرمه، وعلِموا: أنّ طاعتهم بتوفيقه وتسديده، وهي من أعظم نعمائه لهم.

٢ـ الأسباط الهداة وسفينة النجاة[3] : قال تعالى: ﴿**وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ**

---

(١) الأنبياء:٤٧.

(٢) البحراني، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن: ج٥، ص٨٥٤ .

(٣) انظر: الخصيبي، حسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص٤١٩، بتصرف.

﴿ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ [يونس: ٩٠].

فالظاهر معلوم، وذلك: حين ما أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل، وعقبهم فرعون وجنوده، وأراد الله إهلاكه، ففرق البحر لبني إسرائيل، وأنجاهم من فرعون وجنوده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥].

وأمّا في الباطن: فالمستفاد من الآية: أنّ الأئمّة عليهم السلام، هم الأسباط الهداة وسفينة النجاة والطود العظيم، فالبحر: هو الدنيا، كما قال علي عليه السلام: «**الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير**»(١).

وبنو إسرائيل: هم بنو علي، كما نقرأ في الزيارة: «**السلام على إسرائيل الأمّة**»(٢)، فيكون قول النبيّ صلى الله عليه وآله واضحاً: «**أنا وعلي أبوا هذه الأمة**»(٣)، فإسرائيل هو الإمام علي عليه السلام، وبنوه هم شيعته، ومفرق البحر: هو رسول الله يقسم الدنيا لهم(٤).

ولا عَجَبَ في ذلك، فقد وَرَدَ عن الإمام الصادق عليه السلام في رواية طويلة: «**يا مفضل لو تدبّر القرآن شيعتنا لما شكّوا في فضلنا**»(٥).

---

(١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج٢ ، ص١٦٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٣٣٠.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص١١٨.

(٤) الخصيبي، حسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص٤١٩.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٣ ، ص٢٦.

المحصلة من النموذجين في التدبّر الباطني:

الأوّل: التدبّر بالميزان المذكور في الآيات الكريمة والعبور من ظاهر الآية إلى باطنها بأنّه ليس من الميزان المتعارف ما له صورة مرسومة في الذهن، وذلك من خلال ذكر الشاهد والقرينة النقلية بأنّ الأنبياء والأولياء هم الموازين، وكذلك من القرينة العقليّة بأنّه لا يمكن أن يكون ميزان يوم القيامة ما يكال به الأرز والشعير، لأنّ الأعمال ليست كذلك، ثمّ الانتفاع بأنّ موازنة أعمال العباد تتم حسب ميزان الأنبياء، فإن كانت موافقة لمنهجهم، ثقُلت تلك الموازين فهم في عيشة راضية، وإن خالفَتهم خفّت موازينهم فأمُّهم هاوية، ثمّ الامتثال باتّباع منهجهم عليهم السلام.

وأمّا الثاني: كان التدبّر في معرفة مقام محمد وآل محمد عليهم السلام وشيعتهم، وبحسب الشواهد النقلية من الروايات، حيث تمّ العبور من ظاهر الآية التي لم يُنكَر وجود بني إسرائيل ونبيّهم موسى عليه السلام وحادثة شقّ البحر، إلى باطنها الذي له علاقة ومناسبة بين ظاهرالكلام بورود لفظة **(إسرائيل)** على أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ الامتثال بركوب سفينتهم المنجية من بحر الدنيا.

***

المبحث الثالث

منهجنا في التطبيق

منهجنا في التطبيق

قال تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨]، وقال تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة: ١٤٨] .

على ضوء ما تقدّم من مباحث أوضحنا فيها مفهوم التدبّر الصحيح وكيفيته، وأنّه يصلح أن يكون مرتكزاً رئيسياً ومنطلقاً لكل من أراد أن يتدبّر في آيات القرآن الكريم.

وكثيراً ما أوضحنا أنّ أصل التدبّر هو: عملية تفاعلية تخضع لحضور قلب المتدبّر نفسه، وما يتأثّر به حين قراءته وسماعه لكلام خالقه، وليس هو عملية تفسيرية حتى تُدوّن به الكتب وتملئ به الصحف، فمجاله مختلف تماماً عن التفسير الذي يتمّ به كشف المعاني عن ألفاظ القرآن، فكل ما يُكتب في التدبّر الصحيح ليس من هذا النوع ولا يعني أنّه كشفٌ لمعاني القرآن، ولا أنّه إبراز لحقائق ونكات استخرجت من النص القرآني، لتكون هي المستنبطة وحدها لا غير، وإن توفّرت كل الدواعي والأسباب من مراعاة الضوابط واستيعاب المطالب السابقة في فهم التدبّر، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، ونعني بذلك: أنّ أذهان الناس متفاوتة في الفهم والاستيعاب، والأصعب من ذلك أنّه مهما وصَلَ إليه المتدبّر كان ذلك في مقام التحصيل الذهني، أمّا كيف سيترجمه

ويخرجه بشكل مكتوب، فيرجع ذلك إلى خبرة مستقلّة ومختصّة في فنّ الكتابة واختيار العبارات التي تتناسب وتليق بما وصَلَ إليه، باعتبار أنّ القارئ لا يستطيع أن يستوعب الحقيقة التي قد وصَلَ إليها المتدبّر إلّا من خلال الحروف والكلمات المُبيِّنة، لذلك ليس من الضرورة أن تُترجم هذه المواعِظ، والحِكم المستخرجة من كل شخص تَدبّر وفُتِح قلبه ومَسّ آيات القرآن الكريم.

نعم؛ هو منطق القرآن نفسه عندما يُريد أن يُبيّن حقائق عن الجنّة والنار ونحوها، نجده يتكلّم عنها بما يُشبه المصاديق المحسوسة، فيصف ما فيها من أشجار وأنهار وما شابه من معاني نعرفها ونتعقّلها، ثمّ يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [**العنكبوت: ٤٣**]. ولكن قد يَصعُب ذلك كثيراً على من كان دون المعصوم.

وبمعنى آخر: أنّه لا عاصم للمتدبّر عند تقديم شيء من تأمّلاته، ويستعرضها بشكل كلمات وعبارات تليق وتتناسب مع الحقيقة القرآنية، أو تتطابق مع ما استخرجه في مقام التحصيل.

لذلك فأنّ ما يُدوّن في هذا المجال لا دخل له بأصل التدبّر وفهم القرآن من قبل عامّة الناس، أو قدرة استيعابهم وادراكهم له، فإن لم يكن فهم القرآن ممكناً فلا معنى ولا قيمة للحثّ على تدبّره.

وبعبارة أخرى: أنّ ما يُكتب في تدبّر القرآن الكريم قد يُحدَّد بفئة متخصّصة في فنّ الكتابة والتأليف، وهذا لا يتعارض مع الأصل في التدبّر، وهو أنّه مُتاحٌ لعامّة الناس ولكل شخصٍ قد فُتِحت مسامع قلبه

لكلام رب العالمين.

وكذلك فأنّ كلامنا سابقاً في أنّ تفاعل المتدبّر مع الآيات واستنطاقها ليس تفسيراً حتى يقرّره للغير، لا يتعارض مع ما نقدّمه من تأمّلات وأطروحات، وذلك لأنّ الحال هنا من أسلوب ومنهج تطبيقي يكون مُكمّل لمِا قدمناه من مباحث سابقة وهدفها التعليم والتفهيم، وإيصال الفكرة كاملة بفصليها النظري والتطبيقي؛ ليكون منهجاً تعليمياً بإذن الله تعالى.

وإذا اتضح هذا، فيمكن لنا أن نُلخص المنهج التطبيقي لنا بنقطتين أساسيتَين، وهما:

١- أنّ كلّ ما نُقدّمه في الفصل التطبيقي هو مُبتنٍ على قاعدة الأطروحة التي تعني أنّها خالية من جهة الجزم والقطع في بيان مراد الله تعالى، وإنّما هي فكرة مستخرجة من سور، أو آيات القرآن الكريم، وخيُر مَن عَرَّفَ الأطروحة هو الشهيد محمد صادق الصدرﷺ في كتابه (**منّة المنّان في تفسير القرآن**)، وقد اعتمد عليها في بيان مراده في كثير من كتبه، ومضمونها: أنّها فكرة مُحتَمَلة قابلة للأخذ، أو الردّ، أو النقاش، أو التطوير، وهي ليست على نحو الجزم والرأي[1].

بمعنى: أنّ من يَعتمد على هذه الطريقة **(أي: نظام الأطروحة)** ويُقدّم نكتة قرآنية، أو حِكمة مُستنبطة، أو موعِظة مُستخرجة لا يعني ذلك أنّه

(١) انظر: الصدر، محمد صادق، منّة المنّان في تفسير القرآن: ج ١، ص١٢، بتصرف.

قد فَسّر القرآن، وإنّما هي أفكار وتأمّلات لا أكثر، فلا دخل لها بالتفسير أولاً، وخالية من القطع ثانياً. وبما أنّها فكرة ولم تخالف الشريعة المقدسة، ولا سنّة النبيّ، ولا عُرف العقلاء، فلا مانع من طرحها ويبقى قبول هذه الأطروحة، أو رَدّها راجعاً للقارئ نفسه.

لذلك على القارئ العزيز أن يفهم أسلوبنا ومنهجية طرحنا قبل شروعه بقراءة التأمّلات والرؤى والمفاهيم المطروحة في الفصل التطبيقي، وإلّا فإنّه قد لا يستسيغ الطرح، أو يذهب بعيداً عما أردناه من نفع الناس، وخدمة كتاب الله المبارك.

٢- قد يعتمد المتدبّر ومن أراد أن يطرح تأمّلاته وما استخرجه من حقائق ينتفع بها الآخرين، على اتجاهه وصبغته التي يتلبّس بها، كما لو كانت صبغة الكاتب تأريخية مثلاً، فسنجد أنّ كتابته تَطبّعت، واعتمدت على الجانب التأريخي، وكذا لو كانت أخلاقية، أو فلسفية وما إلى ذلك، فإنّنا نجد أنّ الكاتب يدور حول ما يحمله من اتجاه وبُعد فكري، وذلك سيكون واضحاً في تأمّلاته ومفاهيمه التي استخرجها ودَوّنها بأدنى تأمّل، سواء قصد بيان وإيضاح ذلك، أم لم يقصد.

لذلك قد حاولنا أن نُقدّم أكثر الأبعاد وأهمها، أي: العقائدية والتأريخية والأخلاقية والفلسفية والمعرفية، حتى يكون البحث أكثر مقبولية لأكبر عدد من الناس، وما هو إلّا أنموذجٌ وطريقٌ للتعلّم، ويبقى الباب مفتوحاً لكلِ مُتدبّر، والتزوّد من المائدة القرآنية النازلة من ربّ السماء.

سبب بدايتنا في التدبّر من سورتي الكهف ويوسف عليهما السلام:

قد يتسائل البعض عن سبب البدء بمشروعنا التدبّري من سورة الكهف،

فنُجيب: بأنّ سورة الكهف تحتوي على مضامين ودلالات تلامس واقع حياتنا اليومية وهي الأكثر قُرباً من الأحداث التي نمرّ بها في واقعنا المعاش، ومن هنا ورد التأكيد على قراءتها للوقوف على كنوز هذه السورة واستلهام العِبر والعِظات منها، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **«من قرأها يوم الجمعة، غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، وأعطي نوراً يبلُغ السماء، ووقي فتنة الدجال»**[1].

ولأنّنا مأمورون في التدبّر بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ** ﴾ [**محمد: ٢٤**]؛ ولأنّ القرآن الكريم قد رَسَمَ لنا حلاً لكل مشكلة، أو فتنة قد تعترض لنا، ما دام وقوع فتنة الدجال في زماننا أمراً محتملاً، فرأينا أن نبدأ مشروعنا في التدبّر بهذه السورة، ومن ثمّ نتدبّر في سورة يوسف عليه السلام والتي هي بدورها قد تكون الأقرب لقصّة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف منقذ البشرية والتي سنتناولها بعون الله تعالى مفصلاً، ثمّ لا نقف عند هذا الحد، بل المشروع في قصص القرآن الكريم كاملة إن شاء الله تعالى، لنقف على آياتها، ونتفاعل معها، ونأخذ العِبرة منها، بقصد الامتثال لأمر الله عزّ وجلّ، بإذنه وقوته سبحانه.

***

(١) الكفعمي، إبراهيم بن على، المصباح للكفعمي(جنّة الأمان الواقية): ص٤٤١.

كلمة أخيرة:

لا يمنع المتدبِّر ومن أراد فهم المعاني واكتشاف الحقائق أن ينظر للنص من عدّة جهات، والدخول له من عدّة مداخل، كما أوضحنا ذلك مراراً أنّ المتدبّر عليه أن يُعمّق تفكيره بأبعاد الآية ومن جميع جهاتها، فيتدبّر تارة بظاهرها، وأخرى يحاول أن يعكسها على نفسه وحاله، وواقعه المعاش، الذي هو باطن الآية.

ومن اعتمد هذا، فسيجد في نفسه تأثّراً وانجذاباً يقوده إلى العمل بمضمون آيات القرآن الكريم، وسَيحِلُّ في قلبه نوراً يهديه وينير له دربه، وعندئذٍ سيجد حاله قد تطوّرت وتغيّرت تجاه القرآن، كما سيشعر بالتألّق الروحي والمعنوي تجاهه، وكذلك من جهة سيره نحو الله تعالى، وبذلك فأنّه سيتغلّب على تحدّيات الحياة ومصاعب الدنيا. وقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لمن قرأ سورة الكهف: «**أُعطي نوراً يبلُغ السماء**»[1]، ومن مصاديق النور هو العلم، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء**»[2].

وقال تعالى عن سورة يوسف عليه السلام: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [**يوسف**: ١١١]، فلنقف على قول الله تعالى وقول نبيّه صلى الله عليه وآله بهاتين السورتين، والتي تحثنا على التدبّر، ولنجعلها انطلاقتنا الأولى.

ومن الله التوفيق..

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، منية المريد: ص١٦٧.

الفصل الثاني

الجانب التطبيقي في التدبر

المبحث الأول

التدبر التطبيقي في سورة الكهف

المحور الأوّل

سورة الكهف ومعاني مفرداتها

سورة الكهف ومعاني مفرداتها

تَقَدّم الكلام في أنّ معرفة معاني المفردات القرآنية يكون مقدّمة لتدبّر القرآن، والغور في مضامينه، ولكي نوفّر للقارئ الوقت في مراجعة معاني المفردات القرآنية والتي هي الطريق للتدبّر، وضعنا السّورة ومعاني مفرادتها بين يديه اختصاراً للوقت وتسهيلاً للوصول إلى الغرض المنشود[1].

فواتح السورة المباركة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا[2] ﴿١﴾ قَيِّمًا[3] لِّيُنذِرَ بَأْسًا[4] شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ[5] وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا[6] ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا

---

(١) انظر: هويدي، محمد، التفسير المعين: ص٢٩٣.

(٢) اختلال في اللفظ وتناقض في المعنى (والعوج عدم الاستقامة).

(٣) مستقيماً معتدلاً.

(٤) عذاباً.

(٥) صادر من عنده سبحانه.

(٦) لابثين فيه الى ما نهاية.

﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ (١) كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن
يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ (٢) نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا
ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ (٣) أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا (٤) جُرُزًا (٥)﴾.

قصة اصحاب الكهف:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ (٦) كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ
أَوَى (٧) ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
رَشَدًا (٨) ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ (٩) فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ
بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ (١٠) أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا (١١) ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم

---

(١) عظمت.

(٢) مهلك وقاتل نفسك.

(٣) لنختبرهم.

(٤) أرضاً مستوية.

(٥) لا نبات فيها.

(٦) لوح من رصاص رقم فيه حديثهم وأسمائهم.

(٧) التجأ.

(٨) أي: نكون به راشدين مهتدين.

(٩) أنمناهم نوماً ثقيلاً بحيث لا يسمعون.

(١٠) المؤمنين والكافرين.

(١١) مدّة.

بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ
قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا
شَطَطًا (١) ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ (٢) إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ (٣) لَكُم
مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (٤) ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ (٥) عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ (٦) ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ (٧) ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾
وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ (٨) ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ (٩) لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ
رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ

---

(١) مجاوزاً للحق: والشطط: الخروج عن الحد.

(٢) إلتجؤوا.

(٣) يسهل.

(٤) ما ترفقون به أي تنتفعون به في عيشكم.

(٥) تميل.

(٦) تتجاوزهم وتميل عنهم.

(٧) أي: متّسع من الكهف.

(٨) مادّ.

(٩) فناء الكهف.

قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ (١) هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ (٢) طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ (٣) وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ (٤) يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ (٥) لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ (٦) فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ (٧) إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ (٨) أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ

---

(١) أي: الدراهم الفضيّة.

(٢) أطهر وأحلّ.

(٣) أي: ليدقّق ويتخفى حتى لا يعرف.

(٤) ليطّلعوا ويعلموا بمكانكم.

(٥) أطلعنا عليهم أهل مدينتهم.

(٦) لا شكّ.

(٧) لا تجادل في عددهم.

(٨) ولا تسأل آحداً من أهل الكتاب عنهم.

مِنْ هَٰذَا رَشَدًا(١) ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ(٢) فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ
ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن
دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

الآيات التي أعقبت القصة:

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ
عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا(٣) ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن
وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ(٤) وَإِن يَسْتَغِيثُواْ
يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ(٥) يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا(٦) ﴿٢٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ(٧) تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا

(١) أقرب من أصحاب الكهف دلالة ورشداً على أنّي نبي

(٢) مكثوا.

(٣) إفراطاً وتجاوزاً عن الحدّ.

(٤) فسطاطها شبّه به النار المحيطة بهم أو حائط من نار.

(٥) كالمذاب من المعادن أو كالزيت المغلي.

(٦) ساءت النار متّكأً.

(٧) إقامة وخلود.

خُضْرًا مِّن سُندُسٍ (١) وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ (٢) نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾.

قصّة صاحب الجنتين:

﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ (٣) مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا (٤) بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٥) ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٦) ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ (٧) رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ (٨) هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن

---

(١) رقيق الديباج (الحرير) .

(٢) السرر بالحجال (ذات عجلات) .

(٣) بستانين.

(٤) أحطناهما.

(٥) أعوان وعشيرة.

(٦) مرجعاً وعاقبة.

(٧) صيّرك: جعلك.

(٨) لكن أنا أقول.

يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا (١) مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا (٢) زَلَقًا (٣) ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا (٤) فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ (٥) فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ (٦) عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا (٧) وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾.

الآيات التي اعقبت القصّة:

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٨) ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا (٩) تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ (١٠) خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ

---

(١) عذاباً كالصواعق.

(٢) أرض مستوية لا نبات فيها.

(٣) ملساء تزّل بها القدم.

(٤) غائراً ذاهباً في باطن الارض.

(٥) أهلك ثمره.

(٦) كناية عن التأسّف والحسرة.

(٧) خالية قد سقط بعضها فوق بعض.

(٨) أحسن عاقبةً لأوليائه.

(٩) مكسراً مفتتاً.

(١٠) العبادات وأعمال الخير التي يبقى ثوابها أبداً.

بَارِزَةً(١) وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ(٢) مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا
كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى
ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ(٣) وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا(٤) مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ
رَبِّهِۦٓ ۗ(٥) أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ
بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ
مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا(٦) ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا(٧) ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم
مُّوَٰقِعُوهَا(٨) وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا(٩) ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا(١٠) فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ

---

(١) ظاهرة.

(٢) فلم نترك.

(٣) خائفين مما فيه من الأعمال السيئة.

(٤) هلكنا، دعاء على أنفسهم بالهلاك.

(٥) خرج عن طاعة ربّه.

(٦) أعواناً.

(٧) اسم واد في جهنّم.

(٨) واقعون فيها.

(٩) موضعاً ينصرفون إليه.

(١٠) لقد بيّنا.

مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ (١) أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ (٢) بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً (٣) أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ (٤) وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا (٥) ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾﴾.

قصة موسى والخضر عليهما السلام:

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ (٦) لَآ أَبۡرَحُ (٧) حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ (٨) أَوۡ

---

(١) طريقة الله التي أجراها على الأمّم السابقة.

(٢) ليبطلوا ويزيلوا.

(٣) أغطية ساترة.

(٤) صمّماً وثقلاً.

(٥) ملجئاً ومنجى.

(٦) يوشع بن نون.

(٧) لا أزال أسير.

(٨) ملتقى بحر فارس والروم.

أَمْضِيَ حُقُبًا [1] ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا [2] قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا [3] ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ [4] إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ [5] فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا [6] عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا [7] ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا [8] ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى [9] مِنْ أَمْرِى عُسْرًا [10] ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا

---

(١) أسير دهراً طويلاً.

(٢) فلما تعديا مجمع البحرين.

(٣) تعباً وشدّة.

(٤) التجأنا.

(٥) نطلب.

(٦) من عندنا.

(٧) علماً ذا رشد وصواب.

(٨) عظيماً منكراً.

(٩) لا تكلّفني، لا تحمّلني.

(١٠) صعوبة ومشقّة.

فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ[1] بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ
إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ
مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟[2] أَن
يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ[3] فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ
أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ[4] مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾
أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم[5] مَّلِكٌ
يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا
طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا[6] ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً[7] وَأَقْرَبَ رُحْمًا[8] ﴿٨١﴾
وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا[9] وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا
فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

---

(١) طاهرة من الذنوب.

(٢) امتنعوا.

(٣) يقرب أن يسقط، والانقضاض: السقوط.

(٤) بالتفسير.

(٥) أمامهم أو خلفهم ورجوعهم عليه.

(٦) بإتّباعهما له وذلك لحبهما إبنهما.

(٧) طهارة من الذنوب.

(٨) أقرب رحمة وعطفاً على والديه.

(٩) يبلغا رشدهما وكمال عقلهما.

قصة ذي القرنين:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ (١) قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ (٢) فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ (٣) مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ (٤) وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا (٥) ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ (٦) وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٧) ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (٨) مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا

---

(١) عبداً صالحاً أحب الله فأحبه أو كان من الملوك الصالحين.

(٢) أي: بسطنا يده وملكناه.

(٣) فاعطيناه ويسرنا له.

(٤) الحمأ: الطين الأسود، أي: تغرب عند شاطئ بحر ساحله طين أسود.

(٥) منكراً غير معهود.

(٦) يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه أوّلاً من الأرض.

(٧) ساتراً من اللباس والبناء والشجر والكهوف.

(٨) قبيلتان من ولد يافث بن نوح.

مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (١) ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ (٢) حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ (٣) قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٤) ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَٰعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ (٥) وَمَا اسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا (٦) ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ (٧) فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا (٨) ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ (٩) أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠) ﴿١٠٦﴾ ۞.

---

(١) حاجزاً حصيناً.

(٢) قطعة الحديد على قدر الحجارة يبنى فيها.

(٣) جانبي الجبلين.

(٤) نحاساً مذاباً.

(٥) أن يعلوه ويصدّوه، يقال ظهرت السطح إذا علوته.

(٦) خرقاً.

(٧) يضطرب ويختلط بعضهم ببعض.

(٨) منزلاً.

(٩) بطلت وضاعت.

(١٠) مهزوءاً بها.

خاتمة السورة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا[1] ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا[2] ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾.

صدق الله العلي العظيم

---

(١) تحوّلاً وانتقالاً.

(٢) عوناً وزيادة.

المحور الثاني

الأطروحات في سورة الكهف

الأطروحة الأولى في سورة الكهف[1]

الوقاية من الفتن هي المحور الرئيسي في هذه الأطروحة، ولأجل التوصل إليها لا بأس بثلاثة طُرق نطرحها على شكل أسئلة:

١ ـ ما هو موضوع السّورة العام؟

٢ ـ ما هو سبب تسمية السّورة بالكهف؟

٣ ـ هل توجد مناسبة بين فواتح السّورة وخواتيمها؟

جواب السّؤال الأوّل:

سورة الكهف هي من السّور المكيّة، وهي إحدى خمس سور بدأت بـ **(الحمد لله)**، وهن: **(الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر)**.

---

(١) هذه الفكرة مقتبسة ومستفادة من عدة مصادر، مع تصرفنا بانتقاء ما يناسب منها، والإضافة عليها بما وفِقنا إليه. والمصادر هي: ١- الموقع الإلكتروني لموسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، تفسير سورة الكهف. ٢- منتدى الدرّر السنية، مقالة مرفوعة باسم عروس القرآن، تفسير سورة الكهف. ٣- العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، تفسير سورة الكهف. ٤- ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، تفسير سورة الكهف. ٥- محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، تفسير سورة الكهف. وقد اقتبسنا المخطط مع التغيير في آخر الأطروحة الأولى من موقع(خرائط المفاهيم).

وهذه السّورة ذكرت أربعة قصص قرآنية هي: **(أهل الكهف، صاحب الجنّتين، موسى والخضر عليهما السلام، ذو القرنين)** وهذه القصص يربطها محور واحد، وهو: أنّها تجمع الفتن الأربعة في الحياة وهي:

فتنة الدِّين: **(قصّة أهل الكهف)**.

فتنة المال والولد: **(صاحب الجنّتين)**.

فتنة العلم: **(قصّة موسى والخضر عليهما السلام)**.

فتنة القوة والسلطة: **(قصّة ذو القرنين)**.

وأنّ هذه الفتن شديدة على الناس، والمحرّك الرئيسي لها هو الشيطان الذي يُزيّن هذه الفتن. لذا جاءت الآية وسط السّورة لتُحذّر من اتخاذ الشيطان وليّاً: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ **[الكهف: ٥٠]**، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أنّه من قرأها وقِي[1] من فتنة الدجال»**[2]؛ لأنّه هو من يأتي بهذه الفتن الأربعة ليُفتن الناس، ثمّ تأتي العصمة من هذه الفتنة بعد كل قصّة من هذه القصص التي تتحدّث كل واحدة منها عن فتنة من الفتن كما سيتضح ذلك.

---

(١) أي: عصمه الله تعالى.

(٢) الكفعمي، إبراهيم بن علي، المصباح للكفعمي(جنة الأمان الواقية): ص٤٤١.

القصّة الأولى: قصّة أصحاب الكهف (فتنة الدّين)

هم فتيةٌ هربوا بدينهم من قريتهم التي كان قد ضلّ مَلِكُها وأهلها عن الطريق المستقيم، فآوَوا إلى الكهف؛ ليكون ملاذاً لهم، وتركوا وراءهم منازلهم المريحة، ليسكنوا كهفاً موحشاً، فثبّتهم الله تعالى، وزاد في هدايتهم، وألهمهم به طريق الرشاد.

وهذا ليس بغريب على من ملأ الإيمان قلبه، فالمؤمن يرى الصحراء روضة إذا أحسّ أنّ الله معه، ويرى الكهف قصراً؛ لاستشعار السعادة بطاعة الله تعالى، وهؤلاء ما خرجوا طمعاً في الدنيا، أو في المال، وإنّما خرجوا طامعين في رضا الله تعالى، واختاروا أيّ مكان يستطيعون فيه عبادة الله تعالى دون قريتهم التي خرجوا منها.

نعم، إنّها لَفتنة في الدِّين، ففي كل زمان تظهر في العالم الإسلامي وغيره فتن، وبالطبع أنّ وجودها هو لأجل امتحان الناس وظهور الصادق من الكاذب والمدّعي للهداية من غيره، وتمييز الخبيث من الطيّب، ومعرفة السعداء من الأشقياء، وقد جاءَ في القرآن الكريم الإشارة إلى هذا الموضوع، كما في قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [**العنكبوت: ٢**]، ومن خلال النظر في حال مجتمعنا المعاصر نلاحظ: أنّ صفات الكمال الإنسانية قد سُلبت منه، واستبدل محلها الرذائل الشيطانية، كضياع الحياء منهم، الذي هو من الصفات الإنسانية العالية، وذهاب العفاف، حيث حلّ محله الاستهتار والتحلّل، وهكذا تضييع الحقوق، وكفران النعمة، وعدم تقدير الإحسان، والخدمة للآخرين، وفقدان الصدق في القول والعمل، وحلّ محلّها الكذب،

والخداع، والغشّ، والتحايل، والتلاعب.

والخلاصة: أصبح المجتمع البشري يتعامل أفراده فيما بينهم في تفاخر وبمنطق القوّة والغلبة في أغلب الأحيان. ومن واضحات الفتن هي: إسقاط علماء الدِّين في نظر المجتمع بشتّى الطرق، كإيجاد حالة التشاؤم والسخرية بهم، وإيجاد فجوة بينهم وبين المجتمع، وإطلاق الاتّهامات عليهم.

ومن جملة الفتن الدينية: هي البدعة في الدِّين، فهناك من يبتدع تيّارات جديدة في الإسلام، لتفريق وحدة المسلمين، وضرب الإسلام الحقيقي، وتشتيت الفكر الأصيل في أذهان الناس، وإلهاءهم في الصّراعات المذهبية والطائفية والدينية بقصد تضعيفهم وتشويه صورة الإسلام اللامعة.

وهذه الفتنة هي من أشدّ الفتن التي طفحت في المجتمع الإسلامي المعاصر، وتتجسّد العصمة من الانخراط فيها بما جاء عقيب قصّة أصحاب الكهف، حيث قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا * وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ [**الكهف: ٢٨ ـ ٢٩**].

فالعصمة من فتنة الدِّين تكون بمصاحبة الأخيار: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾، والابتعاد عن الأشرار: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾، وتذكّر الآخرة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾.

القصة الثانية: قصة صاحب الجنتين (فتنة المال والولد)

صاحب الجنّتين الذي أتاه الله كل شيء: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ **[إبراهيم: ٣٤]**، فقد انشغل بالأسباب وغَفلَ عن مسبّب الأسباب: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ **[الكهف: ٣٤]**، فكَفَرَ بأنعُم الله، وأنكر قيام الساعة: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ **[الكهف: ٣٦]**، فأهلك الله جنّتيه: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ﴾ **[الكهف: ٤٢]**، والأمر الذي يجدر التذكير به: هو عظم وصعوبة هذا الذنب وهو الشـرك، وحيث أنّنا سنتكلّم عنه لاحقاً في محور الفوائد العامّة في سورة الكهف سنوكل الحديث عنه في محله.

أمّا هنا فسنبيّن الشـرك في الاستعانة بالأسباب كما أُصيب به صاحب الجنّتين: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ **[الكهف: ٣٥]**.

نعم، إنّ خالق الكون جعل قاعدة الأسباب من ضمن إيجاده للعالم، فإيجاد كل شيء يستند إلى سبب، كوجود الثروة تستند إلى العمل، وحصول الشفاء من المرض يستند إلى التداوي، وهكذا في سائرالأشياء، وفي طبيعة الحال عندما يريد الإنسان أن يتوصّل إلى منفعة، أو أن ينجو من ضرر ما، فإنّه يلتجأ إلى أسبابها، فمن توهّم أنّ وصوله إلى مقاصده كان بالأسباب، وهي التي أوصلته دون النظر إلى مسبّب الأسباب، كان مشـركاً، ومن اعتقد أنّ الوصول إلى المنفعة، أو النجاة من الضـرر، بواسطة الأسباب، وهذه الأسباب هي مخلوقة من خالق الكون، وأنّ المؤثّر هو الله، وهذا التأثير متوقف على مشيئته وإرادته، ولم تكن هذه الأسباب مستقلّة

في التأثير، كان موحِّداً من هذه الجهة ولم يشـرك بربّه شيئاً، وهذا ما نراه منتشـراً بين أدنى مراتب أهل التوحيد فضلاً عن غيرهم.

وهذه المرتبة من الشرك تتجسّد في قصّة صاحب الجنّتين عندما رأى أنّ النعمة أتت نتيجة معونة أولاده وأمواله بنحوالاستقلال، في حين أنّها من عطاء الله، وقد أعطاها إياه امتحاناً له، ليشكرالله أم يكفر؟ فهي فتنة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، فالتعلّق بهما فتنة إذا كانت بديلاً عن التعلّق بالله، فصاحب الجنّتين أحبَّ النعمة من مال وولد بنحو الاستقلال، وقد خسـر النعمة، فهو لم يجنِ النفع الدائم، ولا يتمّ ذلك إلّا بإفراغ القلب من التعلّق بغير الله تبارك وتعالى.

وكذا فيمن يرى أنّ أولاده يغنونه بقوتهم ، فلا يحتاج إلى غيرهم، فيعرض عن أرحامه، وأصدقائه، ومن أحسنوا له اتّكالاً على الأسباب المادية فقط.

وتأتي العصمة من هذه الفتنة بقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩]، فقوله: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ متعلّق بالمال للزيادة، أو البركة فيه، وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ متعلّق بالولد؛ لأنّ فيه القوة والاستعانة. والعصمة من فتنة المال والولد واضح في الآية التي تختم القصّة: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ [الكهف: ٤٦].

***

القصّة الثالثة: قصّة موسى مع الخضر عليهما السلام (فتنة العلم)

كان موسى عليه السلام يظُن أنّه أعلم أهل الأرض، فأوحى الله تعالى له: أنّ هناك من هو أعلم منك، فذهب للقائه، والتعلّم منه[1]، فلم يصبر على ما فعله الخضر عليه السلام؛ لأنّه لم يفهم الحكمة من أفعاله، وإنّما أخذ بظاهرها فقط، كما في الموارد الثلاث وهي: (**خرق السفينة، و قتل الغلام، و إقامة الجدار**)، وتلقى بدلها صوراً وعناوين أخرى أوجبت اعتراضه عليه، وهو عليه السلام محافظ على توازنه وأدب التعلّم منه وملتفت إلى شرطه بأن يلتزم الصبر، وغيرذلك من دروس المعلّم و المتعلّم.

ومما يُستفاد من هذه القصّة: أن أهل العلم قد يُفتَنوا بعلمهم، بمعنى: أنّ كل علم لا يزيد صاحبه خوفاً من الآخرة وخشية من الله، فلن يكون له نافعاً، بل هو وبال على صاحبه، لذا قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ**﴾ **[فاطر: ٢٨]**، وما أكثر من تعلّم مصطلحات الفلسفة، والكلام، والأصول، والفقه ونحوها، وغفل عن أنّ قيمة العلم ليس بكثرة المعلومات، وإنّما المعلومات وسيلة لخشية الله والخوف منه والنجاة من عذابه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا**﴾ **[الإسراء: ١٠٧]**، بل منهم من يجعل العلم وما تعلّمه مطيّة للدنيا، يأمر الناس بالبّر وينسى نفسه، ويُزيّن كل ما يريده، وهو أقرب للمكر والحيل، ناهيك عما يصاب بعضهم بآفات الحسد والتكبّر على

(١) الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج٦، ص ١٨٣، بتصرف.

المتعلمين، أو على عموم الناس، ونحوها من آفات العلم التي قد كثُرت في هذا الزمان.

وتأتي العصمة من هذه الفتنة بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

فالإخلاص بالنية، والتواضع، وحُسن الظن بالأُستاذ، والصبرعلى تحصيل العلم، وعدم الغرور به، هو السبيل للنجاة من فتنة الغرور والتكبّر. وينبغي على العالم أن يعرف: أنّ علمه عطاء إلهي من دون استحقاق، فعليه أن يتواضع لمن يتعلّم منه، وأن يشفق عليه ويرحمه، ويسعى في تعليمه، كما أنّ الواجب على المتعلّم الخضوع والتواضع والاستجابة للعالم، ولو لم يكن لهذا العالم اسم وشهرة.

القصّة الرابعة: قصّة ذي القرنين (فتنة القوة، والسلطة)

ذو القرنين كان مَلِكاً عادلاً، وهو قد مَلك مشارق الأرض ومغاربها: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]، فكان يُعين الناس، ويدعو إلى الله، وينشُر الخير حتى وصَلَ إلى قوم خائفين من هجوم يأجوج ومأجوج، فأعانهم ببناء سدّ لمنعهم من اقتحامه، وما أكثر فتنة القوة والسلطة في أيّامنا هذه، حيث أنّ فتنة السلطان الغالب، والقوة القاهرة تقود إلى البطش، والظلم ابتداءً من بعض أرباب الأُسر وممارسة قوتهم على أُسرهم، وجعلهم أُسارى بين يديه انتهاءً بالحزب، أو الحركة، أو القائد، أو الرئيس الذي يقود قريته، أو عشيرته، أو بلدته، أو دولته، فيُفتَن بما أُوتي من قوة، وسلطة، فلا يحسُن سياسته، ولا يُشرك

أحداً في رأيه أو عمله على العكس مما قاله تعالى: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ **[الكهف: ٩٥]**، فينفرد ويستبدّ بعناده، ورأيه، وينسى أنّ ما عنده من قوّة أو سلطان، فهو من عند ربه، كما قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ **[الكهف: ٩٨]**.

وتكون العصمة من هذه الفتنة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ **[الكهف: ١٠٣ـ ١٠٤]**، بمعنى: أنّ العصمة من فتنة القوة والسلطة: هي بالإخلاص لله في الأعمال، وتذكّر الآخرة، ومشاركة الرجال عقولهم، ومشاورتهم آراءهم، وعدم التفرّد، والاستبداد؛ ليعينوه في الأعمال، ودفع المفاسد.

جواب السؤال الثاني:

لعلّ وجه تسمية هذه السّورة بالكهف؛ لأنّها العاصمة من الفتن، وأنّها رمز الدعوة إلى الله تعالى، والتسليم له، وكما وَرَدَ في دعاء الإمام الكاظم عليه السلام: **«ويا رجائي والمعتمد ويا كهفي والسند ويا واحد يا أحد...»**[1].

فالإمام عليه السلام يصف الله تعالى بالكهف، والملجأ الحصين، وفي دعاء الإمام الحسين عليه السلام: **«أنت كهفي حين تُعييني المذاهب في سعتها وتضيق بي الأرض برحبها»**[2]، وحيث أنّ المقصود من الكهف المادي هو: سترٌ

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات: ص٢٧١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، كتاب المزار- مناسك المزار(للمفيد): ص١١٩.

ووقايةٌ لمن احتمى به من الرياح والمطر والشمس وغيرها، ومقصودنا في هذه السّورة هو الكهف المعنوي بالوقاية من الفتن المختلفة، فالإلتجاء إلى كهف الله من تلك الفتن سيعصمُك من مخاطرها.

كذلك أنّ أوّل قصّة في تلك السّورة هي قصّة أصحاب الكهف، فقد يكون السبب في تسميتها بأوّل قصّة منها، والله أعلم.

جواب السؤال الثالث:

١ ـ أوّلها ذكر القرآن بعد حمده سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [**الكهف: ١**]، وهذه دلالة واضحة على أنّ جميع الفتن التي تواجه الإنسان، إنّما تُحلّ بالإلتجاء إلى القرآن، وفي آخرها أيضاً ذكر القرآن (**كلمات ربي**): ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [**الكهف: ١٠٩**].

٢- بدأت سورة الكهف بالعمل الصالح: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [**الكهف: ٢**]، وانتهت السّورة أيضاً بالعمل الصالح: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [**الكهف: ١١٠**]، ونفهم منها أنّه من وقى نفسه من الفتن وعمل صالحاً، فله البشرى التي ذكرها الله تعالى.

٣- في أوّل سورة الكهف ذُكِرَ الانذار، والتبشير: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [**الكهف: ٢**]، وفي آخرها قد ذُكِر أيضاً الإنذار والتبشير في آية [١٠٥ـ١٠٨]

***

الملخص:

١ ـ سورة الكهف هي كهفك من الفتن **(وفائدة الكهف: للعصمة من الأخطار الخارجية)**، فمن آوى إلى الكهف الإلهي فسينشـُر له ربّه من رحمته ويهيّئ له من أمره رشداً. والرشد: هو طريق الخير والصلاح، وأنّه لو قرأها في كل سبعة أيام، كما ورد: **«من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى»**[١]، وتذكر فتن الدجال، وما يأتي به، لتعلّم كيف يعصم الإنسان نفسه منها.

٢ ـ هناك مناسبة كبيرة بين **(سورة الكهف، ويوم الجمعة، وفتنة الدَّجال)** كما وَرَدَ في حديث النبيّ صلى الله عليه وآله: **«سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة، غفر الله له إلى الجمعة الأخرى... ووقي فتنة الدَّجال»**[٢].

ويوم الجمعة هو يوم قيام الساعة[٣]، وهو اليوم المتوقّع فيه ظهور الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف[٤]، ومن شروطها خروج الدَّجال، وظهور الفتن، فلو أنّك قرأتها في كل يوم جمعة لكانت سبباً في وقايتك ونجاتك من فتنة الدَّجال.

***

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، المصباح للكفعمي (جنة الأمان الواقية): ص٤٤١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٨٦، ص٢٨ .

(٤)اليزدي، علي بن زين العابدين، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب: ج٢، ص٨٥.

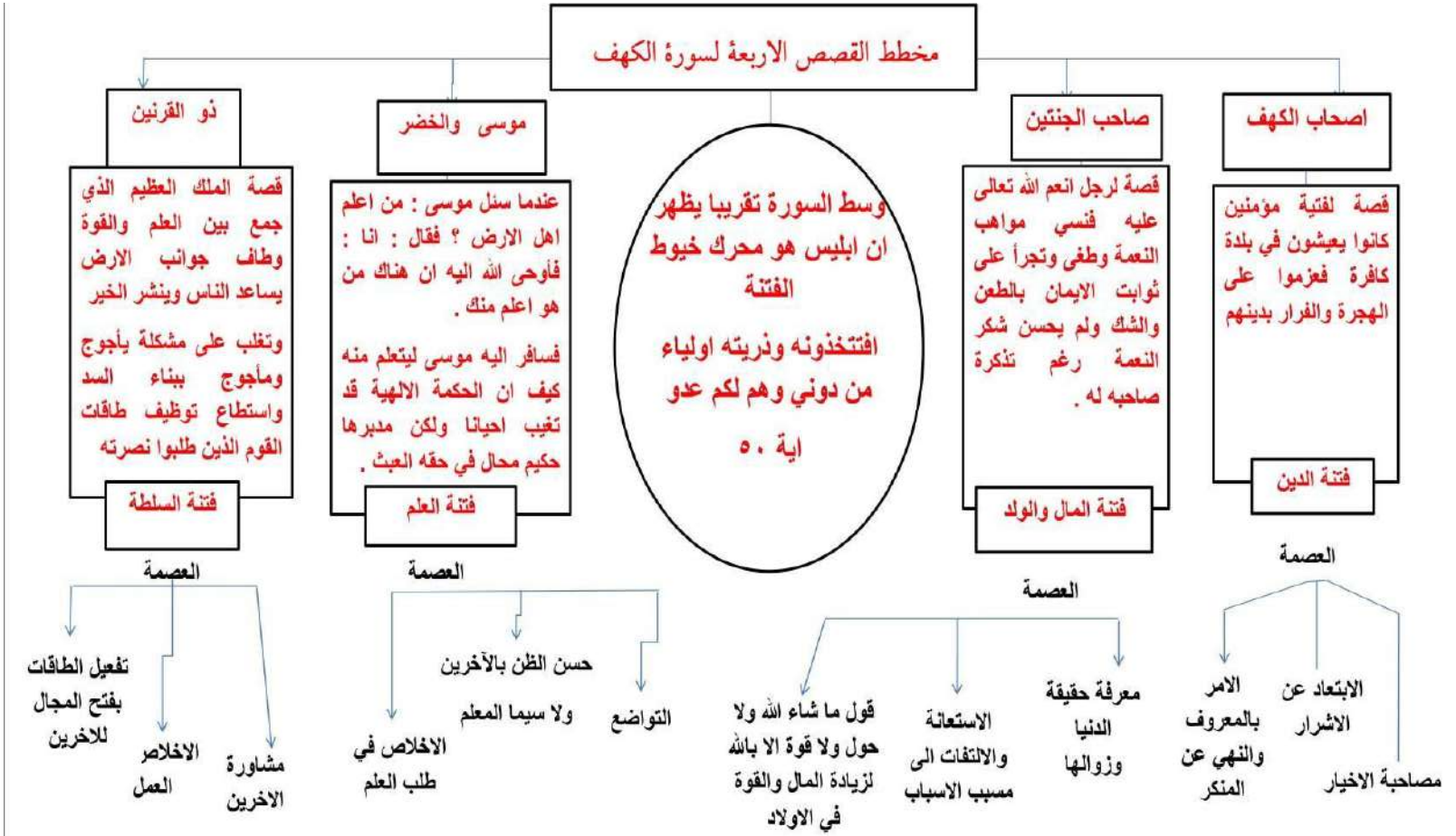
مخطط القصص الاربعة لسورة الكهف
اصحاب الكهف
قصة لفتية مؤمنين كانوا يعيشون في بلدة كافرة فعزموا على الهجرة والفرار بدينهم
فتنة الدين
العصمة
الابتعاد عن الاشرار
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
مصاحبة الاخيار
صاحب الجنتين
قصة لرجل انعم الله تعالى عليه فنسي مواهب النعمة وطغى وتجرأ على ثوابت الايمان بالطعن والشك ولم يحسن شكر النعمة رغم تذكرة صاحبه له .
فتنة المال والولد
العصمة
معرفة حقيقة الدنيا وزوالها
الاستعانة والالتفات الى مسبب الاسباب
قول ما شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله لزيادة المال والقوة في الاولاد
موسى والخضر
عندما سئل موسى : من اعلم اهل الارض ؟ فقال : انا : فأوحى الله اليه ان هناك من هو اعلم منك .
فسافر اليه موسى ليتعلم منه كيف ان الحكمة الالهية قد تغيب احيانا ولكن مدبرها حكيم محال في حقه العبث .
فتنة العلم
العصمة
التواضع
حسن الظن بالآخرين ولا سيما المعلم
الاخلاص في طلب العلم
ذو القرنين
قصة الملك العظيم الذي جمع بين العلم والقوة وطاف جوانب الارض يساعد الناس وينشر الخير
وتغلب على مشكلة يأجوج ومأجوج ببناء السد واستطاع توظيف طاقات القوم الذين طلبوا نصرته
فتنة السلطة
العصمة
تفعيل الطاقات بفتح المجال للاخرين
الاخلاص العمل
مشاورة الاخرين
وسط السورة تقريبا يظهر ان ابليس هو محرك خيوط الفتنة
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو
اية ٥٠

الأطروحة الثانية في سورة الكهف[1]

ضرورة التغيير هو المحور الأساسي في هذه الأطروحة ولأجل التوصّل إليه لابدَّ من النظر في طريقين:

الطريق الأول: التغيير المكاني في القصّة

لو تأمّلنا في كيفية تغييرالأمكنة والانتقال من مكان إلى آخر في القصص **(الكهف، مجمع البحرين ، المدينة، مغرب ومطلع الشمس)** لوجدنا أنّ القصص الثلاثة (**الفتية ـ موسى ـ ذو القرنين**) فيها انتقال واضح، أي: فيها تغيير للمكان، أو فيها حركة إيجابية، والقصّة الوحيدة التي فيها دخول فقط وانتهت القصّة سلباً هي قصّة: **(صاحب الجنّتين)**. لذا سيقع كلامنا في القصص الثلاثة التي فيها حركة ايجابية ونترك القصّة التي لا يوجد فيها تغيير إيجابي من جرّاء الحركة، كما سنوضّح ذلك لاحقاً.

---

(١) الفكرة مستفادة من موقع إسلاميات، تحت مقالة مرفوعة باسم: سورة الكهف وضرورة التغيير، د.عويض العطوي، ، لكنه أراد في فكرته التغيير المكاني الواضح من آيات القصص، ونحن أردنا مفهوم آخر وهو التغيير المعنوي (المراحل الأخلاقية)، لذا تصرفنا في بعض العبارات لتتناسب وتنسجم مع ما نريده، لتظهر بشكل جديد.

الطريق الثاني: التغيير المعنوي في القصّة

لو تأمّلنا جيداً في الانتقال، والتغيير، والحركة في القصص الثلاث، لوجدنا خريطةً، ومنهجاً مرسوماً للنجاح في هذه الحياة، وكذلك أهداف عظيمة تستحقّ أن نحيا من أجلها على الرغم من التعب، أو الجوع، أو الخوف، أو السفر، أو الانتقال، ولكن لأجل تحقيق هذا الهدف ألا وهو الوصول إلى السعادة، ولقاء الله بقلب سليم وأعمال صالحة، كان صلاح الإنسان مرتبطاً بعلاج القلب.

لذا تَعيّن العمل على إصلاحه بالتخلّي من الصفات المذمومة، والأمراض القلبية، وهذا ما نستفيده ونجده في القصّة الأولى **(أصحاب الكهف)**، حيث كان هؤلاء الفتية مترفين في المدينة لمِا فيها من النعيم، والترف، وأُنس الناس، ثمّ صاروا في عزلة وانفراد وتعب ووحشة، فإنّنا نجد في هذا التحوّل الوارد في القصّة دلالة واضحة على ضرورة التخلّي من كل عائق ومانع يوصل الفرد إلى عبادة الله تعالى، كما فَعَلَ الفتية والتجؤوا إلى كهفٍ حصين يقيهم من المخاطر الخارجية، بحيث استشعروا الأنس بمعية الله لهم رغم أنّهم يعيشون في عزلة وانفراد. والشيء نفسه لمن أراد أن يتخلّى من كل عائق ومانع وترفٍ ليصل إلى عبادة الله الحقيقية، واعتزال الموانع بكل أصنافها، والكهف هو الكهف المعنوي، وهو كهف الله الذي يَقِيكَ الأخطار بعد المجاهدات، بترك العوائق وسيستشعر بمعيّة الله أيضاً، كما حصل مع الفتية أصحاب الكهف.

فهجر النفس لما تعوّدت عليه من ملكات سيئة وتهذيبها وترويضها هو أوّل الخطوات نحو الكمال. والذي حصل للفتية بعد إيوائهم في الكهف: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ **[العنكبوت: ٦٩]**.

وهي نتيجة واضحة من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ **[الكهف: ١٦]**.

أي: نشرُ الرحمة عليهم وتهيئة أمورهم، فهذه مرحلة عظيمة يحبّها الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ **[البقرة: ٢٢٢]. بمعنى:** أنّه بدوام المراقبة، والتخلّي عما سوى الله عزّ وجلّ يَرقّ القلب ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ ويصبح مهيّئاً ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ للتحلّي بالأخلاق الطيبة النبيلة، والمثُل العليا، والتأسّي بسيد الخلق، وحبيب الحقّ ﷺ، كما وَرَدَ: **«تخلّقوا بأخلاق الله»**[1]، وجوهر هذه المرحلة هو: **(العلم والتعلّم)**، ولأنّ النفس خدّاعة فيحتاج الفرد إلى مرشد، ومربّي كما هو واضح في القصّة الثانية، وهي: **(قصّة موسى عليه السلام والعبد العالم)** التي تكشف لنا الإرشاد في أنّ التعلّم يحتاج إلى سفر، وتنقّل دائم، وأنّ تغيير مكان التعلّم مهم في تنويع مصادر المعلومة. وكذلك وضَّحَت هذه القصّة الصبر في طلب العلم، وحسن الظّن

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥٨، ص١٢٩.

بالمعلّم، والتواضع في العلم والتي تدوم بعد تطعيم النفس بالفضائل، وإروائها بالذكر، والشكر، وصدق التوبة، والانشغال بالتدبّر، والتفكّر، فهذه أيضاً مرحلة يحبّها الله ويقابلها بفتح أبواب التوفيق ومدّ أسباب المعونة، كما قال تعالى: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ٨٤].

بمعنى آخر: أنّ هذه الأبواب التي تُفتح، فهي تفتح إلى مرحلة التجلّي، وهو شأن إلهي، وتصرّف ربّاني يفعلُه الله تعالى بتلك النفوس التي قامت بالتخلّي، والتحلّي، ويفيض عليها أنوار معرفته وينظُر إليها بنظر الرحمة، واللطف، ويجعل تلك النفس مرضية ومستعدة لتلقي النفحات والفيوضات والإمدادات الربانية، فيتجلّى الحق تبارك وتعالى في قلب عبده المؤمن الصادق ويمُنّ عليه بما يشاء، وبما يستحق؛ ليصبح إنساناً إلهياً وينشُرالخير، وكما ورَدَ: **«يابن آدم أنا أقل للشيء كن فيكون، أطعني في ما أمرتك تقول للشيء كن فيكون»**[1].

وهو واضح من القصّة الثالثة: **(ذو القرنين)**، الذي أعطاه الله من أسباب التمكين وغلبة أمرالدِّين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ **[الكهف: ٨٤]**، فقد أوتي من الأسباب العجيبة ما لا يعلمها إلّا الله من العلم، والقوة التي بها يقهر الأعداء، ويبلُغ مشارق ومغارب الأرض،

(١) الحلي، أحمد بن محمد، عدة الداعي و نجاح الساعي: ص٣١٠ .

ويفهم عجمة الألسُن، ويذيب الحديد، ويبني السدود.

التغيير المعنوي المستفاد من التغيير المكاني

أولاً: قصّة الفتية، حيث انتقلوا من المكان الذي لم يستطيعوا فيه أن يعبدوا الله تعالى، إلى موضع آخر وهو الكهف، وهذه حركة، وانتقال واضح في موضوع القصّة الأولى ألا وهي: **(أصحاب الكهف)**.

ثانياً: قصّة موسى، فالانتقال فيها واضح، وذلك من خلال تتبّع الألفاظ التي تُشعر بالانتقال، كما في قوله تعالى: ﴿لَآ أَبۡرَحُ[1] حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ **[الكهف: ٦]**، وكان هذا الانتقال الأوّل، ثمّ حصل انتقال آخر من مجمع البحرين **(قرب الصخرة)** إلى موضع جديد يظهر أيضاً من تكرار كلمة **(فانطلقا)** ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ **[الكهف: ٧١]**، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ﴾ **[الكهف: ٧٤]**، ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ **[الكهف: ٧٧]** مع كل حدث من الأحداث **(السفينة، الفتى، الجدار)**. وبالتأمّل البسيط في هذه الأحداث من القصّة نجد تغييراً في المكان ومتابعة السير الواضح.

ثالثاً: قصّة ذي القرنين، فيظهر فيها الانتقال أيضاً من أوّل أحداثها، كما في قوله: ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ۞ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ

(١) أي: لا أسير.

فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ **[الكهف: ٨٥ ـ ٨٩]**، فإنّنا نجد في ذكر مغرب الشمس، ثمّ بعده مطلع الشمس ما يشير إلى سرعة التنقل، وإلى بُعده أيضاً.

وما نريد أن نقوله: أنّنا استفدنا من تغيير الأمكنة والانتقال في ظاهر الآيات من القصص إلى انتقال وتغيير آخر، ولكنّه انتقالٌ معنويٌ والمراد به: المراحل الأخلاقية **(التخلّي والتحلّي والتجلّي)** وكل واحدة منها تتناسب مع قصّة من تلك القصص، كما بيّنا ذلك، نعم؛ التغيير المكاني واضح في القصص وفيه فائدة وانعكاس على واقع المتدبّر، ولكنّنا في نفس الوقت تعمّقنا بهذا الانتقال الظاهر؛ لينعكس على حال المتدبّر معنوياً واستخرجنا مفهوماً آخر وحقيقة قرآنية جديدة تنفعُ المتدبّر في بيان منهجية أخلاقية من القرآن نفسه، وطريقاً تكاملياً يسير عليه الفرد المؤمن، وذلك من خلال المناسبة والعلاقة بين الانتقال الظاهري الواضح في القصص مع الانتقال والتغيير المعنوي المطروح، فلو تأمّل القارئ جيداً سيرى أنّ الآيات تكشف ذلك وبأدنى نظر.

وأمّا بخصوص القصّة التي لم يُذكر فيها انتقال وتغيير إيجابي، فهي قصّة صاحب الجنّتين ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ **[الكهف: ٣٥]**، وتلك الجنّة تُمثّل الدنيا كما تشير إلى ذلك الآية التي أعقبت القصّة: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ **[الكهف: ٤٥]**، فكأنّما هي تصوير لتوجّهه إلى الدنيا وقد خَسر. ولأنّه تعلّق بالأسباب

دون النظر إلى مسبِّبها[1]، ومن ضمنها المال والولد: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤].

وكذلك من المعلوم أنّ مضمون القصّة يدور حول محور الشرك بالله والتعلّق بالأسباب، فكذلك استفدنا منها أمراً آخر وهو: أنّ المؤمن عندما تبدأ حركته التكاملية من أوّل خطواتها وهي التخلّي من كلّ عائق ومانع، فلابدّ له من أن يُسلّط الضوء على مسألة الشرك الخفي، وأهم مصاديقه: الشرك بالأسباب ويكثر مجاهدته عليه، ثمّ يستطيع بعد ذلك من أن ينتقل إلى مرحلة التحلّي، وإلّا كيف له أن يتحلّى بالطهارات والأنوار الإلهية ولا زال في قلبه شيء من أدران الشرك.

وبمعنى آخر: أنّ القرآن كأنّما صوّر لنا ثلاث مراحل أخلاقية مستفادة من ثلاث قصص ولكن لأهمية ذلك العائق وهو الشرك جعله في قصّة واحدة مستقلة، بقرينة أنّها جاءت في ترتيبها بعد القصّة الأولى وهي أصحاب الكهف، وهي مرحلة التخلّي ولم يدخل بعد في المرحلة الثانية وهي قصّة موسى والخضر، أو ما سمّيناها بمرحلة التحلّي، وكذلك أنّ القصّة نفسها تتكلّم عن رذيلة وعائق، فهي إذن تتعلّق بالمرحلة الأولى، ولكن لتسليط الضوء على الشرك، وأنّه يُمثّل عائقاً خطراً يختلف عن بقية العوائق والموانع في مرحلة التخلّي جُعل في قصّة مستقلة، كما قال

(١) أي: اعتبر الأسباب مستقلة في التأثير.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. **إذن:** لايمكن للفرد أن ينتقل من مرحلة التخلّي إلى مرحلة التحلّي حتى يتخلّص من الشرك، وكما هو معلوم أنّ الشرك بالله على قسمين[١]: شرك جلي، وشرك خفي، وأنّ المجتمع المسلم لا يشمله القسم الأوّل، أي: الشرك الجلّي ، ولكنّه مبتلى بالقسم الثاني وهو: الشرك الخفي، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قال الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ الشرك أخفى من دبيب النمل»**[٢]، أي: أنّ الشرك أكثر خفاءً من الصوت الذي يصدُر عن حركة النمل، فالإنسان يجعل لله شريكاً في طاعته وعبادته واستعانته، وهو لا يعلم، وهذا ما يُستفاد من القصّة الوحيدة التي لم نلحظ فيها تغيير وانتقال إيجابي، بينما القصص الثلاث الأخرى كان فيها خروج إلى العمل، والإنجاز، والنفع وتعرّض أصحابها إلى التعب وبذل الجهد، لذا نالوا مرادهم وأضافوا شيئاً، فكانت ترمز تلك القصص الثلاث إلى المراحل الأخلاقية الثلاث أيضاً.

***

(١) النراقي،محمد مهدي: جامع السعادات: ص١١٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص٣٧٩.

الملخص:

١ ـ سورة الكهف فيها أربع قصص، ثلاث منها مصداق للحركة والانتقال والتغيير، وواحدة ليس فيها انتقالٌ وحركةٌ، ولا حتى تغيير سوى التغيير السلبي، فكانت نتيجتها الخسران.

٢ ـ القصص الثلاث يُستفاد منها أنّ العبد في حياته الإيمانية التكاملية يَمُرّ بثلاث مراحل ألا وهي: مرحلة التخلّي **(أصحاب الكهف)**، ومرحلة التحلّي **(موسى والعبد الصالح)**، ومرحلة التجلّي **(ذو القرنين)**.

فأوّل هذه المراحل: التخلّي، والاستفادة التي نفهمها من القصّة الأولى هو: تخلّي الفتية عن عبادة غيرالله، والتجاءهم إلى الكهف.

وثانيها: في القصّة الثانية وما جرى بين موسى والخضر عليهما السلام، وما عوّضه الله تعالى مما لقيه في رحلته من النصب ومشقّة السفر: ﴿**لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا**﴾ **[الكهف: ٦٢]**، فقد عوّضه الله بالعلم الذي لم يكن يعلمه بعد أن كان لا يمتلك أسبابه، أو أسراره، فكانت الاستفادة منها إلى التحلّي بالفضائل التي لابدَّ فيها من المربّي الخبير بتلك المسالك التي عَبَرَ منها وقد عرف الطريق ومزالقه، وعرف ما ينبغي فعله.

وثالثها: في القصّة الثالثة لذي القرنين وتمكينه في الأرض، وبلوغه مشارقها ومغاربها، ونشر الخير، ومعونة الناس. فكانت الاستفادة منها إلى التجلّي وهو نتيجةٌ لمرحلتي التخلّي والتحلّي، فهو من فِعل الله تعالى حينما يرى عبده قد صدق المجاهدة والتوجّه؛ ليقابله بفتح أبواب التوفيق، ومدّ أسباب المعونة.

مخطط قصص سورة الكهف الاربعة

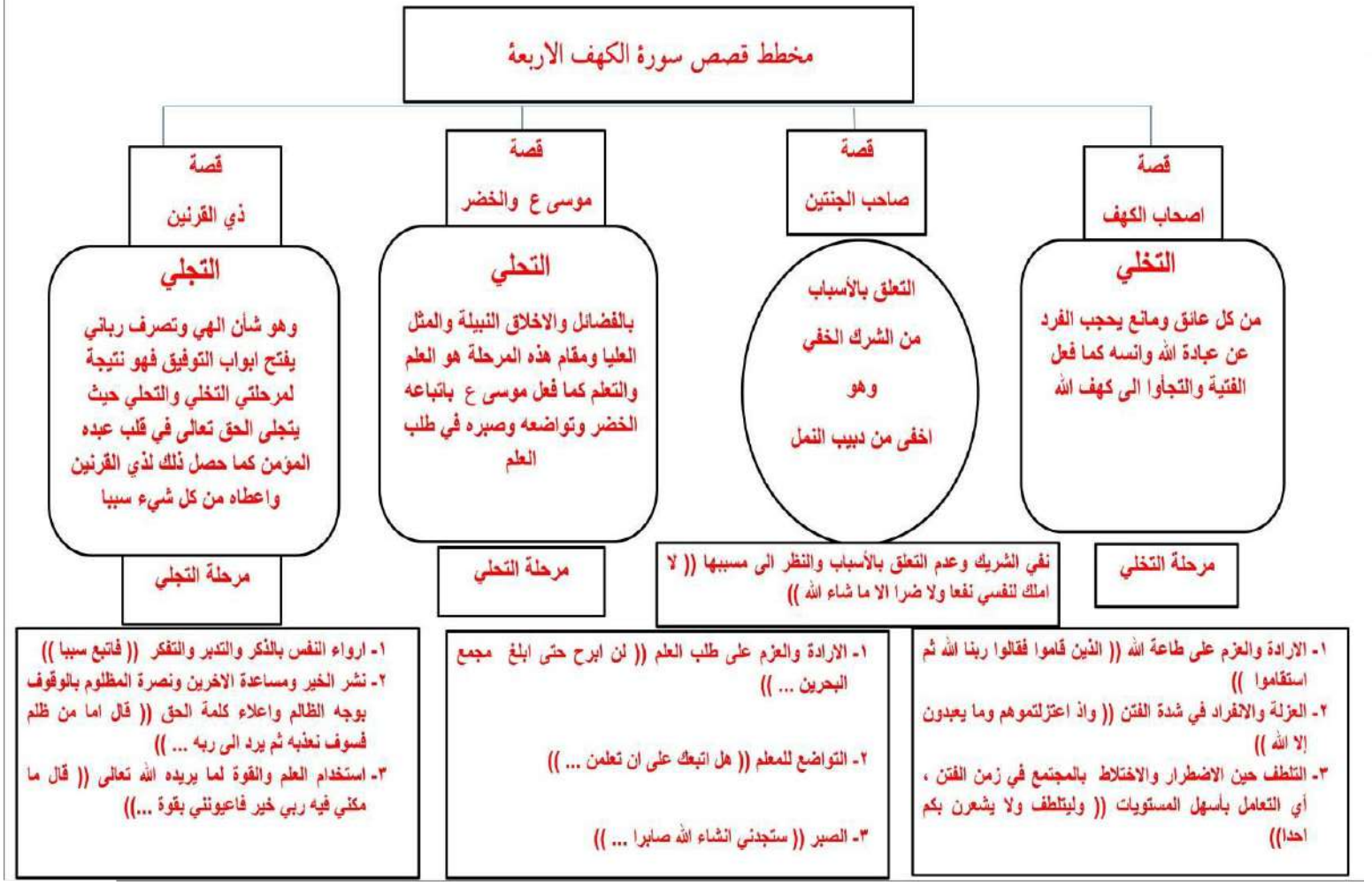

السفرالمعنوي، أي: سفرالقلب وتوجّهه نحو الحقّ تبارك وتعالى، هوالمحور الرئيسي في هذه الأطروحة، ولأجل الوصول إليه لا بأس من أن ننظُر في طريقين:

الطريق الأول: ترتيب و تسلسل القصص

حيث لا يخفى على المتتبّع والمتدبّر في آيات الله وما ذكره علماؤنا الأبرار في بحوثهم المتنوعة، أنّ حقائق ومعارف القرآن متعددة، ومناهل التزوّد من معانيه كثيرة، ولكن كلٌّ بحسبه ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد:١٧]

فيأتي العالِم المختصّ باللغة ويُبيّن لنا ما اغترف منه في الجانب اللغوي وأنّه لا يمكن استبدال كلمة بأخرى ولا تقديم ما أُخّر، أو تأخير ما قُدّم، ويستخرج القواعد الكلية التي يبتني عليها علمه، كما يأتي عالِمُ الطب ليُبيّن من وجهة نظر الطب، ويأتي الفقيه ويُبيّن من وجهة نظر التشريع، ويأتي المؤرّخ كذلك وينقل لنا وقائع التاريخ الصحيحة، فما المانع أن يأتي المُتدبّر وينظر في معارف وعلوم القرآن من جهة ترتيب القصص داخل السّورة الواحدة ويستكشف منها مراحل أخلاقية، أو معرفيّة، أو

يستنبط منها العِبر؟

وحيث لا أحد يستطيع أن يقول: هذه مواطن الاستفادة فقط، وإنّما هي إضاءات توضّح الطريق للقارئ والمتدبّر بأنّ هذا القرآن كلام فنيّ دقيق، لا يشابهه حديث: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤].

ومن هذا المُنطلق لا يمنع أن ننظُر في جهة ترتيب القصص التي اختارها و رتّبها الله جلّ جلاله، أو نبيّه الأكرم ﷺ، وحيث لا خلاف في توقيفية الآيات والجمل داخل السّورة الواحدة[1]، فإنّ ترتيب الآيات خير دليل على أنّ الترتيب القائم هو ترتيب توقيفيّ، إلّا إذا ثبت خلافه بدليل، نعم جَمع السّور وترتيبها بصورة مصحف بين دفّتين قد وقع الخلاف فيه، كذهاب العلامة الطباطبائي رحمه الله إلى أنّ القرآن لم يكن مؤلّفاً على عهد رسول الله ﷺ، وأكّد أنّ ترتيب السّور على ما هو عليه الآن شيء حصل بفعل الصحابة وعن اجتهاد منهم[2]، بخلاف السيد المرتضى رحمه الله الذي قال: كان القرآن على عهده ﷺ مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن، واستدلّ على ذلك: أنّ القرآن كان يُدرّس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عيّن جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنّه كان يعرض على النبيّ ﷺ ويتلى عليه[3].

---

(١) انظر: المعرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن: ج١، ص ٢٨٠.

(٢)انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٢، ص ١٢٤.

(٣)انظر: المعرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن: ج١، ص ٢٨٨.

والخلاصة: أنّ تأليف الآيات ضمن كل سورة على الترتيب الموجود، قد تحقق في الأكثر، **إذن**: فهي بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله ومرتّبة بترتيب إلهي حكيم وهي: **(أولاً- قصّة أصحاب الكهف. ثانياً- قصّة صاحب الجنّتين. ثالثاً- قصّة موسى والخضر عليهما السلام. رابعاً- قصّة ذي القرنين)**.

فلو أمعنّا النظر وتدبّرنا جيداً في هذا الترتيب، لرأينا أنّه موحٍ إلى خريطةٍ وطريقٍ لمريدي السير والسلوك نحو الله تعالى، والتي لابدَّ للإنسان السالكٍ من أن يتعرّف على الطريق الصحيح، ليوصله إلى معرفة ربّ الأرباب بإتقان التوحيد الإلهي، وكما هو معروف في أنّ **معنى السير**: «هو المشي بقطع الطريق. **ومعنى السلوك:** هو الدخول في المسلك المتّبع، أو المنهج الموصِل إلى الله سبحانه **والسالك هو:** السائر إلى الله، المتوسط بين المريد والمنتهى ما دام في السير»[1].

وبما أنّ القرآن الكريم كتاب تربويّ يحمل قيماً سماوية وليس كتاباً قصصيّاً أدبيّاً فقط، بل هو منهج له انعكاس على واقع الحياة، ومنه نتعرّف على ذلك الطريق الموصِل له سبحانه، وكيفية السلوك فيه، حيث تسمّى هذه الحركة، أو الطريق عند العرفاء بالسَفر وهو سفر معنوي ينطوي على حركة من المبدأ إلى المنتهى، وقد قسموه إلى أربعة أسفار[2]: **الأوّل: السفر من الخلق إلى الحقّ، ـ الثاني: السفر من الحقّ**

(١) الكاشاني، عبد الرزاق بن جلال الدين ، اصطلاحات الصوفية: ص٨٠ ، بتصرف.
(٢) الشيرازي، ملا صدرا، محمد، الحكمة المتعالية: ج١، ص٣٩ ، (المقدمة).

إلى الحقّ، الثالث: السفر من الحقّ إلى الخلق، ـ الرابع: السفر من الخلق إلى الخلق.

فهذه المصطلحات مأخوذة من منهج ذكره الحكيم الإلهي والفيلسوف الربّاني صدرالدين الشيرازي رحمه الله في كتابه: **(الأسفار الأربعة)** تمثيلاً للمقامات الأربعة التي ذكرها العُرفاء للإنسان السالك إلى الله، ولكنّ الشيرازي أراد بها الأسفار العقلية لنيل الحكمة، حيث قال في مقدمة كتابه: «**فرتّبت كتابي هذا طبق حركاتهم في الأنوار والآثار، على أربعة أسفار، وسمّيته بالحكمة المتعالية، في الأسفار العقلية**»[1]، أمّا العُرفاء، فأرادوا منها السلوك العملي والترقّي في درجات القرب منه تعالى، إلّا أنّهم قالوا: «إنّ السفر الرابع **(من الخلق إلى الخلق)** تكون وظيفة العارف فيه وهي مداراة الناس، وذلك من خلال إيصال الشريعة المقوّمة لحياة الإنسان والمنظّمة لكل حركاته وسكناته في حياته، فالعارف هنا هو: صاحب نبوّة التشـريع، ومن الواضح أنّ هذه النبوّة التشريعية ليست ثابتة لكل سالك وعارف وإنّما هي هبة إلهية، وسفارة ربانية، فهي محددة بقدر مُعيّن وقد أُغلقت دائرتها بنبوّة الخاتم صلى الله عليه وآله»[2]. لذلك بقيت ثلاث أسفار ليقع كلامنا فيها إن شاء الله تعالى.

***

(١) المصدر السابق: ص٤٤.

(٢) الخميني، روح الله، مصباح الهداية والولاية: ص١٥٩، بتصرف.

الطريق الثاني: الغرض من نزول السّورة

ما ذُكر في سبب نزول سورة الكهف «**أنّ قريشاً بعثوا مجموعة إلى قوم نجران ليتعلّموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله ﷺ فعندما سألوا علمائهم قالوا: اسألوه عن ثلاث مسائل، فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق... قالوا: ما هذه المسائل، قالوا: اسألوه عن فتية كانوا في الزمن الأوّل فخرجوا وغابوا وناموا كم بقوا في نومهم حتى انتبهوا؟ وكم كان عددهم؟وأيّ شيء كان معهم من غيرهم ؟وما كانت قصّتهم؟ واسألوه عن موسى حين أمره الله عزّ وجلّ أن يتبع العالم ويتعلّم منه من هو؟ وكيف يتبعه ؟وما كانت قصّته معه؟واسألوه عن طائف طاف مغرب الشمس ومطلعها حتى بلغ سد يأجوج ومأجوج من هو؟ وكيف كانت قصّته؟... فلمّا كان بعد أربعين يوماً نزل عليه جبرائيل بسورة الكهف**»[1].

ونحن نتسائل: أنّ عدد الأسئلة عن الحوادث التي أرادوا قريش معرفتها في الرواية ثلاثة، ولكن سورة الكهف تحوي أربع قصص!، ثلاث منها ذُكرت في الرواية وواحدة **(صاحب الجنّتين)** لم تُذكر من ضمن أسئلة قريش لرسول الله ﷺ؟!. وحتى في تتبّع كلام علمائنا ولا سيما المعاصرين منهم نجد أنّهم ذكروا ثلاث قصص في سورة الكهف رغم

(١) الفيض الكاشاني، محمد محسن، تفسير الصافي: ج٣ ، ص٢٣٢.

أنّها أربع!، وقد يكون ذلك بتسليط الضوء منهم على تلك القصص موافق للرواية التي تمّ ذكرها، ففي تفسير الأمثل لسورة الكهف: **(الظريف أنّ السّورة تُشير إلى ثلاث قصص ـ قصّة أصحاب الكهف، قصّة موسى والخضـر، قصّة ذي القرنين حيث أن هذه القصص بخلاف أغلب القصص القرآنية لم تكرّر في مكان آخر من القرآن)**[1]. وفي تفسير الميزان بنفس السّورة، قال: **(وغير بعيد أن يُقال: أنّ الغرض من نزول السّورة ذكر القصص الثلاث العجيبة التي لم تذكر في القرآن الكريم إلّا في هذه السّورة وهي قصّة أصحاب الكهف وقصّة موسى وفتاه في مسيرهما إلى مجمع البحرين وقصّة ذي القرنين)**[2].

ونحن ذكرنا أيضاً في الأطروحة الثانية: أنّ قصص سورة الكهف الأربع ثلاث منها: – **وهي ما توافق القصص الثلاث في الرواية** – فيها انتقال ظاهر من مكان إلى آخر والقصّة الوحيدة التي ليس فيها انتقال إيجابي هي: **صاحب الجنّتين**.

والخلاصة: قد اتّضح لنا أنّ الرواية ذكرت ثلاث قصص فقط، وكذلك ذكر عُلماؤنا أيضاً ثلاث قصص، ونحن أيضاً سنأخذ القصص الثلاث للحوادث الثلاثة المذكورة في الرواية؛ ليقع كلامنا فيها إن شاء الله تعالى.

---

(١) الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٧ ، ص ٤٤٧.

(٢) الطباطبائي،محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٣، ص٢٣٣.

المحصّلة من الطريقين:

أصبح لدينا ثلاث قصص **(أصحاب الكهف، موسى والخضر، ذو القرنين)** وثلاثة أسفار: **(من الخلق إلى الحقّ، من الحقّ إلى الحقّ، من الحقّ إلى الخلق)**، وهذه الأسفار تعني السفر، أو السير من مرحلة إلى أُخرى أكمل من الأولى حتى يصل العبد السالك إلى غايته وهو الحقّ سبحانه، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«كان ربي قبل القبل بلا قبل... فهو منتهى كل غاية»**[1].

السفر الأوّل: قصّة أصحاب الكهف

أنّ معنى السفر الأوّل: **(من الخلق إلى الحقّ)**: هو« سفر معنوي، أي: هو توجّه القلب نحو الحق تعالى من المبدأ إلى المقصد، بمعنى: توجّهه من منطلقه الأوّل، أي: من هذه النشأة المادية **(من الخلق)**، وفي هذه النشأة لم يكن الإنسان قد تعرّف فيها على الله تعالى إلّا بقدر ما يحمله من إرتكاز وفطرة، ولكن بين المبدأ إلى المقصد عوائق وموانع وحالات وترقّيات لابدَّ للسالك من أن يدخُل فيها، أو يترقّى في مراحله، كما هو الحال في السفر العادي الذي نقطع فيه مسافة وندخل فيه بالكثير من البلدان والمدن حتى نصل إلى مقصودنا، وقد تحصل مشقات ومجاهدات حتى يصل إلى مقام الفناء وهو عدم الالتفات والانشغال

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٩٠.

بالكثرة؛ لأنّ مبدأ هذا السفر هو هذه النشأة المادية وهي نشأة الكثرة لا الوحدة، أي: أنّ الوحدة محجوبة عن السالك بالكثرة بعالم المادة والطبيعة والآثار، أو الاحتجاب»[1]، وهو ما حصل تماماً مع الفتية الذين آمنوا بالله وقرّروا قطع كل العلائق التي تمنعهم من عبادة الله تعالى، وتركوا بيوتهم وأموالهم وأولادهم وكل ما يشغلهم، أو يمنعهم من الوصول إلى مقصدهم وهو توحيد الله عزّ وجلّ، فحصل لهم الفناء، وأصبح وجودهم حقّانياً[2] **(إلى الحقّ)**، حيث أنّهم أرادوا واختاروا الفناء بدل الرجوع إلى النقطة الأولى **(من الخلق)**، أي: من حيث أتوا، فكان هذا هو نهاية سفرهم وهو السفر الأوّل من الخلق إلى الحقّ.

السفر الثاني: قصّة موسى والخضر عليهما السلام

وأمّا السفر الثاني **(من الحقّ إلى الحقّ)**:«فيبدأ هذا السفر من نهاية السفر الأوّل، فيأخذ السالك من سفره موقف الكمالات واحداً بعد واحد، والغوص في أسماء الله تعالى وصفاته والتعرّف والتحقّق بها، أي التخلّق بأخلاق الله، حيث أنّ السالك يزداد تحقّقاً بالصفة كلما زاد فعله، فمثلاً ترسّخ صفة الصدق في نفسه كلما صدق في حديثه، أوتَرسُّخ صفة العلم

(١) انظر: الحسن، طلال، من الخلق إلى الحق، من أبحاث السيد كمال الحيدري: ص ٨١- ٨٣، بتصرف.

(٢) معنى الفناء والوجود الحقاني: هو عدم الالتفات إلى الكثرة والانشغال التام بالوحدة. انظر: المصدر السابق.

فيه، وغيرها من أخلاق الله تعالى، ويسمّى سيرٌ في صفات الله»[1]، وهذا ما يُستفاد من قصّة موسى عليه السلام باتباعه للعالِم العابد وما أراد أن يتعلّم: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، وإرادته بالتزوّد والتحقق بأسماء الله وصفاته بأن يكون عالِم بالعلم الحقيقي، ونستشفّ من هذا السفر في هذه القصّة من أنّ السالك لابدَّ له من معلّمٍ ومربٍّ، فهو يختلف عن السفرالأوّل لإرادة العبد واختياره بالسير والتوجّه للهدف. أمّا في السفر الثاني وما يحصل عليه السالك في سفره هذا، فلابدَّ من أن تُؤخذ من أشخاص يُطمئنّ إليهم؛ ليكون بمثابة مُرشد ومُعلّم له، يدفع عنه الوقوع في الزلل بالقول، أو العمل، ويأخذ بيده ويدخله في حصنٍ حصين، وكل ذلك استفدناه من قصّة موسى والخضر عليهما السلام وهي القصّة الثانية.

السفر الثالث: قصّة ذي القرنين

السفر الثالث **(من الحقّ إلى الخلق):** هو«بمعنى الرجوع إلى الخلق، أو إلى الكثرة، أي: الرجوع إلى عالم المادة والطبيعة، ولكنّه يعيش حال المعيّة الإلهية في كل سلوكياته، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله، ومعه، وبعده»**[2]. وبعبارة أخرى: أنّ السالك بعد

(١)انظر: المصدر نفسه: ص ١١٧، بتصرف.

(٢) الشيرازي، صدر الدين ، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي: ج١، ص٢٥٠.

أن أفنى ذاته في صفات الله وأسمائه فيؤهّله ذلك لإكمال ما وصَلَ إليه من معرفة، فيحصل له حظّ من النبوّة ولكن لا يسمّى نبيّاً، وهذه هي نبوّة الإنباء وليس نبوّة التشريع، وهي نبوّة متاحة للجميع دون نبوّة التشريع»[1]، وهذا ما يُستفاد من قصّة ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤]، وما حَصَل عليه من معارف، وقوة استخدمها بنشرالخير بين الناس، ومساعدتهم، واختيار ما يصلح لهم ويدفع عنهم المكائد: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۞ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۞ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٦ ـ ٨٨].

الملخّص:

١ـ سورة الكهف فيها أربع قصص، ثلاث منها ذُكرت في الرواية التي حوت على ثلاث أسئلة، أو حوادث أرادت قريش معرفتها. والأسفار التي تمثّل السلوك العملي، أو الترقّي في درجات القرب من الله تعالى أربعة، لكن السفر الرابع ثابت لصاحب السفارة الربانية، وقد خُتمت بنبوّة الخاتم ﷺ، فأصبح الكلام في ثلاث قصص في سورة الكهف وثلاث

(١) أي: أنّه عود رباني حقاني يؤدّي من خلاله وظيفة إلهية سامية معنونة بالسفارة الربانية، حيث يبدأ بإيصال ما شاهده وعاينه في سفره، فيعرّف الآخرين بما تعرّف عليه، وهذه ما يصطلح عليه بنبوّة الإنباء لا نبوّة التشريع. انظر: الحسن، طلال، من الخلق إلى الحق، من أبحاث السيد كمال الحيدري: ص ١٣، بتصرف.

أسفار في السير والسلوك العملي.

٢ـ من خلال التدبّر والتمعُّن في ترتيب القصص داخل سورة الكهف نلاحظ أنّه(أي: الترتيب) موحٍ إلى خريطة لمريدي السير والسلوك إلى الله سبحانه.

٣ـ بما أنّ القرآن الكريم كتاب تربوي وهداية ومنهج له انعكاس على واقع الحياة، وفيه بيان لكل شيء بما فيها الطريق الموصِل إلى الله سبحانه بكافّة المستويات، أي: كما أنّ للمؤرّخ، أو اللغوي وغيرهم نصيب من نور القرآن وهدايته، كذلك للسالك إلى غايته وهو الحقّ سبحانه. فالكل يتزوّد من مائدة القرآن ولكن كلٌّ بحسبه.

٤ـ تقسيم كل سفر حسب ترتيب القصص، أو ما يُستفاد من نفس القصّة داخل السّورة.

فالسفر الأوّل: وهو من الخلق إلى الحقّ مستوحى من القصّة الأولى وهي أصحاب الكهف.

والسفر الثاني: وهو من الحقّ إلى الحقّ مستوحى من القصّة الثانية وهي قصّة موسى عليه السلام والعبد الصالح.

والسفر الثالث: وهو من الحقّ إلى الخلق مستوحى من القصّة الثالثة وهي قصّة ذي القرنين.

وبقي لنا أن نُبيّن هذه الأطروحة بشكل مخطّط توضيحي ليسهل على القارئ فهمها أكثر.

***

مخطط قصص سورة الكهف

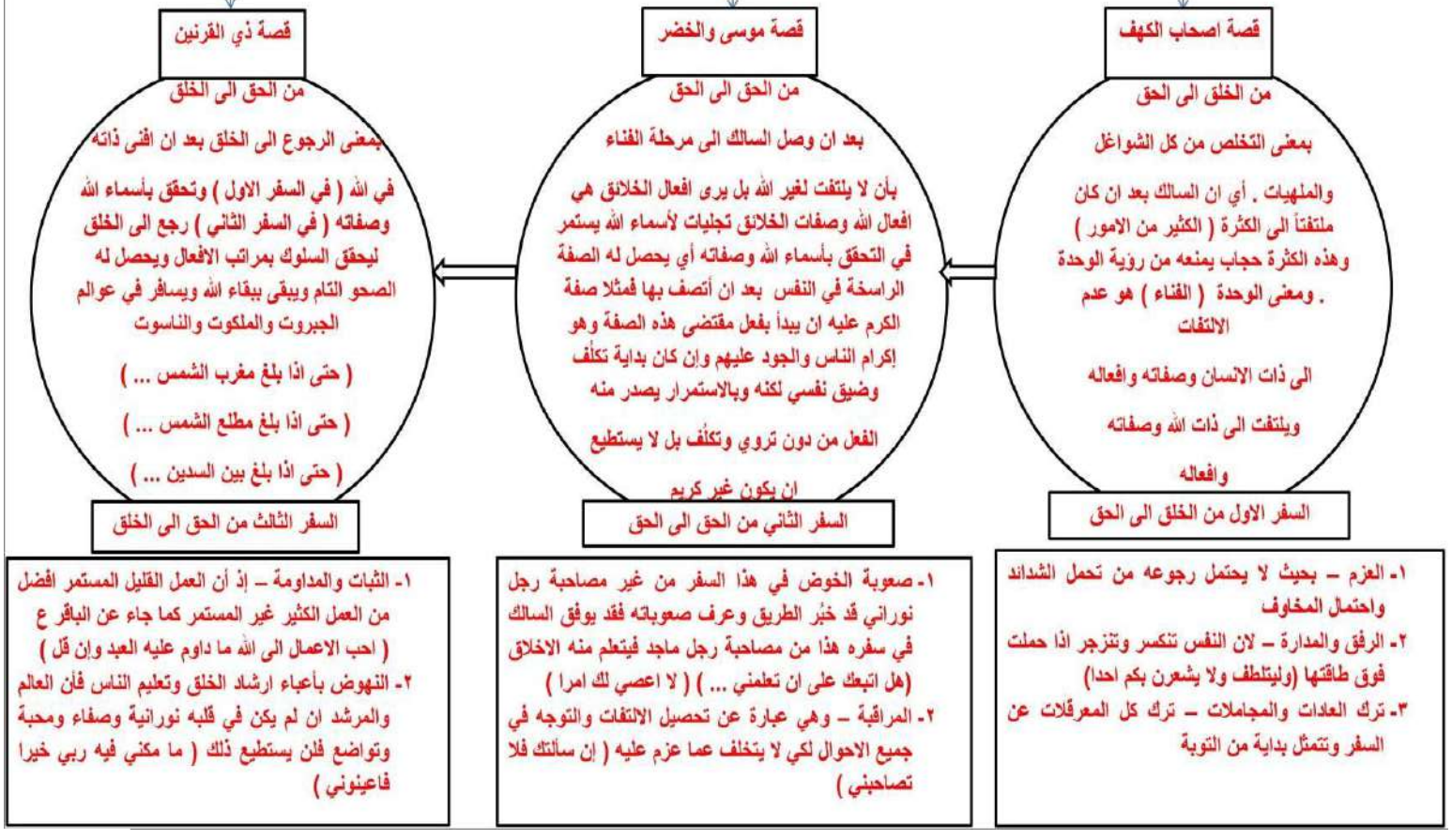

المحور الثالث

فوائد تدبّرية عامّة في سورة الكهف

فوائد تدبّرية في عموم سورة الكهف[1]

الجهة الأولى: فوائد عامة

١ـ خمسُ سُور في القرآن بدأت بـ **(الحمد لله)**، وهي: الفاتحة، الأنعام، الكهف سبأ، فاطر.

٢ـ من مقاصد السّورة، أنّها تقي الفتن، ولذا جاء في مضمون الحديث: **«من قرأ سورة الكهف.. وقي فتنة الدَّجال»**[2].

٣ـ من خلال الترتيب للقصص نستشفُّ منها مراحل أخلاقية، وهي: **(التخلّي، والتحلّي والتجلّي)**، وأسفار معرفيّة وهي: **(من الخلق إلى الحقّ، من الحقّ إلى الحقّ، من الحقّ إلى الخلق)**.

٤ـ سورة الكهف لا نهاية لمعانيها المستخرجة على امتداد الزمان

---

(١) هذه الفوائد مقتبسة ومستفادة من عدة مصادر مع التصرّف بانتقاء ما يُناسب منها، وإضافة ما وفِقنا إليه من تأمّلات. والمصادر هي: ١- موقع طريق الإسلام، مقالة: تحت عنوان ١٠٠ فائدة تدبّر في سورة الكهف، ناصر بن سليمان العمر. ٢- موقع إسلاميّات، مقالة: فوائد من آيات سورة الكهف، د. زيد عمر العيص. ٣- مدونة الصفطاوي، مقالة: ٩٩ فائدة في سورة الكهف، محمد السريع. ٤- تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ٥-العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، سورة الكهف. ٦- ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، سورة الكهف. ٦- محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف، سورة الكهف.

(٢) الكفعمي، إبراهيم بن علي،المصباح للكفعمي(جنة الأمان الواقية): ص٤٤١ .

والمكان، كما هو في باقي سور وآيات القرآن الكريم، فيبقى الكهف مجهولاً إلّا أن ندخل فيه، وفي نفس الوقت سيكون لنا حافظاً من الأخطار الخارجية.

٥ـ سورة الكهف تُبيّن للمؤمنين الوظيفة المنوطة بهم، والدور المطلوب منهم، كالذي قام به ذوالقرنين من منع الفساد، والزحف نحو المشارق والمغارب لإقامة العدل ونشرالخير، كما تقدّم سابقاً.

٦ـ سورة الكهف ويوم الجمعة، فقد جاءَ في الحديث: «**سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة، غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام..**»[١]، فإنّ يوم الجمعة هو خير يوم طلعت فيه الشمس، وفيه بداية الخلق، وفيه تقوم الساعة[٢]، ومن هنا قد تَبيّن لنا وجه المناسبة بين اجتماع المؤمنين يوم الجمعة (**صلاة الجمعة**) ومن قرأ سورة الكهف في هذا اليوم العظيم.

٧ـ قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة والتدبّر فيها تعطي نوراً، فقد جاءَ في الحديث: «**سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة... أُعطي نوراً يبلُغ السماء**»[٣]، وأحد مصاديق النور هو العلم، كما قال الإمام

---

(١) المصدر السابق: ص٤٤٢.

(٢) المجلسي،محمد باقر، بحار الأنوار: ج٨٦ ، ص ٢٨٤.

(٣) الكفعمي، إبراهيم بن على،المصباح للكفعمي(جنة الأمان الواقية): ص٤٤١.

الصادق عليه السلام: «**العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء**»[1]، ولعلّ معنى(**يبلغ السماء**) إشارة إلى شدّة بصيرة المتدبّر وكثرة علمه.

الجهة الثانية: فوائد في فواتح السورة و علاقتها بما قبلها و بعدها

٨ ـ بعد كل (**حمد**) يذكر علة استحقاقه تعالى للحمد، فإنّ (**أل**) في (**الحمد**) للاستغراق، فكل المحامد له، فهو أحقّ أن يُعبد، وهو أحقّ أن يُحمد.

٩ـ هناك تناسب بين أوائل الكهف وأواخر الإسراء التي تأتي قبل سورة الكهف، فقد قال تعالى في آخر الإسراء: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [**الإسراء: ١١١**]، وقال في بداية الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [**الكهف: ١ ـ ٢**]، فكأنّما تكون هكذا: (**وَقُلِ الحمْدُ لله ـ الحمْدُ لله**)، يعني (**فقل ـ فقال**).

١٠- ذكر الكتاب في خواتيم الإسراء: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [**الإسراء: ١٠٥**]، وفي فواتح الكهف قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [**الكهف: ١**]، فكأنّها تكون بالمعنى هكذا: (**وبالحقّ أنزلناه وبالحقّ نزل ، ولم يجعل له عوجاً**) يعني أكّد نزوله من عند الله تعالى ولم يجعل له عوجاً.

---

(١) الشهيد الثاني، زين الدين بن على، منية المريد: ص١٦٧.

١١- جاءَ في نهايات الإسراء قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]. وفي بدايات الكهف قال تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾. إنذار وتبشير في أوآخر السّورة، وإنذار وتبشير في بدايات سورة تليها، فمن هو الذي يُنذر ويبشّر؟.

١٢- في خواتيم الإسراء قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، وفي فواتح الكهف، قال تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤].

فيتّضح لنا: أنّ بعض آيات القرآن توضّح آيات أخرى وتجعلها في سياقها، ففي خاتمة الإسراء يخاطب نبيّه، بأن يحمد الله تعالى على أنّه لم يتّخذ ولداً، ثمّ في السّورة التي تليها وهي الكهف أن يُنذر من يقول بذلك.

١٣ـ هناك تناسب بين أواخر الكهف وأوائل سورة مريم، ففي أواخر الكهف، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وفي أوائل مريم وما فعله مع زكريا عندما طلب من ربّه أن يهب له غلاماً:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا *

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [مريم:٢ـ ٨]. أليس هذا من كلمات ربي؟، فهو من سمّى عيسى **(كلمة)** كما فعله مع مريم، فالكلمات يعني قدرته التي لا تنتهي، أو من جهة كونه كلمة الإيجاد. بمعنى: كن[1]، وكما قال جلَّ جلاله: ﴿ **إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ** ﴾ **[آل عمران: ٤٥]**، وكلها من كلمات الله سبحانه، وهو التناسب الذي ذكرناه بين نهايات وبدايات السّورتين.

١٤ـ في بداية و وسط وآخر سورة الكهف رحمة: **(رحم الفتية أصحاب الكهف، ورحم المساكين، وأصحاب السفينة، ورحم الأبوين، ورحم الغلامين، ورحم القوم الضعفاء من يأجوج ومأجوج)** وفي بداية مريم رحمة عبد من عباد الله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ **[مريم: ٢]**، فتختم السّورة بالرحمة وتُفتح بالسّورة التي تليها.

١٥- بدأت سورة الكهف بحفظ الكتاب: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ **[الكهف: ١]**، وفي نهايات السّورة نفسها تأكيد لما جاء في مطلعها: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ **[الكهف:**

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٣ ، ص٢٢٣.

١٠٩]، وبالتّالي حفظ الكتاب هو حفظ الدين، بل وحفظ المؤمنين أيضاً.

١٦- التوحيد والوحدانية لله عزّ وجلّ أبرز قضيّة في هذه السّورة، وكما جاءَ في فواتحها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **[الكهف: ١]**، وفي خواتيمها تأكيد الكلام على لسان رسوله ﷺ أنّه عبد وأنّه يوحى إليه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ **[الكهف: ١١٠]**، كما جاء في فواتح السّورة أنّ الكتاب يُنذر الذين قالوا: اتّخذ الله ولداً وفي خواتيمها: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ **[الكهف: ١١٠]**.

الجهة الثالثة: فوائد في قصّة أصحاب الكهف

١٧ـ المحور الموضوعي لهذه القصّة هو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر والقيم.

١٨ـ قصّة أصحاب الكهف قصّة عجيبة جليلة تدلّ على قدرة الله، وإرادته، وقيمومته، فقد حوت هذه القصّة كثيراً من العِبر والدروس التي يحتاجها المؤمن.

١٩ـ قصّة أصحاب الكهف تصنع للمؤمن كهفاً يعصمه من أشدّ الفتن في حياته، وأعظمها فتنة الدَّجال في الدِّين، وعليه أن يبحث عن ذلك الكهف العاصم.

٢٠ـ اشتهرت السّورة بسورة الكهف وتسمّى سورة أهل الكهف وأصحاب الكهف، ومرجعها جميعاً إلى أوّل قصّة وردت فيها وجاءت تسميتها بسورة الكهف على لسان النبيّ ﷺ في أكثر من حديث منها: **«سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة، غفر الله له إلى الجمعة**

الأخرى..»[1].

٢١- في وصف أصحاب الكهف بالفتية ثناء عليهم بدلالة السياق، فعندما لم يصرفهم شبابهم عن عبادة الله تعالى، استحقّوا الذكر، وكذلك أنّ إيمان الشباب يكون بشكلٍ اندفاعيّ قويّ: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى**﴾ [**الكهف: ١٣**]، ويصدعون بالحقّ أينما كانوا: ﴿**إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [**الكهف: ١٤**]، ويعلنون دعوة التوحيد بثبات: ﴿**لَّن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا**﴾ [**الكهف: ١٤**]، وقد أُطلق (**الفتى**) على النبيّ إبراهيم عليه السلام عندما أعلن التوحيد وكسّر الأصنام: ﴿**قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ**﴾ [**الأنبياء: ٦٠**]، ومعنى الفتى لغة: هو الرجل الشابّ والشجاع، وجمعه فتية وفتيان، وليس الفتى بمعنى الحدث، وإنّما هو بمعنى الكامل من الرجال[2].

وبهذا يتّضح لنا أيضاً المراد من الفتى في قصّة موسى عليه السلام في هذه السّورة: ﴿**قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا**﴾ [**الكهف: ٦٢**]، وحيث وَرَدَ أنّه وصيّ موسى عليه السلام يوشع بن نون، وهذا خير دليل على قوّة وعلم الوصيّ وإلّا كيف يكون وصيّاً للنبيّ!.

٢٢ـ لابدَّ لكل أمر تريد أن تدعو إليه أن تُقدّم دليلاً، أو برهان، وإلّا سقط في أوّل حوار: ﴿**لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ**﴾ [**الكهف: ١٥**]، وإذا

---

(١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، المصباح للكفعمي(جنة الأمان الواقية): ص٤٤٢ .

(٢) انظر: ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب: ج١٥، ص١٤٦.

لم يكن هناك حُجّة قويّة، أو دليلٌ ساطع، فيبقى ما تريده ضعيف ولعلّك لا تقنع به أحداً.

٢٣ـ يُعلّمنا الله جلّ جلاله بقوله: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ **[الكهف: ١٦]**، اعتزال الناس في حال وقوع الفتن، فقد يكون الاعتزال مرّةً في الجبال، ومرّةً في السواحل، ومرّةً في البيوت، فقد وَرَدَ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«... ثمّ إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل، فإنّ عليك في خروجك أن لا تغتاب، ولا تكذب، ولا تحسد، ولا ترائي، ولا تتصنّع، ولا تداهن، ثم قال: نِعْمَ صومعة المسلم بيته يكف به لسانه ونفسه وفرجه»**[1].

وقضيّة غار حراء دالّة على هذا المطلب. ومرّةً اعتزالاً معنوياً كما أوضحنا ذلك في الأطروحة الأولى من هذه السّورة: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ **[الأنعام: ٧٠]**، وكذلك وَرَدَ عن المعصومين عليهم السلام: **«صاحب العزلة متحصّن بحصن الله متحرّس بحراسته. فيا طوبى لمن تفرّد به سرّاً وعلانية»**[2]، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[الأنعام: ٦٨]**.

٢٤ـ من لجأ إلى الله حقّ الإلتجاء كان له ناصرٌ ومعينٌ، وأبدل حاله وشأنه من عسرٍ إلى يُسرٍ: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُمْ

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص١٢٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢، ص٥١.

﴿مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦].

٢٥ـ أنّ الفتية اجتمعوا وشكّلوا صحبة صالحة، كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقد وَرَدَ عن الإمام السجاد عليه السلام: «**جالسوا أهل الدِّين والمعرفة فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس وأسلم، وإن أبيتم إلا مجالسة الناس، فجالسوا أهل المروّات؛ فإنّهم لا يرفثون في مجالسهم**»[(١)]، وعنه عليه السلام: «**مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح**»[(٢)].

٢٦ـ كما انتفع الكلب من مصاحبة الفتية وهو ليس منهم: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، فكذلك أهل الخير في زماننا هذا إن اصطحبوا معهم شخصاً طالب دنيا كما وَرَدَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**الدنيا جيفة وطالبيها كلاب**»[(٣)]، أو كالذي ذكره الله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦]. فينتفع حتماً إن صاحب أهل الخير وتشمله رحمة الله، وما أعظمها من رحمة، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٢٧ـ الأكل الحرام لا يكون زكيّاً: ﴿أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩]، وكما قال تعالى في موضع آخر من القرآن: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾

---

(١) النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل: ج ٨ ، ص ٣٢٨.

(٢) ابن شعبه الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٣٨٩.

(٣) منسوب إلى الإمام جعفر بن محمد عليه السلام، مصباح الشريعة: ص١٣٨ .

[عبس: ٢٤]، فالكثير من الناس في زماننا هذا لا يتحرّى الحلال، وهذا من أسباب شقاء الكثير، فانظر كيف كان الفتية حريصين على أن يقتنوا الأكل الحلال، وكما وَرَدَ في الرواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **«إذا وقعت اللقمة من حرام في جوف العبد لعنه كل ملك في السموات والأرض»**[1].

٢٨ـ ارسلوا واحداً منهم فقط، ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ **[الكهف: ١٩]** ليشتري لهم الطعام الحلال الطيّب الذي هو أنفع للجسم، وأرفع للروح، فالواحد أقدر على التخفّي، ولا ينتبه له أحد، وهروبه يكون أسهل إن شعرت به عيون العدوّ، أو إن وقع في أيدي الظلمة، فهو فدائيّ واحد ولن تسقط المجموعة كلّها، فسبحان الله على هذا الدرس المهم لنتعلّم كيف نختار الفرد المناسب للمهمّة.

٢٩ـ مجيء ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ **[الكهف: ١٩]** في منتصف القرآن، فالوسطية هي منهج القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ **[البقرة: ١٤٣]**، وهذه الوسطية تقتضي الكثير من التلطّف، فسبحان الله اللطيف بعباده.

٣٠ـ إذا كان التلطّف مع الأعداء مطلوباً لتحصيل منفعة دينية، وطبعاً المقصود هنا من التلطّف هو اللّين في الطلب، والتكلّم بالمختصر المفيد، والحكمة في الحركات، كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ **[فصلت: ٣٤]**، فهو مطلوب مع

(١) الفتال النيشابوري، محمد بن أحمد، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ج ٢، ص٤٥٧.

المؤمنين من باب أولى.

٣١ـ الحياة لا تخلو من المشكلات، فلابدَّ للوصول إلى حلولها، من تلطّف وهدوء وتأنٍّ، وكلّما كبُرت المشكلة زادت الحاجة للهدوء والتروّي.

٣٢ـ الشورى، كان منهج الفتية التشاور فيما بينهم، وهو تربية قرآنية أخرى، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ **[الشورى: ٣٨]**.

٣٣ـ الدعاء، هو سلاح الفتية المؤمنة: **﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾** **[الكهف: ١٠]**، فالدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدوّ البلاء، يدفعه ويعالجه ويمنع نزوله، ويرفعه، فهو سلاح المؤمن، وكما وَرَدَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله **«الدعاء سلاح المؤمن»**[1]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«الدعاء يردُّ القضاء وقد نزل من السماء وقد أبرم إبراماً»**[2].

٣٤ـ إعلان الإيمان، **﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾** **[الكهف: ١٤]** أمام الناس في زمن الفتن، وقد أمدّهم الله بالقوّة قبل ذلك: **﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾** **[الكهف: ١٤]**، فهو تعالى من صبَّرهم على هذا الإيمان؛ لأنّ أصل الربط هو الشدّ والتقوية، فإنّك عندما تشُدّ شيئاً تقوّيه، فالربط على القلب هو التقوية؛ فإنّ إعلان إيمانهم كان يمكن أن يؤدّي بحياتهم إلى الموت، وكذلك نجد في موضع آخر من القرآن

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٤٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٦٩.

الكريم عن الربط والتقوية نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠]، فأصبح واضحاً من الآيات أنّ الله تعالى لا يترك العبد في الشدائد، بل يقوّيه ويصبّره، وهذا من ألطافه سبحانه على عباده.

٣٥ـ الحذر في كل حالات الحياة بحلاوتها، ومرارتها، وأمنها، وخوفها أمرٌ مطلوب، فالتخفّي والكتمان من أنواع الحذر: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]، كذلك يتكرّر هذا الدرس في موضع آخر من القرآن مع مؤمن آل فرعون نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

٣٦ـ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]. نستشفُّ من هذه الآية ثلاثة مستويات:

الأوّل ـ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ.

الثاني ـ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ.

الثالث ـ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ.

لأنّ: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾، دليل على أنّ السائل واحد فقط، وأنّه قد خاطب الباقين، وهو أوّل من استشعر غرابة أمرهم فهو صاحب البصيرة بينهم،

وهو المستوى الأوّل.

و﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فأجابوا بالترديد بين يوم، أو بعض يوم، وهذا الجواب الأوّل، فهؤلاء قد نظروا إلى الأسباب بأنّ الذي ينام ليس أكثر من يوم، أو بعض يوم أي في الحالات الاعتيادية التي تحدث مع كل إنسان وهم المستوى الثاني.

و﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، وهي المجموعة الثالثة، أي: هي غير الذين أجابوا بالأسباب يوماً، أو بعض يوم، فإنّ جوابهم كان ردّاً على القائلين: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فلو لم يكن ردّاً لقالوا: ربنا أعلم بما لبثنا، لكنّهم قالوا: ﴿رَبُّكُمْ﴾ فاتضح: أنّ القائلين: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ غير القائلين: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وهم المستوى الثالث الذين أرجعوا العلم لله، لأنّ الحقيقة لا يعلمها إلّا الله وهذه من الآداب التي علّمها الله جلّ جلاله لنبيّه كما في الآية: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ **[الكهف: ٢٢]**.

٣٧- أدب وحقيقة قرآنية أخرى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ **[الكهف: ١٩]**، و﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ **[الكهف: ٢٢]**. فهذا ليس لمجرد مراعاة حسن الأدب فحسب، بل هو لبيان حقيقة من حقائق معارف التوحيد وهي: أنّ العلم بالحقيقة كما هي، ليس إلا لله سبحانه المحيط بكل شيء، والشهيد على كل شيء.

٣٨- لبثوا في الكهف: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ **[الكهف: ٢٥]**، والشمس تميل عنهم حين طلوعها: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن

كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: ١٧]، وتميل أخرى في غروبها: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ [الكهف: ١٧]، فانظر إلى قدرة الله في حركة مخلوقاته.

٣٩ـ قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، الأيقاظ جمع يقظ ويقظان، واليقظة نقيض النوم[١]، والرقود: جمع راقد وهو النائم. والمعنى: أنّك لو رأيتهم لحسبتهم منتبهين ولكنّهم نائمون بالحقيقة، كما يحصل مع الكثير من الناس، فقد نتوهّم بأنّهم في حالة اليقظة؛ لكنّهم نائمون، فلا شك أنّ الإنسان المغمور بالمادّة والمادّيات غافل عن الآخرة كالنائم بالحقيقة.

٤٠- قال تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨]. ألبسهم الله تعالى من الهيبة؛ لِئلّا يصل إليهم أحد حتى يبلُغ الكتاب أجله. وقيل: أنّ أظافرهم قد طالت وكذلك شعورهم، فلذلك يأخذ الرعب منهم[٢]، فسبحان الله الذي لم يطّلع عليهم أحداً؛ لأنّه قال: لو اطلعت، وسبحان الله من أسرار وعيوب لدى الكثير من الناس لو اطّلع عليها غيرهم لما نظر أحد في وجه الآخر، لكنّ الله تعالى سترهم، كما ستر على أصحاب الكهف.

٤١ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢]. المراء في أمر لا فائدة فيه فلا حاجة إليه، فإنّ وقت المؤمن ثمين، فليس هناك فائدة من معرفة

---

(١) انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب: ج٧، ص٤٦٦.

(٢) الطبرسي، الفضل ابن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٦، ص ٧٠٤.

أمور ثانوية بخصوص أسمائهم، أو اسم كلبهم وما إلى ذلك، بل الفائدة تجدها في أفعالهم، وثباتهم على المبدأ، وفرارهم بدينهم ليحافظوا عليه، وأخوّتهم في الله تعالى، فقد ذُمّ المِراء كما جاء عن النبيّ ﷺ: **«لا تتعلّموا العلم لتماروا به السفهاء، وتجادلوا به العلماء»**[1]. وعنه ﷺ: **«ذروا المراء؛ فإنّه لا تُفهم حكمته ولا تؤمَن فتنته»**[2].

٤٢- قوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ **[الكهف: ٢٢]**. فهذا هو القول الثالث، فالأوّل: ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾. والثاني: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ رجماً بالغيب، لكن هنا ذَكَرَ الله العدد ولم يُعقّب بشيء ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، وقد يدلّ على تزييف هذا القول، بعكس القول الثالث! وعندما نتأمّل في محاورتهم بقول الله تعالى:﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ **[الكهف: ١٩]**، فهو مُشعرٌ بأنّ عددهم لا يقلُّ عن سبعة، فإنّ ﴿قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو سائل واحد، و﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ﴾ هم مجموعة وأقل الجمع يتحقّق بثلاثة، و﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، هي مجموعة أخرى، كما أوضحنا ذلك في فقرة (٣٦) وأقلّها ثلاثة أيضاً، فأصبح لدينا مجموعتان أقلّها ستة و سائل واحد، فيكون المجموع سبعة، والله أعلم.

٤٣- تعليق الأمر بمشيّة الله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّآ

(١) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، منية المريد: ص١٣٥.

(٢) المصدر نفسه: ص١٧٠.

﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]. فقد أمر الله نبيّه ﷺ في هذه الآية أن لا يقول في أمرٍ من الأمور إنّي فاعل غداً كذا وكذا إلّا أن يُعلّق الأمر بمشيّة الله تعالى، فعجبتُ وأنا أكتبُ في هذه الفوائد عندما سمعتُ من بعض الطلبة بأنّ أستاذهم في إحدى المواد الدرسيّة، أمرهم أن لا يقولوا: إن شاء الله لكل شيء، وبرّر لهم أنّ كل أعمالنا مرهونة بمشية الله تعالى، فلا داعي لذكر ذلك، فقد غَفَلَ أنّ في ذلك أدب قرآني، وما علّمه الله تعالى لنبيّه، حيث قال ﷺ: «**أدّبني ربي فأحسن تأديبي**»[1]، فالألفاظ تدلّ على المعاني، وهل هناك أعظم من التعلّق بالله والخضوع لإرادته قولاً وفعلاً؟.

٤٤ـ قوله تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا﴾ [الكهف: ٢٥]. نلاحظ: أنّ كلمة ازدادوا تعني: أنّهم لبثوا في الأصل ثلاثمائة فقط، ثمّ حدث شيء جعلهم يزدادوا تسعة!، فلعلّ الأصل في الثلاثمائة هو على التقويم الميلادي، وكما هو واضح أنّ القصّة وقعت قبل الإسلام، فعندما هاجر رسول الله ﷺ وبدأ بالتقويم الهجري فالمدّة زادت تسعة سنين، والله أعلم.

٤٥- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٢٢]. المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى؛ إمّا لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلّم، أو ليس عنده ورع يمنعه، فما أكثر فتاوى

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠٨، ص٢٢٢.

التلفاز والفضائيات ممّن لا يَصلَحوا للفتوى في زماننا هذا.

٤٦- قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٨] ، لزوم الصحبة الصالحة يحتاج إلى تصبير النفس؛ لأنّه قد يُخالف الهوى فمن تصطفيه لصحبتك ينبغي أن يحمل خصلتين هما:

١-العمل الصالح: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ ٢-الإخلاص: ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾.

ومن كان يحمل هاتين الخصلتين، فجاء الأمر بملازمته: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾.

٤٧- قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨]. فلم يقل لسانه، بل قال: (قلبه)، فإنّنا قد نجد رجلاً دائم الذكر ولا نجد أثره في دينه وخلُقه ومعاملاته، والسبب: أنّ ذكره بلسانه لا بقلبه.

الجهة الرابعة: فوائد في قصّة صاحب الجنّتين

٤٨ـ موضوع القصّة، هو الشرك بالله تعالى، كما جاء في السّورة: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٣٨]. فالمشرك يقابل الموحّد، والشرك: هو أن يرى في الوجود مؤثّراً غيرالله سبحانه[1]، فإن عَبد هذا الغير، سواء كان صنماً، أو كوكباً، أو إنساناً، أو شيطاناً، كان شرك عبادة، وإن لم

(١) النراقي، محمد مهدي: جامع السعادات: ص١١٤.

يعبده، ولكن لاعتقاد كونه منشأ أثر طاعة فيما لا يرضي الله، فهو شرك طاعة.

والأوّل: **(شرك العبادة)**، يسمّى: بالشرك الجلي. والثاني: **(شرك الطاعة)**، يسمّى: بالشرك الخفي[1].

وإنّ الشرك هو من أعظم الذنوب وأكبرها، كما قال تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [**لقمان: ١٣**] .

للشرك مراتب كما للتوحيد مراتب[2]، وهي:

١ـ الشرك في مقام الذات: وهو عبارة عن الاعتقاد بتعدّد ذات ربّ الأرباب المقدسة، وعبادة الصنم شرك بالله.

٢ـ الشرك في مقام الصفات: وهو الاعتقاد بأنّ صفات الله الحقيقية الذاتية، مثل: الحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، ليست عين ذاته، بل زائدة عنه، وإنّ كل واحدة من هذه الصفات في غيره هي ليست من مواهبه، وإفاضته، فلو قال قائل في حالة مدح النفس: علمي، قدرتي، إرادتي، غناي، فهمي، وغير ذلك بدون أن يقول: علمي الذي أعطاني إياه الله، وقدرتي التي أعطاني إياها الله، فهو شرك.

٣ـ الشرك في مقام الأفعال: وهو أن يعتقد أنّ المالك، والمدبّر في

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الدستغيب، عبد الحسين، الذنوب الكبيرة: ج ١، ص ٥٧.

جميع الأمور، أو جميع العوالم هو غيرُ الله، أي لا اعتقاد له بأن لا حول ولا قوّة إلّا بالله المشتقّة من كلمة لا إله إلّا الله.

٤ـ **الشرك في مقام الطاعة:** هو من لا يعتقد بأنّ الخالق، والرازق، والمدبّر، والمربّي له وسائر المخلوقات واحد لا شريك له، فإنّه لا يعتقد بالامتثال لأوامره والطاعة له سبحانه، ولا الطاعة لكل من عيّنه الله وأعطاه الولاية، وأمر الخلق بالرجوع إليه كالأنبياء وأئمّة الهدى عليهم السلام.

٥ـ **الشرك في مقام العبادة:** أنّ رب العالمين دعا عباده للاقتراب من رحمته، والاستفادة من البركات العظيمة، ونيل ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب أحد، وكما قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ **[السجدة: ١٧]**. وهنا كل من لا يعبُد الله فهو مُشرك، وكل من عبد الله وجعل له شريك **(كالمرائي)** فهو مشـرك، وكذلك من انقاد إلى غير الله فقد جعله مُطاعاً شريكاً لله في الألوهية والربوبية، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ**﴾ **[يس: ٦٠]**، وقوله تعالى: ﴿**أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ **[الفرقان: ٤٣]**.

٤٩ـ قوله تعالى: ﴿**مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا**﴾ **[الكهف: ٣٥]**. من أنواع الشـرك: هو الشرك في الاستعانة بالأسباب، أي: اعتبار الأسباب مستقلّة في التأثير: ﴿**أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾ **[الكهف: ٣٤]**. وتوضيح ذلك: أنّ الإنسان إذا أراد أن يتوصّل إلى منفعة، أو ينجو من ضرر؛ فإنّه يلتجئ إلى أسبابها، ويعتقد أنّ الأسباب هي التي أوصلته إلى مقصوده،

في حين أنّ الوصول إلى النفع والنجاة من الضرر هما من الله الوهّاب بواسطة الأسباب، وكافّة الأسباب مخلوقة منه: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٢] وأنّ ظهور تأثير هذه الأسباب متوقّف على مشيّة الله وإرادته.

٥٠ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [الكهف: ٣٣]. دلت على أنّ النقص ظُلمٌ، فلو أعددنا كلّ نقص وقع فينا ظلماً وأصلحناه لتغيّر حالنا.

٥١- قوله تعالى: ﴿حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف: ٤٠]. الحسبان بمعنى: العذاب، فخُصّ من السماء، لأنّ ما جاء من الأرض قد يُدافَع، لكن ما نزل من السماء يصعُب دفعه، أو يتعذّر.

٥٢ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ٣٤]. فالإسلام مع الحوار البنّاء لا مع تضييع المفاهيم، أو تضليل الحقائق.

٥٣ـ قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ﴾ [الكهف: ٤٢]. هذه كناية عن الندم، فإنّ النادم كثيراً ما يُقلب كفيه ظهراً لبطن، فلا ينفعه شيء ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ﴾ بهلاك أمواله، لكن حين سقطت عروش جنّته، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢]، سرعان ما ندِم، وتذكّر، وقال: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٢] عكس الكثير من الناس اليوم يبتليه الله جلّ جلاله بأنواع البلاءات ولا يتذكّر، ولا يندم، وكأنّه لم يعمل شيئاً.

٥٤ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ [الكهف: ٣٦]. فقد كان يستبعد تغيير الوضع الحالي بقيام الساعة، وهذه من تسويفات النفس

التي اغترّ بها بحيث طال أمله وساء عمله واستبعد حصول المحذور.

٥٥ـ قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ **[الكهف: ٤٢]**. أصل الإحاطة: إدارة الحائط على الشيء، يقال: فلان محاطاً به، وقيل: هي الأرض المحاط التي عليها حائط، ومن المجاز: كل من بلغ أقصى الشيء، وأحصى علمه فقد أحاط به[1].

وهنا أمران:

الأوّل: أنّ عقوبة الله عزّ وجلّ لهذا العبد كانت في محل شركه، أي: أنّه أشرك بسبب جنّته لا بسبب صحته، أو غيرها، فأراد الله عجز من كان يتصوّره بأنّهم ينفعونه **(المال والولد)** تأديباً له، وكما قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾ **[الكهف: ٤٣]**.

والثاني: أنّ صاحبه المؤمن قد دعا عليه بأنواع العذاب: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ **[الكهف: ٤٠]** ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ **[الكهف: ٤١]**. هذا ما كان يتمنّاه المؤمن بإنزال هذه العقوبات على من كان يحاوره وهو صاحبه المشرك، فهل استجاب الله جلّ جلاله لكل هذه الدعوات وهي إنزال الحسبان عليها من السماء، ومعناها: هلاك الجنّة بأكملها. ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، أو عدم استسقائها: ﴿أَوْ يُصْبِحَ

(١) الزبيدي، محب الدين، محمد، تاج العروس من جواهر القاموس: ج١٠، ص٢٢٦.

﴿مَآؤُهَا غَوۡرًا﴾ ؟

الجواب: قد أنزل الله تعالى العقوبة حسب ما يستحقّ ذلك العبد، أي: أنّ الله تعالى أنزل العقوبة بحسب استحقاق العبد لا بحسب ما تمنّاه الغير: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا * وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٢ ـ ٤٣]،

بمعنى آخر: أُنزلت العقوبة في محل شركه، وهي: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾، و﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾، فوقعت في الثمر لا بكلّ الجنّة، وفي نفس الوقت قد ظَهر للذي أشرك عجز وفقر من كان يتصوّر أنّهم ينصرونه.

٥٦ـ قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، الاستعلاء بالمال داءٌ وعاقبته وخيمة وصاحبه ما هو إلّا جاهل مغرور، فقد وَضّحَ لنا القرآن الكريم في أكثر من موضع تقديم المال على غيره، كما قال تعالى: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء:٦]، ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:٦٤]، ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾ [سبأ: ٣٥]، ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [سبأ: ٣٧].

فتقديم المال على البنين هو لرغبة الجميع فيه؛ لأنّ زينة المال أظهر من زينة الأولاد وأوضح للناس والمجتمع، فيمكن أن يفخر الإنسان بالمال ولا يفخر بأولاده، فقد يكونوا سيّئين بحيث لا يُستَحق أن يفخر بهم،

والمال هو الأكثر زينة من الأولاد، ولذلك قُدّم المال على البنين: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥].

٥٧- قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٣٩]. أهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمتجسّد بتقديم النصيحة، والتعليم للجاهل؛ لِئلا ينتشر الظلم والجهل والأمّيّة فتعمّ المنكرات كالجاهلية.

الجهة الخامسة: فوائد في قصة موسى و الخضر عليهما السلام

٥٨- قوله تعالى: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف: ٦٠]، سعى موسى عليه السلام لِلقاء الخضر، لأنّ ما عنده من علم هو من الله: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥]، فعِلمه مُزكّى نافع في الدنيا والآخرة، فعلينا أن نفتّش عن العلم الإلهي النافع ونطلبه من أهله.

٥٩- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥]. العلم اللّدنّي: هو مصطلح قرآني، وقد استعمله العرفاء وأشاروا بذلك إلى أنّ العارف قد بلغ مراتب القرب من الله سبحانه، والانصراف إليه، وأنّ الله تعالى اطّلعه على علم لم يطّلع عليه آخرون. وبعبارة أخرى: أنّ هذا العلم من عند الله سبحانه، وليس من الكسب الشخصي، ويقال: لدنّي، أي: من لدن الله تعالى[1].

(١) طريق معرفة العلم اللّدني هو: تفريغ القلب للتعلّم و تصفية الباطن بتخليته من الرذائل وتحليته

٦٠ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣]. فَقدُ الحوت قد يكون أمراً مكروهاً ليوشع وصيّ موسى عليه السلام، لكنّه كان علامة للقاء العبد الصالح: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤]، فقد يكون فقدان شيء في ما يكره الإنسان خيراً كثيراً، فالإنسان لا يعلم والله يعلم، وكما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٦١ـ قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]. على الإنسان أن يتذكّر ويستعيد مسيرته المنحرفة عن الطريق الذي رُسم له؛ ليرجع إلى سواء السبيل ويثبت على الجادّة المستقيمة: ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ [الكهف: ٦٣] ورجوعه يكون بنفس الطريق السالك به إلى الاستقامة حتى لا يضيع، أو يبتعد أكثر.

٦٢- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]. الشيطان عدوّ شديد حريص على صدّ الناس عن كل ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة.

٦٣- قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]. مشاركة الخادم، أو التلميذ، وغيرهم في الطعام والشراب من

بالفضائل ومتابعة الشرع وملازمة التقوى، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٢٨٢]. انظر: الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج١، ص٩.

التواضع المطلوب.

٦٤ـ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [**الكهف: ٦٦**]. على المرء أن يطلب الخير والفائدة ممن كان صغيراً، أو كبيراً، أو تلميذاً وغيرهم، فالحكمة ضالّة المؤمن، فعليه أن يبحث عن العلم الذي يطلبه حتى عند الأصغر منه، أو الأقلّ منه شأناً، فموسى عليه السلام أفضل من الخضر عليه السلام؛ لأنّه أحد أنبياء أولي العزم، ومع ذلك صاحب الخضر عليه السلام وطلب الفائدة منه.

٦٥- قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [**الكهف: ٦٦**]. التأدّب مع المعلم وحسن خطابه ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ على سبيل السؤال والمشاورة، لا كما يخاطب البعض معلّمه بـ: **(عرفت و فهمت)**.

٦٦ـ قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [**الكهف: ٦٥**]. ما قال تعالى إنساناً، وإنّما قال **(عبداً)** فلعلّه يكون إشارة إلى عبودية الله تعالى، وهي أسمى وأعلى المراتب، ولذا عبّر الله تعالى عن نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله بالعبد، كما قال تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [**الإسراء:١**].

٦٧ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [**الكهف: ٦٧**]. قد نعترض على الأمور الظاهرية في كثير من المفردات أو المعلومات ولا نصبر حتى نتثبّت أو نعرف كامل الحقيقة ولوابسها، وهو نوع من التسرّع المذموم: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [**الكهف: ٦٨**].

٦٨ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [**الكهف: ٦٩**]. علوّ الهمّة، وإصرار موسى عليه السلام على التعلّم بمصاحبة العبد العالم جعله يتعاهد معه،

لكنّه علّق الأمر بمشيئة الله تعالى.

٦٩ـ قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٩]. بدء المعاهدة من موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، فقال له: سأكون تابعاً لك كأيّ تابع، ثمّ ردّ عليه وقال: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٠]، أي: أنت من تريد أن تتّبعني، وليس أنا من أراد ذلك، **إذن:** إن اتّبعتني فلا تسألني.

٧٠- قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي﴾ [الكهف: ٧٠]. قبول العبد الصالح صحبة موسى عليه السلام هو من أدب العلماء، فعلى العالِم أن يخفض جناحه لطلابه، فلا يُرى إلّا متواضعاً؛ ليستفيد منه طلابه، وإذا سئل عن علمه، أو أصبحت له مكانة وشهرة علمية، فيرجع الفضل إلى الله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

٧١- قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ [الكهف: ٧١]. من هنا يبدأ الدرس الأوّل: ﴿خَرَقَهَا﴾ [الكهف: ٧١]، قد يكون الخضر عليه السلام متخفّياً لا يراه أحد عندما خرق السفينة، لأنّهم لو شاهدوه وهو يُغرق السفينة لاعترضوه ومنعوه من ذلك، فربّما نزل وحده إلى الأسفل وبدأ بخرق السفينة، كالذي حصل مع موسى عليه السلام ﴿قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾ [الكهف: ٧١]، فهذا تصوّر من موسى عليه السلام بأنّ أهلها سيغرقون، واللطيف في الأمر، أنّه حصل هذا بمجرد أن ركبوها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [الكهف: ٧١]، أي: لم تكن في وسط البحر، وربما لم تكن قد سارت أصلاً.

٧٢-قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، هذه المرّة الأولى فكأنّه كان الكلام عامّاً وليس موجّهاً إلى موسى عليه السلام، إلّا أنّه في المرّة الثانية عندما قال له: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]، فردّ موسى عليه السلام قائلاً: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣]، فقد أُرهق من تحمّل ما رآه من أحداث لا يصبر على مثلها في الظاهر.

٧٣- قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ [الكهف: ٧٤]، كان هذا هو الدرس الثاني من الخضر لموسى عليه السلام، فلم تُحدّد لنا السّورة عُمر هذا الغلام، لكن من يُرهق أبويه طغياناً وكفراً، فقد يكون بالغاً، أو قريباً من مرحلة البلوغ، أمّا إذا كان أصغر من ذلك، أي: بمرحلة الطفولة لا يطلق عليه غلام ولا يطلق من جرّاءها الإرهاق؛ لأنّ الطفل لم تتّضح نواياه وتصوّراته بعد، والله أعلم. ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

٧٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤]. كان شيئاً عظيماً على موسى عليه السلام، فعندما أراد الخضر عليه السلام أن يُبيّن تأويل هذه القصّة قد عَظّمَ نفسه (خَشِينَا)، لأنّ مسألة قتل النفس مسألةٌ عظيمة.

٧٥- قوله تعالى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف: ٧٦]. موسى عليه السلام هو من ألزم نفسه بهذا الأمر. ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]. من لدنّي: أي من أعماقي كأنّ هذا الذي في قلبي، فلم يقل: بلغت من عندي.

٧٦- قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن

﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]، فمعنى: ﴿ٱسْتَطْعَمَآ﴾، أي: طلبا الطعام، تكشف لنا أنّهم أرادوا استطعام ضيافة، ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾، فلم يفعل أهل هذه القرية ما كان يفعله العرب قديماً من الضيافة ونحوها، فقد يكون أهل هذه القرية بخلاء، أو أنّهم كانوا لا يُراعون الضيافة حسب أعرافهم حينها، لذا قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

٧٧- قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧]، بيّن لنا أنّ الجدار قارب على الإنهيار ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، فأقامه، أي: عدّله؛ لأنّ الإقامة من التعديل، فاعترض موسى عليه السلام: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، أي: كان يمكن لك أن تشأ وتأخذ أجراً، حينها ردَّ الخضر عليه السلام وقال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

٧٨- قوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، كان يستطيع أن يقول: هذا فراق بيني وبينك وتنتهي القصّة، لكنّه أراد أن يُبيّن هذه الأمور الغَيبيّة التي لم يسكت عليها موسى عليه السلام. والجدير بالذكر: أنّ العبد الصالح بعد أن أخذ العهد من موسى عليه السلام بالصّبر، ولم يستطع عليه السلام أن يصبر على ما رآه، قال: هذا فراق بيني وبينك، بينما نحن قد أخذ الله تعالى علينا الكثير من العهود، والمواثيق، ولا زلنا نخلف فيها ونعصيه، وبعد أن قلنا له مراراً وتكراراً: ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾، إلّا أنّه لم يقل لنا: هذا فراق بيني وبينك! فلم يحدث، ولن يحدث أبداً، فسبحانك ربّنا ما أرحمك.

٧٩- قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ **[الكهف: ٧٩]**. كلمة مساكين دخلت عليها **(لام)** التمليك، فالسفينة كانت ملكهم، أي: لم يكونوا فقراء، فمن هنا نعرف الفرق بين الفقراء والمساكين، فمعنى المسكنة: هي الذلة ولا ترتبط بمفهوم الفقر إطلاقاً. وأمّا الفقير: فهو من يتّصف بصفة واحدة وهي الضعف الاقتصادي، فقد يكون المقصود من المسكين هنا هو المسكين المعنوي[١]، وكما نقرأ في الدعاء: **«ووقفت سفينة المساكين على ساحل بحر جودك وكرمك يرجون الجواز على ساحة رحمتك ونعمتك»**[٢].

٨٠-قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ **[الكهف: ٧٩]**. هنا نَسبَ الإرادة لنفسه، أي: ما قال: **(فأردنا)**، فلعلّه فيها معنى العَيب، فلا مجال فيه للتعظيم، ولا يصحّ أن يُنسِب العَيب لله سبحانه على الرغم من أنّه فعل ذلك من وحي ربه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ **[الكهف: ٨٢]**. أمّا في قوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ **[الكهف: ٨١]** عظّمَ فيها نفسه؛ لعظمة الحدث، لأنّ الله أعلمه بشأن هذا الغلام وفساده، وأمّا في قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ **[الكهف: ٨٢]** نَسبَ الإرادة لله تعالى، ولم يقل: **(فأردت، أو فأردنا)**؛لأنّ بلوغ الغلامين هو من عمل الله سبحانه، ولا يستطيع أن يُدخل نفسه فيه، حتى لو عظّم عليه السلام نفسه. ﴿يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا

(١) الصدر،محمد صادق، فقه الأخلاق: ص٣٠.

(٢) القمي،عباس، مفاتيح الجنان: ص ٣٢٧- ٣٢٨.

﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ [الكهف: ٨٢]، فكل الأمر لله.

٨١ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، بينما في الآية قبلها قال: ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، لما فيها من شرح وإيضاح فجاءت تامة ﴿تَسْتَطِع﴾. أمّا هنا، فلأنّ فيها وقت مفارقة وابتعاد قال: ﴿تَسْطِع﴾ من غير تاء، فالزيادة في المبنى تَدُلّ على الزيادة في المعنى، ولو أنّنا تأمّلنا في الآية: ﴿فَمَا اسْطَـٰعُوا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، لاتّضح لنا هذا البيان؛ لأنّ إحداث النقب أشدّ من تسلّل السدّ؛ وذلك لاختلاف القدرة في الاستطاعة، فكأنّ الآية الأخيرة من قول العبد الصالح: ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ تدل على استطاعة موسى عليه السلام في الصبر قد نفدت.

الجهة السادسة: فوائد في قصّة ذي القرنين

٨٢ـ موضوع القصّة علوّ همّة المؤمن، فمن اجتهد حيث انتهت طاقته، ولم يفرّط في شيء مما أوتي من أسباب فسيبلُغ الهدف، وكما قيل: **(من جدّ وجد)**.

٨٣ـ قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]، أخَذَ بتلك الأسباب، وعَمِل بها على وجهها، فالأخذُ بالأسباب المشروعة مشروط بالرجوع إلى الدِّين، واتّباع الأسباب هو نوع من التوكّل على الله، أي: معناه اتّخذ الأسباب وتوكل، فمن أراد الثروة عليه أن يعمل، ومن أراد العلاج يذهب إلى الطبيب، ومن أراد الذريّة يتزوج، وذلك بشرط الاعتقاد أنّ الله هو المؤثّر الحقيقي، وهو مُسبّب هذه الأسباب، فإنّها تربية منه سبحانه عَلَّمَ

بها البشرية لتعمل بالأسباب لا أن تتقاعس، أو تتواكل بدل أن تتوكل، وينتظرون السماء تمطر ذهباً وفضّة ولا يعملون.

٨٤ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ **[الكهف: ٨٥]**، في مثل هذا الموقف نعرف أنّ العرب لم يتركوا شيئاً لم يسألوا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكأنّه قريب من قول أميرالمؤمنين عليه السلام عندما قال: «**اسألوني قبل أن تفقدوني**»[1]؛ لإيضاح أيّ مسألة لم تتضح، أو لأجل فائدة الناس.

٨٥ـ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ **[الكهف: ٩١]**، أي: أحاط خُبراً بما لديه، فالإحاطة أن تحوط الشيء، أي: أن تجعل من علمك دائرة تحوط بها وتطوّقه. والخبر: هو المعرفة البالغة كما نقول هو بذلك خبير.

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ **[الكهف: ٨٨]**. أنّ ذا القرنين لم يقل: أنا سأجازيه؛ لأنّ الإيمان والعمل جزاؤه الجنّة من الله، ولكن قال: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ **[الكهف: ٨٨]**، كقوله: جازاك الله خيراً، أو بارك الله فيك وهو ليس بجزاء.

٨٧- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ **[الكهف: ٨٧]**. الظالم ينبغي أن يُحاسَب في الدنيا فيعذّبه ويطاله القانون، وكما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ **[البقرة: ١٧٩]**، ثمّ

(١) الصفار، محمد بن حسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليهم: ج١، ص٢٦٧.

يعاقبه الله سبحانه في الآخرة. وبعبارة أخرى: أنّ ذا القرنين ليس مكلّفاً بجزاء المؤمن، ولكنّه مكلّفٌ بعقاب الظالم. لا كما يحصل في أيّامنا هذه، فالذي يعمل حسناً لا يُقال له: بارك الله فيك، ومن يظلم ويُفسد لا يُعاقَب من السلطة، ولعلّه يُفسح له المجال أكثر من ذي قبل؛ لنشر الفساد.

٨٨ـ قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ **[الكهف: ٨٦]**. أنّه بحر الظلمات، فكلمة عين: معناها مجرى ماء، أي دائماً تجري ليلاً ونهاراً، وهذه العين كان لونها معتّماً، فكأنّه: ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، والحمئة: معناها، وكما قال المفسرون: طين أسود ولكن قُرأت **(حامية)** في بعض القراءات السبع، ومعناها: حارّة، والمعنى على القراءتين أنّها تغرب في عين حارّة ذات طين أسود، أي: ترائى له كأنّ الشمس تغرب في عين كمن كان في البحر رآها، كأنّها تغرب في الماء[1].

٨٩- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ **[الكهف: ٩٠]**، أي: سار نحو جهة المشرق حتى إذا بلغ الصحراء، لأنّ معنى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ما يستتر به من الشمس، **(كالبنّاء واللباس)**[2]. وقد وَرَدَ عن أميرالمؤمنين عليه السلام: **«أنّه ورد على قوم قد أحرقتهم الشمس وغيّرت أجسامهم وألوانهم حتى صيّرتهم**

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٣، ص ٣٥٦ .

(٢) المصدر نفسه: ج ١٣، ص ٣٥٨ .

كالظُلمة»[1]، وكثير من الناس يطلقون العنان؛ لأنفسهم بفعل القبيح من دون مراعاة للحدود حتى لا يجدوا ما يسترون به فضائح أعمالهم.

٩٠ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ **[الكهف: ٩٢]**، فقد حصلت هذه بعد الحالة الأولى، أي: بعد أن ساق ذو القرنين **(وهو صاحب القوة والعلم)** حملة إلى مغرب الشمس، وأخرى إلى مطلع الشمس، وحملة إلى ما بين السّدّين، أي: هذه الحملات تأتي واحدة تلو الأخرى بمدّة، ولهذا جاء استعمال **(ثم)** التي تفيد الترتيب، وبهذا ليعرف من يطوي المراحل سواء كانت أخلاقية، أو معرفيّة، أو حتى المراحل الدراسية والمعيشيّة وغيرها، فهي تحتاج إلى وقت من مرحلة إلى أخرى، وكذلك لابدَّ من الترتيب فيها ومراعاة التسلسل والتدرّج.

٩١- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ **[الكهف: ٩٣]**، السّدّان: جبلان حاجزان لما وراءهما، والذي وراءهما هما **(قوم يأجوج ومأجوج)**، ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ **[الكهف: ٩٣]**، فمن الممكن أنّهم كانوا لا يعرفون إلّا كلامهم، أو أنّ أذهانهم وأفكارهم لا تفقه الدِّين، والتعبير بالقول عن الدِّين وارد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ **[المزمل: ٥]**. ودليل أنّهم مفسدون قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ **[الكهف: ٩٤]**.

---

(١) العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي: ج٢ ، ص٣٤٢ .

٩٢ـ لعلّ فهم ذي القرنين لهم هو من الأسباب التي يسّرها الله تعالى له.

٩٣ـ يأجوج ومأجوج أُمّتان من بني آدم مفسدتان في الأرض من قديم الزمان، كذلك يخرجون قبل قيام الساعة، فقد اختلف في وصف يأجوج ومأجوج، فروي: («**أنّهم من الترك ومن ولد يافث بن نوح كانوا يفسدون في الأرض فضُرب السّدُّ دونهم**». وروي: «**أنّهم من ولد آدم. وفي عدّة من الروايات أنّهم قوم ولود ولا يموت واحد منهم (أي يتكاثرون ونسبة الموت قليلة) من ذكر، أو أنثى حتى يولد له ألف من الأولاد، وأنّهم أكثر عدد من سائر البشـر حتى عُدّوا في بعض الروايات تسعة أضعاف البشر**». وروي: «**أنّهم من الشدّة والبأس بحيث لا يمرّون ببهيمة، أو سبع، أو إنسان إلّا افترسوه وأكلوه ولا على زرع، أو شجر إلّا رعوه ولا على ماء نهر إلّا شربوه ونشّفوه**». وروي: «**أنّهم أُمّتان كل منهما أربعمائة أمة لا يحصـي عددهم إلّا الله سبحانه**»)[1]. فتأمّل بامتداد تلك الأقوام المفسدة، أو بأقرب المصاديق المتشابهة لها في أيامنا هذه.

٩٤ـ قوله تعالى:(﴿نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ **[الكهف: ٩٤]**، أي: نجعل لك أجراً ومالاً لتبني لنا سداً يحول بيننا وبينهم، لكنّه قال: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي﴾ **[الكهف: ٩٥]**، فالمؤمن يعلم أنّ عطاء الله له خير مما يناله من الناس مهما عظُم، فلا ينبغي للمؤمن الذي مكنّه الله تعالى أن يجعل

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٣، ص٣٧٢ .

فترة عمله فرصة لجمع المال ونهب الثروات، كما يحصل في زمننا هذا.

٩٥ـ قوله تعالى:﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ **[الكهف: ٩٦]**، أي: قِطَع الحديد، ﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾. القطر: هو النحاس، أو الصفر المذاب[1] ليكون أشدّ. ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ **[الكهف: ٩٦]**، أي: أجّجوا النار فلما اشتعلت النار صَبّ عليه قِطراً، وكأنّما أصبحت الفائدة من هذا الدرس في بناء القصور فقط؛ لتحمي من بداخلها من الرؤساء والزعماء ومن لفّ لفّهم، وأمّا الفقير، والمؤسسات المدنية، أو المستشفيات العامّة، أو المدارس وغيرها، تجدها هشّه غير معتنى فيها، فقد تسقط على رؤوس من فيها في أيّ لحظة.

٩٦ـ قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ **[الكهف: ٩٧]**. زيادة التاء في فعل(**استطاع**) كما قلنا تفيد الزيادة في المعنى، وبعبارة أخرى: الصعود على السّدّ أهون من إحداث نقب فيه، لأنّ السّدّ قد صنعه ذو القرنين من زُبر الحديد والنحاس المذاب، لذا جاء في القرآن (**استطاعوا**) للصعود على السّدّ و(**واستطاعوا**) للنقب.

٩٧ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ **[الكهف: ٩٨]**. هكذا المسؤول الصالح إذا مَنَّ الله عليه بالإنجاز أسنده إلى ربه ومولاه دون تصنُّع البطولات.

---

(١) المصدر نفسه: ص ٣٦٠.

٩٨ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [**الكهف: ٩٨**]. دكَّاءَ: أي مهدوم، والكلام هنا عن السّدّ الذي صنعه ذو القرنين، فجعله دكّاء؛ يعني جعله مستوياً في الأرض، وهنا أمران:

الأوّل: إن كان المقصود بوعد الله هو يوم القيامة، فدكُّ السدّ طبيعياً كما تُدّك الجبال، وكما قال تعالى في مواضع كثيرة من القرآن لبيان أهوال يوم القيامة، منها: قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [**الحاقة: ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦**].

وأمّا **الثاني:** إذا كان الوعد الإلهي هو الوعد بظهور منقذ البشـرية المتمثّل بإمام الزمان عليه السلام، فسيكون دكُّ السّدّ وظهور يأجوج ومأجوج قبل الظهور، كما وَرَدَ أيضاً في الروايات بأنّ تلك الأقوام تخرج قبل قيام الساعة[1].

٩٩- قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [**الكهف: ١٠٤**]. العبادة والعمل على بصيرة لا بالأهواء، فإنّ كل خسارة في الدنيا ممكن أن تعوّض، أو يزول ضررها، أمّا إذا أتت القيامة وقد كتبه الله من الخاسرين فكيف له التعويض؟!

وبعبارة أخرى: يعمل المرء ويكدح ثمّ تكون عاقبته إلى النار. ربيّ لا تجعلنا ممن زُيّن له سوء عمله وهو يحسب أنّه يُحسن صنعاً.

---

(١) الفتال، النيشابوري، محمد بن أحمد، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ج٢، ص ٢٨٤.

١٠٠- قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ **[الكهف: ١٠٥]**. قد يؤتى بالرجل العظيم الذي ملأ الدنيا ضجيجاً **(مالاً وإعلاماً ورئاسةً)** فلا يُقام له يوم القيامة وزناً، ويؤتى بالرجل الفقير الضعيف، فقد يكون أثقل في الميزان من جبل أحُد لإيمانه وتقواه.

١٠١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ **[الكهف:١١٠]**، فلو تأمّلنا جيداً في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ **[الفرقان: ٧]**. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ **[الفرقان:٢٠]** لاتّضح للجميع ما ينبغي عليهم من التأسّي برسول الله ﷺ في الجلوس والقيام، والأكل، والمشي، وكما صرّحت بذلك الآيات ووَرَدَت به الروايات الشريفة: «**علّم الله نبيّه التواضع لئلّا يزهى على خلقه فأمره أن يقرّ على نفسه بأنّه آدمي كغيره إلّا أنّه أكرم بالوحي**»[1]، فعلى المرء أن يرى نفسه متساوياً مع الجميع وليس له التكبّر والامتياز عن الآخرين، وكذلك ليس للإنسان حقّاً أن يرى نفسه أفضل من الآخرين.

***

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص٣٠٢.

المبحث الثاني

التدبر التطبيقي في سورة يوسف

المحور الأوّل

سورة يوسف ومعاني مفرداتها

سورة يوسف ومعاني مفرداتها

تقدّم الكلام في أنّ معرفة معاني المفردات القرآنية يكون مقدّمة للتدبّر والغور في مضامين الآيات، وذلك بالرجوع لكتب التفسير لمعرفة معاني تلك المفردات[1]، لذلك قدّمناها للقارئ العزيز لِنُسهّل عليه عملية التدبّر في القرآن.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا[2] إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ[3] رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ[4] وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ

(١) الهويدي، محمد، التفسير المعين: ص٢٣٥.

(٢) يحتالون في هلاكك.

(٣) يصطفيك ربك ويختارك للنبوة.

(٤) تعبير الرؤيا وتفسيرها.

وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦
۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ [1] لِّلسَّآئِلِينَ [2] ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ
أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ [3] إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ
ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا [4] يَخۡلُ لَكُمۡ [5] وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ
قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ [6] يَلۡتَقِطۡهُ [7] بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ [8] إِن
كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ [9] ١١
أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ [10] وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن
تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ [11] إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ

---

(١) دلائل وعبر.

(٢) لمن سأل عن قصتهم.

(٣) جماعة.

(٤) ألقوه في أرض بعيدة عن العمران وعن أبيه.

(٥) يخلص لكم في رعايته.

(٦) في قعر البئر.

(٧) يتناوله.

(٨) مارة الطرق والمسافرين.

(٩) أي: المخلصون في إفادة الخير لهم.

(١٠) يتنّعم ويأكل.

(١١) جماعة.

وَأَجْمَعُوٓاْ(١) أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ(٢)
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا
صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ(٣) لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ(٤) فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ(٥)
فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ(٦) قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ(٧) وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ
﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ(٨) دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ(٩) عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ
نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ(١٠) فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ
ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا

---

(١) عزموا.

(٢) يسابق بعضنا بعضاً.

(٣) زينّت – والتسويل تزيين النفس ما ليس بحسن.

(٤) مارة الطريق أو مسافروه.

(٥) الذي يرد الماء ليستسقي منه.

(٦) أرسلها في البئر ليملأها فتعلّق بها يوسف.

(٧) أخفوه متاعاً للتجارة عن سائر الرفقة.

(٨) باعوه بثمن زهيد قليل.

(٩) أكرمي مقامه عندنا.

(١٠) جعلنا له قوة ومكانة.

بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ (١) ٱلَّتِى هُوَ فِى
بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ (٢) قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ (٣) إِنَّهُۥ رَبِّىٓ
أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ (٤) وَهَمَّ بِهَا (٥) لَوْلَآ أَن
رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ (٦) كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ (٧) وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ (٨) وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا (٩)
لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ
هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن
قُبُلٍ (١٠) فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ

---

(١) طلبت زليخا منه المواقعة.

(٢) اقبل وبادر.

(٣) اعتصم بالله.

(٤) عزمت على الفعل (الجماع) .

(٥) مال طبعه إليها لا القصد الاختياري.

(٦) لولا النبوة المانعة أو أن أقدم قتلوه أهلها.

(٧) أي: تسابقا إليه.

(٨) انشق قميصه من الخلف.

(٩) وجدا زوجها.

(١٠) انشق من أمام.

عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا[1] وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا[2] عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا[3] إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ[4] مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ[5] وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ[6] وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ[7] ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ[8] وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم[9] مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي[10]

---

(١) اكتم الأمر ولا تتحدث به (قالها زوجها أو الشاهد) .

(٢) مملوكها.

(٣) أي: أحبته حبّاً دخل شغاف القلب (والشغاف حجاب القلب) .

(٤) اعدّت لهن وسائد يتكئن عليها.

(٥) أعظمنه.

(٦) فامتنع امتناعاً بليغاً.

(٧) من الأذلاء المهانين.

(٨) أميل إليهن والصبوة إطاعة الهوى.

(٩) ظهر لهم.

(١٠) أرى نفسي في المنام.

أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ [1] وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ [2] إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ [3] مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ [4] وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ [5] خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ [6] فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ [7] فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ

---

(١) أعصر عنباً (سّماه بما يؤول إليه) .

(٢) أي: أخبرنا بتعبيره وما يؤول إليه أمره.

(٣) جمع رب، أي: إله.

(٤) الدّين المستقيم.

(٥) يسقي سيده المنعم عليه.

(٦) عند سيدك بأني حبست ظلماً.

(٧) فمكث.

سِنِينَ[1] ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ[2] وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ[3] أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ[4] أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا[5] فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ[6] فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ[7] يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ[8] ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ[9] وَفِيهِ يَعْصِرُونَ[10] ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ

---

(١) البضع بين الثلاثة والعشرة.

(٢) مهازيل.

(٣) أشراف القوم.

(٤) بعد مدة من الزمن.

(٥) أي: على عاداتكم

(٦) فاتركوه.

(٧) أي: سبع سنين مجدبات صعاب تشتد على الناس.

(٨) مما تحرزون وتدّخرون.

(٩) يمطرون من الغيث أو ينقذون من الغوث.

(١٠) ما يعصر من الثمار والزروع.

قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ [١] ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ [٢] إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ [٣] مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ [٤] ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ [٥] أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ [٦] عَلِيمٞ [٧] ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ [٨] فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ [٩] مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ [١٠] ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم

---

(١) ما حالهن وما شأنهن.

(٢) ما أمركن وما شأنكن.

(٣) تنزيهاً له.

(٤) ظهر واتضح.

(٥) ذو مكانة ومنزلة وأمر نافذ.

(٦) احفظها على أن تجري فيها خيانة.

(٧) بوجوه التصرف.

(٨) جعلناه متمكّناً من التصرّف في أرض مصر.

(٩) ينزل.

(١٠) جاهلون به لا يعرفونه.

بِجَهَازِهِمْ (١) قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (٢)
(٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ (٣) لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا
ٱنقَلَبُوٓا۟ (٤) إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ
مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا (٥) نَكْتَلْ (٦) وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ
ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ
ٱلرَّٰحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ (٧) وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِي ۖ (٨) هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا (٩) وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ
بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ
لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ (١٠) فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)

---

(١) أي: حمل لكل واحد.

(٢) أفضل من يحسن الضيافة.

(٣) جمع رحل وهو ما يوضع على ظهر الدابة.

(٤) رجعوا.

(٥) بنيامين.

(٦) أي: نأخذ الطعام بالكيل.

(٧) يعني: أوعية الطعام.

(٨) أي: ما نطلب.

(٩) نجلب لهم الميرة، وهي: الطعام الذي يحمل من بلد إلى بلد.

(١٠) يحيط بكم عدوكم فيهلككم.

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم (١)
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧
وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا
حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ (٢) قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠
أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ (٣) بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ
ٱلسِّقَايَةَ (٤) فِي رَحۡلِ أَخِيهِ (٥) ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ (٦) أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠ قَالُواْ
وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ (٧) وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ
حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ (٨) ٧٢ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ (٩) إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ
جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥ فَبَدَأَ

---

(١) أي: وما أدفع.

(٢) ضم إليه أخاه من أمه وأبيه، وهو بنيامين.

(٣) فلا تحزن.

(٤) أناء للشرب من ذهب جُعل صاعاً للكيل.

(٥) في متاعه.

(٦) نادى منادٍ.

(٧) صاعه وهو السقاية.

(٨) كفيل ضامن.

(٩) أي: جزاء السارق الاسترقاق، فيكون عبداً وهي شريعة يعقوب.

بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ (١) مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا (٢) يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ (٣) قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ (٤) وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ (٥) أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ (٦) مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ (٧) قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ (٨) فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ (٩) حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ

---

(١) دبرنا ليوسف تدبيراً خفياً في أخذ أخيه.

(٢) فأخفاها.

(٣) أي: لم يظهرها.

(٤) أي: شر منزله.

(٥) أي: نعوذ به معاذاً.

(٦) يأسوا.

(٧) انفردوا متناجين متشاورين يسُر بعضهم بعضاً.

(٨) أي قصرتم في أمره.

(٩) لن أفارق أرض مصر.

ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ (١) لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٢) ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ (٣) حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا (٤) أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى (٥) وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ (٦) مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ (٧) إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ (٨) وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ (٩) فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ

---

(١) زيّنت وسهّلت.

(٢) بمعنى الكاظم وهو المملوء غيظاً.

(٣) أي: ما تزال تذكره.

(٤) مريضا مشرفاً على الموت.

(٥) عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبث إلى الناس.

(٦) تفحصوا واستخبروا من يوسف.

(٧) رحمته.

(٨) الجوع والحاجة.

(٩) رديئة.

عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ (١) ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ (٢) عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ (٣) قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ (٤) ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ (٥) أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ (٦) فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ (٧) وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى

---

(١) فضلك واختارك.

(٢) أي: لا عيب ولا تعيير ولا تأنيب.

(٣) أي: لما انفصلت القافلة عن أرض مصر متوجهةً إلى الشام.

(٤) أي: لفي ذهابك القديم عن الصواب.

(٥) وهو يهوذا إبنه.

(٦) ألقى قميص يوسف على وجهه.

(٧) ضم إليه أباه وأمه.

ٱلْعَرْشِ[1] وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ[2] وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ[3] مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ[4] ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ[5] وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ[6] وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ[7] لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ[8] فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم

---

(١) سرير ملكه.

(٢) تكريماً وتعظيماً لا سجود عبادة.

(٣) من البادية.

(٤) أفسد بيني وبينهم.

(٥) خالقهما ومبدهما.

(٦) عزموا على إلقائه في البئر.

(٧) إلا موعظة وعبرة.

(٨) كم من حجة ودلالة.

بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ [1] مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ [2] وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ [3] أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ [4] وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ [5] لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾

صدق الله العلي العظيم

---

(١) عقوبة تغشاهم وتحيط بهم.

(٢) فجأة من غير سابقة علامة.

(٣) على يقين ومعرفة وحجة واضحة.

(٤) يأسوا من النصر.

(٥) موعظة.

المحور الثاني

الأطروحات في سورة يوسف

مقام التائبين وأحوال الواصلين مُستوحى من قصة السيدة زليخا وما وصلت إليه، ولأجل التوصّل لتلك المقامات علينا أن نتدبّر في آيات القصّة. وقبل بدء التدبّر في الآيات القرآنية نوضّح سبب اختيارنا لقصّة السيدة زليخا:

سبب اختيارنا لقصّة السيدة زليخا

قد سلّطنا الضوء على درس من دروس هذه السّورة **(سورة يوسف)** التي قال تعالى عنها: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ **[يوسف: ٣]**. وهذا الدرس **(قصّة زليخا)** يحمل أسمى دروس الحياة من المصير الذي انتهت إليه. وسبب اختيارنا لقصّتها يقع من عدة جهات:

الجهة الأولى: أنّ جميعَ المفسرين قد سلّطوا الضوء على قصّة النبيّ يوسف عليه السلام وآل يعقوب عليه السلام، من قبيل الرؤيا وتفسيرها، أوحكومته ودعوته عليه السلام إلى التوحيد، فأغلب ما كُتب فيها هو لبيان حياة النبيّ عليه السلام، وهي بلا شك أنموذج خاص بحدّ ذاته، ولكن لم يذكر المفسّرون بشكل دقيق أو عميق شيئاً عن مدى صبر السيدة زليخا وطيّها لمراحل تكاملية، أو وصولها إلى حُسن العاقبة، كمثل التي عُرفت لبعض من خلّدهم التاريخ وحكى لنا قصصهم من التوبة وحُسن الخاتمة أمثال بشر الحافي، وبهلول النبّاش، وأبو لبابة، ورابعة العدوية، وغيرهم، ولعلّه ثبت

صدور الخطيئة من بعضهم، بل أنّ بعضهم قد ارتكب الكبائر، فما بالك بمن لم تصدر منه الخطيئة، وإنّما قد هَمّ بفعلها فقط! ولقد ذكرنا أنّ قصة يوسف عليه السلام تحوي على الكثير من الدروس والعِبر، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [**يوسف: ١١١**]. وهذا لا يمنع أن نوضّح ونُبيّن إحدى هذه الدروس والعِبر في قصّة تلك السيدة ابتداءً من توبتها حتى حضيت بالقرب من النبيّ عليه السلام ورضا الله سبحانه.

الجهة الثانية: أنّنا نسمع الكثير من الناس وهو يُضيف على القصّة إضافات كاذبة، والتي تخصّ جزء من حياة النبيّ يوسف عليه السلام، بل يعتبرها حادثة عشق وغرام ليس أكثر، وذلك يكشف عن قلّة فهمهم أكيداً. فأردنا دفع هذه الشبهات، وتسليط الضوء على هذا الجزء من السّورة المباركة (**سورة يوسف**) وبيان مقام هذه السيدة، وأخذ الفائدة منه.

الجهة الثالثة: أنّ سبب اختيارنا لقصّة السيدة زليخا هو قربها من الواقع، أي: أنّه ما دام المرء مُكبّلاً في قيود النفس والشهوات، وما دامت سلاسل الشهوة مُلتفّة على رقبته، ولا يزال مدفوعاً إلى المعاصي، إذن هو بعيد عن المقامات المعنوية، التي يحظى بها الأنبياء المعصومين من الآثام، لذلك لم نتكلم عن مقام النبيّ يوسف عليه السلام، وتكلّمنا عن مقام السيدة زليخا التي هي أنموذج قرآني واضح للمُعترف بذنبه، الكابِح لنفسه الأمارة. ومن هنا فمن الممكن أن يغتنم الإنسان الفرصة لتهذيب نفسه من قبائح الرذائل، والتحلّي بحُسن الفضائل.

إذن: لابدَّ للإنسان العاقل من السعي واللجوء إلى كل سبيل ولإنقاذ نفسه من أسر الشهوات، لذا علينا أن نطالع في البدء أحوال وحكايات الماضين؛ لنتعرّف على كيفية اجتهادهم ووصولهم حتى ينبعث فينا النشاط والرغبة مقتدين بالمتطهّرين والتوّابين ومنهم السيدة زليخا.

الآيات الخاصّة بالسيدة زليخا:

لو تأمّلنا في الآيات التي ذكرت السيدة زليخا، لأمكن الاستيحاء منها مراحل القرب التي سارت بها، وهي لا تختلف عن الكثير من الذين وصلوا ذلك المقام الكبير ألا وهو مقام التّوابين، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ**﴾ **[البقرة: ٢٢٢]**، كذلك أنّها وصَلَت إلى ساحة وقبول إمام زمانها، أو قل: أنّها انتقلت من حضيض الشرك إلى محض التوحيد، فلنكن منصفين مع تلك السيدة ولا نُسلّط الضوء على معصيتها، أو إصرارها على فعل الفاحشة التي لم تحصل أساساً.

الشهوة و أسرها:

قال تعالى: ﴿**أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ**﴾ **[يوسف: ٢١]**، حيث أنّ غرورها وحبّ الدنيا لم يجعلها تحمد الله على نعمته وهي يوسف عليه السلام؛ لأنّهم آنذاك كانوا مشركين وليسوا بموحّدين وغاية كل عمل يعملونه خالٍ من نيّة القربة، بل مُحمّلة بالمصالح والغايات ﴿**نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا**﴾ **[يوسف:٢١]**.

وفعلاً أكرمته، ولم تذكر لنا الآيات، أو الروايات بأنّها عاملته كعبدٍ من عبيدها في تلك الفترة، بل اهتمّت به أعلى الاهتمام إلى أن اشتدّ عوده

وأصبح شاباً يافعاً.

بعدها راودته ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ [يوسف:٢٣]، وهنا دلالة واضحة على أسر الشهوة، وقد جاء في بيان ذلك في كُتب التفسير: « قد عاش يوسف مع امرأة العزيز تحت سقف واحد أمداً غير قصير، وكان في ريعان شبابه، وضيء الطلعة، فتّاناً في هيئته ومنظره .. فلا عجب أن تُفتن به، وتتهالك (امرأة). وأيضاً لا عجب أن يصمد يوسف عليه السلام لوسائلها، وينجو من حبائلها على رغم أنّ الجنس صرع كثيراً من العقول .. فليس الإنسان عبداً لغريزة الجنس فقط... وقد تنازع امرأة العزيز عاملان: شهوتها الحيوانية تدعوها إلى مراودة يوسف عن نفسه، وينهاها العزّ والكبرياء عن تذلّل لمن ابتاعه زوجها بثمن بخس، وبقيت تتذبذب حائرة بين هذين العاملين أمداً غير قصير، ثمّ انهارت أعصابها، ووقعت فريسة النزوة وشهوة الجنس »[1]، وهكذا كلّ إنسان لو أصبح مقهوراً لهيمنة الشهوة والانجذاب لها لأصبح عبداً مطيعاً في كل ما تأمره به نفسه الأمارة.

التكبّر منبع الخطيئة:

التكبّر: «هو عزّةٌ وتعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير واعتقاد المزية

(١)مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف: ج٤ ، ص ٣٠٠.

والرجحان عليه»[1].

وجاء بمعنى آخر: «هو حالة نفسية تجعل الإنسان يترفّع ويتعالى على الآخرين»[2].

وللتكبّر درجات، «منها: الكِبر بسبب الإيمان والعقائد الحقّة. ومنها: الكِبر بسبب الملكات الفاضلة والصفات الحميدة. ومنها: الكِبر بسبب العبادات والصالحات من الأعمال. ومنها: الكِبر بسبب أمور خارجية يحصل عليها في حياته. أمّا الذي نحن بصدده هنا على وجه الخصوص، فهو الكِبر بسبب أمور خارجية مثل: النسب، والمال، والجمال، والرئاسة وغيرها»[3]، وسببه «هو توهّم الإنسان الكمال في نفسه»[4]، ومنبعه هو الشيطان الذي تكبّر على نبيّنا آدم عليه السلام ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]. فَطُرِد من رحمة الله تعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

أي: أنّ الفرد قد يتكبّر ويتعالى على الآخرين بسبب ماله، أو جماله، أو نسبه، أو علمه، وما إلى ذلك من العوامل الخارجية التي قد تزول، فتكون سبباً لتكبره وتعاليه على الآخرين، من غيرأن يَعِي بأنّ الجمال

(١) النراقي،محمد مهدي: جامع السعادات: ص٢٥٦.

(٢) الخميني، روح الله، الأربعون حديثاً: ص١٠٩.

(٣) المصدر السابق: ص ١١٠، بتصرف.

(٤) المصدر السابق: ص١١٢.

سيزول عندما يكبُر، وقوته سوف تذهب، وبالمرض أو كبر السن سيضعُف، وكذلك بالمال والنسب، ونحوها. وهذه العوامل الخارجية كانت كلّها عند السيدة زليخا، وهي ليست بخارجةٍ عن منظومة البشر، بمعنى: لا عاصمَ للإنسان من الأنيّة والأنانية والتعالي على الناس إلّا التقوى فقط وفقط، ومهما أراد الفرد أن يُروّض نفسه ويؤدّبها بالأداب العُرفية التي قد تفرُض عليه أحياناً، وفي بعض المواقف من أن يتواضع للآخرين ويتفقّدهم ويزور مرضاهم أو يهتمّ بهم وغيرها، فلا تعني أبداً أنّه قد تخلّص من آفة التكبّر والتعالي، أو التباهي وما إلى ذلك، فتبقى الأفعال الصادرة منه مُصطنعة ومؤقّتة ما لم تكن صادرة من وعي إيماني وقلب تقي وعقل سويّ يدرك عاقبة وقبح ورذيلة التكبّر.

الإصرار على الذنب:

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ**﴾ **[يوسف: ٢٤]**، دلالة على أنّ الذنب الذي تنوي فعله قد استحوذ على تفكيرها حتى أصبح همّاً ولا شيء سواه، وعلى ذلك، فمن الطبيعي أنّه ينتج إصراراً بالإتيان به، فإنّ الإصرار على الذنب أكبر من الذنب نفسه، وفيه من الدلائل على أنّه من الكبائر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إيّاك والإصرار؛ فإنّه أكبر من الكبائر، وأعظم الجرائم**»[1]، وقال أيضا: «**أعظم الذنوب ذنب أصرّ عليه عامله**»[2].

---

(١) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم: ص١٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٠١.

وحقيقةً هذا ما نسمعه عن تلك القصّة بأنّ السيدة زليخا قد أصرّت على ذنبٍ، فعليها ما تستحقّ من اللعن والتشهير، وما يستدعي العجب أنّ الذنب الذي أصرّت لفعله لم يقع! والروايات ناظرة لمن أتى بالذنب وأصرّ عليه بإتيانه وكرّر فعله، فيبقى معنى إصرارها لا يتجاوز التفكير به.

المكر والكيد والخداع:

قال تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ **[يوسف: ٢٣]**، فيها دلالة على أنّ معناها يحمل معنى المكر والكيد والخديعة، لانّها تقريباً تأتي بمعنى واحد، وإن كان في تلك الكلمات فرقٌ بالمعنى على نحو الدقّة كما سنبيّن ذلك في كتب اللغة، لكن دلالة **(غلّقت الأبواب)** هو إيقاع الشخص المقابل بتخطيطه هذا، وهو ناتج عن مكرٍ وخديعةٍ وكيدٍ، وعلى كل حال، **فالمكر** يأتي بمعنى: «احتيالٌ بغَيرِ ما تُضمِرُ»[١]، و«أَصل المَكر الخِداع»[٢]، وبالطبع هو مختلف في المعنى عن مكر الله تعالى، وحسب ما جاء في كتب اللغة: «مَكرُ الله إِيقاعُ بلائه بأَعدائه دون أَوليائه»[٣]، ثمّ الكيد، كما قال يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ **[يوسف:٣٣]**، والكيد هو: «ما يدلُّ على معالجةٍ لشيء

(١) صاحب بن عباد، المحيط في اللغة : ج٦، ص ٢٦٣.

(٢) ابن منظور، لسان العرب: ج٥، ص ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ج١، ص ٣٤١.

بشدّة، وكلُّ شيءٍ تُعالِجُه فأنت تَكِيدُه. هذا هو الأصل في الباب، ثمّ يسمُّون المَكر كَيداً. ويَكِيدُ بِنَفسِه، أي: يجودُ بها، كأنَّه يُعالِجها»[1]، ثمّ الخداع بمسألة قدّ القميص، والخداع يأتي بمعنى: «الجُربُزُ الذي يَسعَى بينَ الناسِ بالفَساد، وخبّأ الشيءَ في المخدَع هو المخزن أي: بمعنى الإخفاء»[2]، وكما هو واضح في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ [يوسف: ٢٥].

وأمّا حفظُ يوسف عليه السلام من الله تعالى، فكان واضحاً أيضاً، كما قال تعالى في موضع آخر من القرآن: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

نعم؛ إنّ هذه الأمور كلها كانت عند زليخا حينما همّت ولم تهتمّ أن تقع الخطيئة أو لا، وكانت فخورة بذلك فقد تجاهرت بذلك أمام نسوة المدينة، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، وهو ليس بشيء خاصّ بزليخا وحدها، وإنمّا قد يصدر ذلك من أيّ شخص دون الأولياء والمعصومين الذين عصمهم الله واجتباهم، فكل شخصٍ مُعرّض لأن يقع وتزِلّ قدمه، وعلى كل حال فباب التوبة مفتوح، وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة: ص ١٥٥.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص١٤٩.

وما نقرأه، أو نسمعه عن قصّتها، كأنّه انتهت إلى هنا، ولم يُسَلَّط الضوء على ما يليها من أحداث، لذا تعالوا سويّاً لنتدبّر في مراحل وصولها حتى أصبحت مرضية من الله سبحانه، ومن نبيّه، وليكون هذا بمنزلة درس قرآني لنا جميعاً.

الهمّ بالمعصية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

قد وردت أقوال كثيرة في كتب التفسير في ما يخصّ معنى: ﴿**هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا**﴾، من قبيل ما ذُكر في الميزان عن عيون أخبار الرضا عليه السلام: «عن حمدان عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: إنّ الأنبياء معصومون: قال: بلى، وذكر الحديث إلى أن قال فيه: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، فقال **الرضا عليه السلام: لقد همّت به لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، لكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يهُمّ بذنب ولا يأتيه ولقد حدّثني أبي عن أبيه الصادق عليه السلام أنّه قال: همّت بأن تفعل وهمّ بأن لا يفعل، فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن»**[1].

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص ١٧٩. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١١، ص ١٧٠.

ونحن هنا لا نريد التعرّض إليها أكثر من ذلك، ومن أراد الاطلاع أكثر، فعليه أن يرجع إلى كتب التفسير، ولكن ما نريد بيانه هو: أنّ من حُسن حظ امرأة العزيز أنّها همّت بنبيّ معصوم مما ساعد ذلك على عدم وقوع المعصية ويبقى مجرّد همٌّ فقط من دون صدور الخطيئة، فقد وَرَدَ: «**أنّ الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريّته من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن همّ بحسنة وعملها كتبت له بها عشراً، ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تُكتب عليه سيئة، ومن همّ بها وعملها كُتبت عليه سيئة**»[1].

والمتدبّر في هذه القصّة لا يأبه بالوجوه الضعيفة التي تطرح وتدوّن فيها الكتب، أو ما يسمعه من إضافات كاذبة فيما يخصّ قصّة السيدة زليخا، بل ويصوّرها بأبشع الصور. وننقُل عبارات ما جاءَ في كتاب تفسير الميزان وهو في معرض الدفاع عن النبيّ يوسف عليه السلام، ولكنّ كلامه يصُبّ أيضاً في ما نُريده، وكذلك يستدعي التأمّل في قصّة زليخا وهل أنّها كانت تخضع لأجواء اعتياديّة ولم تتمالك نفسها؟، أم هناك أسباب وظروف كانت أقوى، ولو وقعت لغيرها لصدر أكبر مما صدر من زليخا؟ فقال رحمه الله:« قد كان يوسف عليه السلام رجلاً ومن غريزة الرجال الميل إلى النساء، وكان شابّاً بالغاً أشدّه وذلك أوان غليان الشهوة وثوران

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي: ج٢، ص ٢٣٨.

الشبق، وكان ذا جمال بديع يدهش العقول ويسلب الألباب والجمال والملاحة يدعو إلى الهوى والترح، وكان مستغرقاً في النعمة وهنيئ العيش محبوراً بمثوى كريم وذلك من أقوى أسباب التهوّس والإتراف، وكانت الملكة فتاة فائقة الجمال، وكذلك تكون حرم الملوك والعظماء.

وكانت لا محالة متزيّنة بما يأخذ بمجامع كل قلب، وهي عزيزة مصر وهي عاشقة والهة تتوق إليها النفوس وتتوق نفسها إليه، وكانت لها سوابق الإكرام والإحسان والإنعام ليوسف وذلك كلّه مما يقطع اللسان ويصمت الإنسان، وقد تعرّضت له و دعته إلى نفسها والصبر مع التعرّض أصعب، وقد راودته هذه الفتّانة وأتت فيها بما في مقدرتها من الغنج والدلال، وقد ألحّت عليه فجذبته إلى نفسها حتى قدّت قميصه والصبر معها أصعب وأشقّ، وكانت عزيزة لا يردّ أمرها ولا يثنى رأيها، وهي ربّته، خصّه بها العزيز، وكانا في أحد القصور الزاهية، ذي المناظر الرائقة التي تبهر العيون وتدعو إلى كل عيش هنيء. وكانا في خلوة وقد غلقت الأبواب وأرخت الستور، وكان في أمن من ظهور الأمر وانهتاك الستر؛ لأنّها كانت عزيزة بيدها أسباب الستر والتعمية، ولم تكن هذه المخالطة فائتة لمرّة، بل كان مفتاحاً لعيش هنيءٍ طويل، وكان يمكن ليوسف أن يجعل هذه المخالطة والمعاشقة وسيلةً يتوسّل بها إلى كثير من آمال الحياة وأمانيها كالملك والعزّة والمال. فهذه أسباب وأمور هائلة لو توجّهت إلى جبل لهدّته أو أقبلت على صخرة صماء لأذابتها ولم يكن هناك مما يتوهّم مانعاً إلّا الخوف من ظهور الأمر أو مناعة نسب

يوسف أو قبح الخيانة للعزيز» وقال أيضاً: «التدبّر البالغ في أطراف القصّة وإمعان النظر فيما محتفّ به الجهات والأسباب والشرائط العاملة فيها يعطي أنّ نجاة يوسف منها لم تكن إلّا أمراً خارقاً للعادة و واقعة هي أشبه بالرؤيا منها باليقظة»[1].

الاعتراف بالذنب:

وبعدها بدأت مرحلة جديدة عند السيدة زليخا وهي مواجهة الناس بخطأها وبيان الدوافع التي دفعتها لذلك التفكير، فهو نوع من الاعتراف وإن كان بصورة غير مباشرة: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [**يوسف: ٣٢**]. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [**يوسف: ٣٠**]، وفي مقام المواجهة والردّ عليهنّ كأنّها تقول:«قد كان ليوسف عليه السلام من الجمال الذي يأخذ بمجامع القلوب، فكيف بالذي امتلأت به عينه وشُغِف القلب من إدامة النظر إليه حتى أُسعرت في سرّه كل لهب، وأجّجت كل نار، فاستغرق القلب في حبّه وتولّه في غرامه وقد أُحيط به من كل جانب، فلا همّ له إلّا بيوسف ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [**يوسف: ٣٠**]. وفي رواية عن أبي جعفر عليه السلام قال في هذه الآية: «**قد حجبها حبّه عن الناس فلا تعقل غيره، والحجاب هو الشغاف،**

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١١، ص ١٢٩.

والشغاف هو حجاب القلب»[1]»[2]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى: «أنّ حريّة الملوك وسلطنتهم تمنحهم التنقل في قصورهم، كيف ما شاؤوا ومتى أرادوا من غير سؤال، فكيف تُسأل وهي امرأة العزيز! كما أنّ استعانتها بالأسباب: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ **[يوسف: ٢٣]** ساعدَ على اعتقادها بأنّ خيانتها لن تُكشف، وكانت الخيانة زمانها شيئاً مرفوضاً اجتماعياً لا من أجل الاعتقاد المتولّد من الدِّين والإيمان، فإن توفّرت الأسباب التي تستُرها فلا يبقى شيء لفعلها، فقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ **[يوسف: ٢٣]**، ولكن لمثل النبيّ يوسف عليه السلام لا يطاوعها في مرادها، وقد مُلأ قلبه حباً لله تعالى وكان محلاً لتسديده وعنايته ولطفه، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ **[يوسف: ٢٤]**. وهنا الفارق الأهمّ بين نفوس الأنبياء عليهم السلام ونفوس العامّة التي تتقلّب بين الأهواء، فإن ارتقت، فإنّما ترتقي إلى منزلة التقوى ورجاء الثواب وخوف العقاب. كذلك أنّ زليخا إحدى سيدات المدينة اللّواتي كنّ يتحدّثنَ في محافلهنَّ بعد شياع الخبر. وزليخا كباقي النساء تغلبها العواطف الرقيقة والأحاسيس اللطيفة، والتعلّق بالزينة والجمال، فبعد أن حَضَرنَ عند زليخا وقد هيّأت لهنَّ متّكئاً وآتت كلّ واحدة منهنَّ سكّيناً وقدّمت لهنَّ الفاكهة وخرج إليهنَّ يوسف: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ

(١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج١، ص٣٥٧.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١١، ص ١٢٩.

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

على الرغم من أنهنَّ في بيت العزيز وهو بيت يجب فيه التحفّظ على كلّ أدب ووقار لِما يتمتّع به من شرف وسمعة أوصلته إلى مكانة عزيز الملك، وكان عليهن أن يَحتشمن وهُنَّ من أشراف الناس، ولعلّ البعض منهنَّ ذوات بعولة، فقد فوجئنَّ به دفعة واحدة فَغَشيت قلوبهنَّ، وطارت عقولهنَّ، فنسينَ الفاكهة، وقطّعن أيديهنَّ وأبدينَّ ما في نفوسهنَّ من وله الحبّ بقولهنَّ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

رغم أنهنَّ لم يَرين منه سوى حُسن وجهه، واعتدال صورته، وجمال خلقته، فلم يفارقنَّ المجلس إلّا وهنَّ متيمّات به، ويعرضنَ له نفوسهنَّ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

أمّا بالقياس مع حبّ زليخا، فقد كان استغراقه تدريجياً ممّا رأت من جمال الخلقة والخُلق لا كما أحببنَ النساء بلقاء واحد، فقالت: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]»[1].

الخطوة الأولى نحو التوبة:

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١١، ص١٢٥، بتصرف.

﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ **[يوسف: ٥٠ ـ ٥١]**.

الانطلاقة الأولى نحو الطريق السوي هو: الندم، فقد وَرَدَ عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«ندم القلب يكفّر الذنب»**[١].

نعم، قد أشرقت التوبة على السيدة زليخا: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ كانت تستطيع أن تكذّبه وبكل بساطة كما فعلت أوّل مرة. وكما هو معلوم أنّ التوبة تمحو ما قبلها، وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب، فقول الحق من سمات التائب التي تستنزل عليه الرحمة، كما وَرَدَ: **«من ندم فقد تاب، ومن تاب فقد أناب»**[٢]، و«عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: جاءت امرأةٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالت: يا نبيّ الله امرأةٌ قتلت ولدها هل لها من توبةٍ، فقال صلى الله عليه وآله لها: والذي نفسُ مُحمدٍ بيده لو أنَّها قتلت سبعينَ نبيّاً ثُمَّ تابت ونَدِمت ويَعرِف الله من قَلبها أنَّها لا ترجعُ إلى المعصِية أبداً لقبِل الله توبتها وعفا عنها، فإنّ بابَ التّوبة مفتُوحٌ ما بينَ المشرِق والمغرِب وإنّ التّائِب من الذَنب كمن لا ذنب لهُ»[٣]، وهذا كافٍ في إثبات توبتها بحسب ما مرَّ علينا من روايات في التوبة؛ لأنّها لم تقتل أحداً وكان همّها بارتكاب المعصية لجهلها، ورغم كل ذلك الهمّ

---

(١) النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل: ج١٢، ص١١٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ج١٢، ص ١٣١.

والاصرار لفعل الخطيئة، لكنّها لم تقع، وهناك روايات خاصّة في السيدة زليخا تُثبت قبول توبتها من الله عزّ اسمه كالرواية التي جاءت في تفسير البرهان «**فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يوسف أنّها قد صدقت وإنّي قد أحببتها لحبّها محمّداً صلّى الله عليه وآله**»[1]. **والخلاصة:** أنّ إقرارها بالذنب توبة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**المُقرّ بالذنب تائب**»[2]، حيث قالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ [**يوسف: ٥٣**].

ما بين التوبة وحسن الخاتمة:

ما نستطيع أن نفهمه من بين المقامَين: التوبة وحسن الخاتمة، أي: من مرحلة التوبة إلى مرحلة الوصول لساحة إمام زمانها؛ لأنّه قد وَرَدَ فى عدّة روايات: أنّ النبىّ يوسف عليه السلام قد تزوج بالسيدة زليخا وقد أنجب منها أولاداً، كما وَرَدَ فى تفسير البرهان: «**استأذنت زليخا على يوسف، فقيل لها: إنّا نكره أن نقدّم بك عليه؛ لما كان منك إليه. قالت: إنّى لا أخاف من يخاف الله، فلما دخلت، قال لها: يا زليخا مالى أراك قد تغيّر لونك؟ قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً. فقال لها: ما الذي دعاك إلى ما كان منك؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لو رأيت نبيّاً يقال له: محمد صلّى**

(١) البحراني، سيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج٤ ، ص٢٢٨.

(٢) النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل: ج١٢، ص١١٨.

الله عليه وآله يكون فى آخر الزمان أحسن منّى وجهاً وأحسن منّى خلقاً وأسمح منّى كفاً، قالت: صدقت. قال: وكيف علمت أنّى صدقت؟ قالت: لأنّك حين ذكرته وقع حبّه فى قلبى، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يوسف أنّها قد صدقت وإنّى قد أحببتها لحبّها محمداً صلّى الله عليه وآله فأمره الله عزّ وجلّ أن يتزوّجها»[1].

وكذلك وَرَد فى تفسيرالقمى: «لما مات العزيز فى السنين الجدبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت، فقالوا لها: لو قعدت للعزيز، وكان يوسف سمّى العزيز، وكل ملك كان لهم سمّى بهذا الاسم. فقالت: أستحى منه، فلم يزالوا بها حتى قعدت له، فأقبل يوسف فى موكبه، فقامت إليه فقالت: سبحان الذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً، فقال لها يوسف: أنت تيك؟ فقالت: نعم، وكان اسمها زليخا، فقال لها: هل لك فى رَّغبة؟ قالت: دعنى بعد ما كبرت أتهزأ بى، قال: لا، قالت: نعم، فأمر بها فحولت إلى منزله وكانت هرمة، فقال لها: ألست فعلت بى كذا وكذا، فقالت: يا نبى الله لا تلمنى، فإنّى بليت بثلاثة لم يبتل بها أحد، قال: وما هى؟ قالت: بليت بحبّك ولم يخلق الله لك فى الدنيا نظيراً، وبليت بأنّه لم يكن بمصر امرأة أجمل منّي ولا أكثر مالاً منّي نزع عنّي، وبليت بزوج عنّين، فقال لها يوسف:

(١) البحراني، سيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج٤ ص٢٢٨ .

فما تريدين؟ فقالت: تسأل الله أن يردّ عليّ شبابى، فسأل الله فردّ عليها شبابها فتزوّجها وهى بكر»[1].

والمعلوم أنّ الأنبياء أولى أن يختاروا لنطفهم، فأصبح واضحاً من الروايتين أنّها قد آمنت وصدّقت وأحبّها الله تعالى، **(فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يوسف أنّها قد صدقت وإنّى قد أحببتها)**، وجعلها آية من آياته بردّه عزّ وجلّ شبابها **(فَسَأَل الله فردّ عليها شبابها)**. إذن؛ صبرت السيدة زليخا ونالت، ومن أهمّ ما يُثبّت المرء على إيمانه هو الصبر، فقد وَرَدَ عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«الصبر أحسن حُلل الإيمان وأشرف خلائق الإنسان»**[2]، و**«لا يتحقق الصبر إلا بمقاساة ضد المألوف»**[3]. وقد ذَكَرَ الله تعالى أوصافاً كثيرة للصابرين.

ففى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ **[السجدة: ٢٤]**،

وقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **[النحل: ٩٦]**،

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ **[القصص: ٥٤]**.

ومعنى **الصبر:** «هو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب،

---

(١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج١، ص ٣٥٧.

(٢) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم: ص١٠٣.

(٣) المصدرالسابق: ص ٢٨١.

بأن تقاوم معها، بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمأنينة»[1].

أو بعبارة أخرى: هو تحمّل الإنسان لحالة حدثت له تستدعى منه التحمّل، والهدوء، ومعالجة الأمور بتعقّل ولو طالت مدّة هذه الحالة.

كذلك نستشفّ من بين تلك المقامات: **الزهد**، لأنّها كانت ذات سعة من المال والجاه: **(فإنّى بليت بثلاثة لم يبتل بها أحد، قال: وما هى؟ قالت: ... ولا أكثر مالاً منّى نزع عنّى)**. فأصبحت زوجة مؤمنة خاضعة طائعة لزوجها، **(فتزوّجها وهى بكر)**، ومُعينة له فى نبوّته، وقد وَرَدَ عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله: **«ما تعبدون الله بشىء مثل الزهد فى الدنيا»**[2]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«الزهد أقلّ ما يوجد وأجلّ ما يعهد يمدحه الكل ويتركه الجل»**[3].

وغير ذلك من المقامات، أو الفضائل التي نستطيع أن نستشفّها؛ لأنّنا قد عرفنا البداية وهي التوبة، والنهاية وهي حسن الخاتمة، لأنّ أكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر، كالرضا، والشكر، والصدق، والإيثار، والتواضع، وغيرها.

---

(١) النراقي، محمد مهدي: جامع السعادات: ص٧٢٤ .

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧ ص٣٢٢ .

(٣) الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم: ص٦٢ .

حسن الخاتمة

أنّ الإنسان قد يكون مؤمناً، ويكون الإيمان مستقرّاً وثابتاً في قلبه، وقد يكون كافراً، ويكون الكفر مستقرّاً وثابتاً أيضاً، وقد يكون مُتقلّباً بين الكفر والإيمان، وإنّما يحكم عليه بالسعادة والمفازة بالدنيا والآخرة، أو الشقاوة وخسران الدنيا والآخرة بلحاظ خواتيم أعماله، كما وَرَدَ عن الإمام الكاظم عليه السلام: **«إنّ الله خلق خلقاً للإيمان لا زوال له وخلق خلقاً للكفر لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك أعاره الإيمان يسمّون المعارين..»**[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ العبد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً وقوم يعارون الإيمان ثمّ يسلبونه.. »**[2].

فاتّضح أنّ الإنسان قد تسوء عاقبته إلى درجة أن يختم له بالكفر، وقد يختم له بالفسق، والعكس صحيح أيضاً. وما استعرضناه من روايات خاصّة في حقّ السيدة زليخا كافٍ لإثبات حسن عاقبتها ووصولها إلى ساحة إمام زمانها ورضا الله عنها. وهذه هي أمنية كل مؤمن.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٤١٨.

(٢) المصدر نفسه.

أهمّ الأمور التي تساعد على ثبات المؤمن:

بعد أن تكلّمنا عن حُسن الخاتمة، ولتتميم الفائدة أكثر، نذكرأهم الأمورالتي تُساعد على ثبات المؤمن على إيمانه واستقراره في قلبه، وهي:

١- فعل الواجبات وترك المحرّمات وتعاليم شرع الله، وهي الجادّة الصحيحة، كما وَرَدَ عن أميرالمؤمنين عليه السلام: **«يا كميل إنّما تستحق أن تكون مستقراً إذا لزمت الجادّة الواضحة..»**[١].

٢- معرفة الله، كما وَرَدَ في الدعاء: **«اللهم عرّفني نفسك؛ فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرّفني نبيّك؛ فإنّك إن لم تعرّفني نبيّك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك؛ فإنك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني»**[٢]. فقد ورد أنّ المواظبة على هذا الدعاء يقي الإنسان من العديلة ويثبته على الإيمان.

٣- العمل الصالح، فقد وَرَدَ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«لا يثبت الإيمان إلّا بالعمل...»**[٣].

٤- لزوم الدعاء والإلحاح به، فقد وَرَدَ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ الله**

---

(١) ابن شعبه الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص١٧٤.

(٢) الكليني،محمد بن يعقوب، الكاف: ج١، ص٣٣٧.

(٣) المصدر نفسه: ج٢ ، ص ٣٨ .

جَبَلَ النبيّين على نبوّتهم، فلا يرتدّون أبداً، وجَبَلَ الأوصياء على وصاياهم، فلا يرتدّون أبداً، وجَبَلَ بعض المؤمنين على الإيمان، فلا يرتدّون أبداً، ومنهم من أُعير الإيمان عارية فإذا دعا وألحّ في الدعاء مات على الإيمان»[1]. لذلك علّمونا أهل بيت النبوّة عليهم السلام الدعاء المعروف بالعديلة، وهو التحرّز من العديلة عند الموت، بمعنى: العدول من الحقّ إلى الباطل.

وأنّ الوصول إليها يحتاج إلى جهد ومثابرة مع التحرّز من الوقوع في شِباك الشيطان، وهوى النفس، وكما اجهدت السيدة زليخا نفسها حتى ختمت حياتها بالحُسن في قبولها عند إمام زمانها الذي هو امتداد لقبولها من الله جلّ جلاله. فعلينا أن نحرص دائماً على أنفسنا والمتابعة لها؛ لتكون خاتمتنا حُسن العاقبة مع محمّد وآل محمد عليهم السلام.

***

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٤١٩ .

الملخص:

١- من خلال تتبّع الآيات الخاصّة بامرأة العزيز التي ابتدأت من همّها بارتكاب الذنب والإصرار عليه إلى التوبة ووصولها إلى ساحة قبول إمام زمانها، فوقفنا على مراحل قد سارت بها وهي بذلك لا تختلف عن الكثيرين الذين وصلوا وقد خلّدهم التاريخ وأصبحت قصصهم عِبرةً.

٢- لم نسلّط الضوء على معصية تلك السيدة امراة العزيز وزوجة النبيّ عليه السلام، التي لم تقع أساساً، كما فعله الآخرون، وكذلك دَفعُ ما قد يُضاف على جزء من حياة النبيّ مع تلك السيدة، أو تصويره بصورة لا تليق به.

٣- ذِكرُ قصص التوّابين والواصلين أمثال السيدة زليخا قد يكون فرصة لاغتنامها من قبل أيّ إنسان طالما هو مُعرّض للوقوع في أسر الشهوات وقيود النفس الأمارة.

***

الأطروحة الثانية في سورة يوسف عليه السلام

العقيدة في إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف هي المحور الرئيسي في هذه الأطروحة ولأجل التوصّل إليها لابدَّ من أن ننظر في طريق الروايات الواردة في ذكر موارد التشابه بين قضيّة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف والنبيّ يوسف عليه السلام، ومن ثمّ التأمّل في آيات السّورة، للتزوّد بوقفة اعتقادية من جهة قرآنية.

الروايات الواردة في المقام

قال أبو عبد الله عليه السلام: **«إنّ في صاحب هذا الأمر سنن من الأنبياء سنّة من موسى بن عمران، وسنّة من عيسى، وسنّة من يوسف، وسنّة من محمّد صلى الله عليه وآله، فأمّا سنّة من موسى فخائف يترقّب، وأمّا سنّة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى، وأمّا سنّة من يوسف، فالستر يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه»**[1].

وعن الصادق عليه السلام، قال: **«في صاحب هذا الأمر أربع سنن من الأنبياء: سنّة من موسى، وسنّة من عيسى، وسنّة من يوسف، وسنّة من محمد صلى الله عليه وآله، فأمّا من موسى فخائف يترقب، وأمّا من يوسف فالسجن والغَيبة...»**[2].

---

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين و تمام النعمة: ج٢، ص٣٥٠ .

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٥١، ص٢١٧.

فالتشابه واضح من خلال هذه الروايات بين قصة النبيّ يوسف عليه السلام وإمام زماننا عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وتوجد موارد أخرى للتشابه ذُكرت أيضاً في الروايات ويمكن للمتدبّر الاستفادة منها بجهات أخرى، كرواية الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام، قال: «**في صاحب هذا الأمر أربعة سنن من أربع أنبياء: سنة من موسى في غيبته، وسنة من عيسى في خوفه، ومراقبته اليهود، وقولهم مات ولم يمت وقتل ولم يقتل، وسنة من يوسف في جماله وسخائه، وسنة من محمد في السيف يظهر به**»[1]. كذلك في موارد التشابه بين الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وبين بقية الأنبياء عليهم السلام.

أمّا ما نُريد بيانه هنا فهو زاوية عقائدية تُسلّط الضوء على أهمّ مسائلها كالغَيبة والظهور، ونحوها من المسائل.

ونبدأ بالتدبّر في أحسن القصص القرآنية ألا وهي سورة يوسف عليه السلام التي قال تعالى عنها وميّزها عن بقيّة القصص بقوله: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ**﴾ **[يوسف: ٣]**، ونرى هذا التشابه المذكور في الروايات السابقة، ولكن من جهة قرآنية، حيث دلّتنا الروايات في أنّ التشابه مع النبيّ يوسف عليه السلام، مُحدّد في هذه السّورة، لأنّها السّورة الوحيدة من القرآن الكريم التي تكلّمت عن حياة أحد

(١) المسعودي، علي بن حسين، إثبات الوصية: ص٢٦٧.

الأنبياء كاملة، بخلاف البقيّة منهم(عليهم السلام)، حيث نجد أنّ حياتهم ودورهم الرسالي كان موزّعاً ومفرّقاً في عدة سور من القرآن الكريم، وإن سُمّيت بعض السّور بأسمائهم، كسورة نوح، وسورة إبراهيم، وسورة هود، ونحوها. وبهذين الأمرين - **حياة النبيّ الوحيدة في سورة كاملة، والروايات الدالة على التشابه بين الإمام والنبيّ يوسف**- نجد أنّ القرآن، كأنّما ينطق ويقول: تأمّلوا وتدبّروا في هذه السّورة؛ لتتعرّفوا على إمام الزمان من غَيبته إلى ظهوره ودوره المهمّ الذي سُمّي به منقذ البشرية.

وهذه أهمّ الأسباب التي دعتنا إلى طرح هذا المستوى، والدخول لهذه الزاوية الاعتقادية بربط قصّة يوسف(عليه السلام) بقضيّة مولانا الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ومن هذا المنطلق ينبغي علينا أن نعتَبر ولا نَعبُر غفلة من دون تدبّر، كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ **[يوسف:١١١]**، وعلينا أن نقف على هذه السّورة المباركة للتزوّد بوقفات اعتقادية كما نتزوّد من وقفات أخلاقية وغيرها، ولنتدبّرسويّاً في الآيات القرآنية المباركة.

البشارة و التمكين

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ **[يوسف:٤]**، بشارة إلهيّة وفتح ربانيّ ليوسف(عليه السلام) بتمكينه في الأرض، وكما قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ** ﴾ **[يوسف: ٥٦]**، وقد ذُكرت أوجه كثيرة في كُتب التفسير في بيان معنى التمكين، وأفضل ما ذُكر في

ذلك هو: «التمكين المطلق، أي: أنّها شاملة لجميع وجوه التشبيه من التمكين بإخراجه من الجبّ وبيعه واستقراره في بيت العزيز، أو تمكينه بصرف كيد النسوة، أو خروجه من السجن، أو بتمكينه من تعبير الرؤيا، أو تمكينه بانتصابه على خزائن أرض مصر»[1].

وبالطبع أنّ ما يحمله التمكين من معنى يستدعي الحسد، بل المكيدة أيضاً، كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ **[يوسف:٥]**، أي: أكتم ذلك، وإلّا ستصيبك المكيدة من الأقرباء قبل الأعداء. وكذلك البشارة بالاجتباء بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ **[يوسف: ٦]**، وحاصِل هذا التمكين والاجتباء هو إتمام النعمة﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ **[يوسف: ٦]** ، والمراد من إتمام النعمة: تعقيب الولاية برفقة سائر نواقص الحياة السعيدة وضمّ الدنيا إلى الآخرة...؛ لأنّ النعمة وهي الولاية مختلفة الدرجات متفاوتة المراتب[2].

والحال نفسه من التمكين والاجتباء وإتمام النعمة مع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فجاءت روايات كثيرة تحكي لنا وتوضح تمكينه، بل وغلبته في الأرض«**يملأ الأرض عدلاً وقسطاً...**»[3]، فضلاً عن نصوص قرآنية أوّلها أئمّة أهل البيت عليهم السلام بالبُشارة وتمكين الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف من قبيل قوله تعالى:

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١١، ص ١١٢-١١٣، بتصرف.

(٢) انظر: المصدر السابق: ص٨٧.

(٣) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ج٢ ، ص٧٧٥ .

«﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]، و﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] »[1].

وهذه الآيات وآيات أخرى[2] تشير إلى البُشارة الإلهيّة العظيمة وهي تتناغم مع الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]، فهي تَرنّ في أُذن قارئ القرآن وبصوت عالٍ بأنّ هناك بشارة وعد بها سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ووعِد بها المسلمون، وأنّ هناك ظهوراً للدِّين على يد رجل مصلح ومنقذ للبشرية جمعاء.

وخلاصة ما تقدّم: أنّ يوسف عليه السلام قد بُشّـر بالاجتباء والتمكين، وكذلك الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بُشّـر بالاجتباء والتمكين أيضاً.

الغَيبة:

الغَيبة من المباحث المهمّة التي تستدعي التدبّر وأن نقف عندها متأمّلين والنظر في الآيات القرآنية من هذه الزاوية.

حيث دلّتنا عليه الروايات وأرشدتنا بالنظر إلى التشابه بين قضيّة الإمام

(١) انظر: اليزدي، الحائري، الشيخ علي، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب: ج١، ص ٥٢ .

(٢) المصدر نفسه: ص٥٢ ، أخبار الله تعالى في كلامه المجيد بوجود القائم وغيبته، والآيات المؤوّلة به.

المهدي عجل الله فرجه الشريف وقصّة النبيّ يوسف عليه السلام، ومن جانب أخر: النظر في أهميّة وثمرة الغَيبَة للمنتظر الموعود.

ومن المعلوم أن النبيّ يوسف عليه السلام كانت له غَيبة ابتدأت من الجبّ، وهو من جرّاء خصمه الذي يتربّص به، كما هو واضح من حياة بقيّة الأنبياء وما تعرّضوا له من محاولات للاغتيال، وإيذائهم، وتهجيرهم، ومنهم النبيّ يوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ **[يوسف: ١٥]**.

وحيث أنّ قصّة النبيّ يوسف عليه السلام واضحة في كُتب التفسير، فلا نريد هنا أن ندخل في تفاصيلها، بقدر أنّنا نريد أن نستفيد من العلاقة والمناسبة بين ما جرى للنبيّ يوسف عليه السلام وما تُشير إليه قصته، لتعطينا نموذجاً واضحاً من القرآن الكريم عن الغَيبة. بمعنى: ما نوع هذه الغَيبة، أو بمعنى آخر: هل هي غَيبة وجود، أم هي غَيبة شعور؟ وكذلك ما هو دور الإمام في رعاية شؤون العالم في زمن الغَيبة، وهم يشاهدونه ولايعرفونه؟، فكل هذه الأمور المهمّة قد أشار إليها القرآن الكريم، وهذه وظيفة المتدبّر كما أسلفنا من أن يربط بين الآيات القرآنية وواقعه الحالي.

ومن هنا نقول: أن يوسف عليه السلام غاب عن أبيه وعن قومه، كما قال تعالى: ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ **[يوسف: ١٠]**، وهو تدخّل إلهي وبلا شك لحفظه من القتل ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ **[يوسف:١٠]**، وبعد تأكّد الخطر هذا لولي من أولياء الله تبارك وتعالى الذي وعد أن يكون مصلحاً ومتمكّناً في الأرض، فالغَيبة حينئذٍ هي أمن وحراسة وضمان له حتى من

أقرب الناس وهي خاصته وذويه فضلاً عن العامّة، وهذا ما نراه قريباً ومتشابهاً مع غَيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف التي بدأت من سرداب الغَيبة، فكما كان الجبّ محطة لبدء غَيبة يوسف عليه السلام عن أهله وشيعته، كذلك قد كان السرداب محطّة لبدء الغَيبة لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف عن أهله وشيعته، ولكن ليس كما يقول البعض: أنّه دخل في السرداب وغاب ولم يخرج منه لحدّ الآن، بل نحن نقول: بدأت الغَيبة من السرداب، فهو« المكان الطبيعي للاختفاء من هجوم الجهاز الحاكم آنذاك، وقد أوضحت الأخبار في هذا الصدد أنّه خرج منه، وجلاوزة السلطان يحاصرون ذلك السرداب ولم يلتفتوا إليه »[1]، ومن حين خروجه بدأت الغَيبة.

وحيث أنّ النبيّ يوسف عليه السلام كان يعيش بين الناس يأكل ويشرب ويعمل مثله كمثل باقي البشر، لكن بغير شخصيته الحقيقية، وكان ينتظرأمر الله تعالى، لإعلان ظهوره، ليُمارس دعوته بشكل مُعلن، وهذا هو التشابه مع حال الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بعدم الشعور بالغائب لا عدم وجود الغائب، أو بعبارة أخرى: هي ليست عدم المعرفة لولي الله مع كونه حاضراً: كما حكى الله جلّ جلاله عن إخوة يوسف عليه السلام بأنّهم لم يعرفونه، بقوله تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]. لذلك ينبغي الالتفات إلى أنّ «هذه الغَيبة ليست غَيبةَ وجودٍ، أو حضورٍ، وإنّما غَيبة شعور، بمعنى: لا

(١) انظر: الصدر، محمد صادق، تاريخ الغيبة الصغرى: ج١، ص ٥٢٠، بتصرف.

يشعر به الأطراف الآخرون، ويطلق عليها بغَيب الهويّة، أو خفاء العنوان. وبعبارة أخرى: إنّه يعيش بشخصيّة ثانويّة متكوّنة من اسم مستعار وعمل مُعيّن وأسلوب في الحياة غير ملفت للنظر»[1].

وكذلك عندما أُذيع خبر مقتل النبيّ يوسف عليه السلام: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ [**يوسف: ١٦**]، هو الشيء نفسه عندما «أُشيع الخبر في الدولة العباسية آنذاك بأنّه لا خَلَفَ للإمام العسكري عليه السلام، أو أنّ السلطة العباسية قتلته، حيث كان القبض على الإمام عجل الله فرجه الشريف هو أحد الأهداف الكبرى للدولة العباسية وهي تعلم أنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هو المذخور لرفع الظلم والجور عن بني البشر، فهو حينئذٍ يشكّل خطراً عليها، أو يهدّد كيانها ووجودها، فقد جرّدت السلطات ثلاث حملات للقبض عليه؛ أحدها: قام بها المعتمد في الفترة القليلة المتأخّرة عن وفاة الإمام العسكري عليه السلام، والأُخريات قام بها المعتضد الذي تولّى الحكم بعده، ناهيك عن أخبار التجسس الناتج من تلك الدولة»[2]، ومن ثمّ نرى ما حصل بعدها للنبيّ يوسف عليه السلام: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ﴾ [**يوسف: ١٩**]، ونتدبّر في تعاطي وتفاعُل الناس مع وليّ الله وهم لا يشعرون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [**يوسف:٢١**].

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٠٧، بتصرف.

(٢) المصدر السابق: ص ٥١١، بتصرف.

بمعنى: يفتح الله له السُبل في التدرّج لنفوذ اليد، وليكون مبسوط القدرة، وهو الشيء نفسه الذي نعتقده بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف «حيث كان متدرّجاً في الاحتجاب في أوّل الفترة، وكلّما مشى به الزمن زاد احتجابه»[1]، حتى يقضي الله جلّ جلاله ويُدبّر أمره للمُصلح الموعود عجل الله فرجه الشريف على الرغم من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

وهناك التفاتة أخرى هي: أنّ الغَيبة التي حصلت لنبيّ الله يوسف عليه السلام كانت في صغره، أي: في زمن الرؤيا في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [**يوسف:٤**] والتي تدل على قربها لزمن ابتداء غَيبته كما هو واضح من خلال تسلسل الأحداث ، حيث جاءَ في تفسير الميزان عن الإمام الباقر عليه السلام «قال: فرأى يوسف هذه الرؤيا وله تسع سنين فقصّها على أبيه، فقال: لا تقصص...»[2] وهو ما حصل للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف نفسه، حيث بدأت غيبته، أي: بدء عصر الغَيبة الصغرى بوفاة الإمام العسكري عليه السلام عام ٢٦٠ هـ في شهر ربيع الأوّل، والمشهور أنّ ولادته في النصف من شعبان عام ٢٥٥ هـ ، فيعني أنّ غَيبته بدأت وله أربع سنوات وحوالي ستة أشهر[3].

---

(١) المصدرالسابق: ص ٥٨٢ ، بتصرف.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١١، ص٨٨.

(٣) انظر: الصدر، محمد صادق، تاريخ الغيبة الصغرى: ج١ ، ص ٣٢٩.

عدم معرفة الإمام في زمن الغَيبة:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢].

بعد الاستمرار في غَيبته، وعدم معرفة شخصيته إلى أن: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣]، وهذا واضحٌ وبلا شك من رواية مولانا الصادق عليه السلام التي ذكرناها في بداية الحديث: «**... وأمّا من يوسف فالسجن والغَيبة**»[1]، فبالتأمّل في مِحنة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف يتضح: أنّ الدنيا بسعتها والأرض برحبها صارت سجناً له ـ بأبي هو وأمي ـ حيث لا يأمن أن يظهر على الرغم من إعلان الشيعة لمحبّته وانتسابهم إليه حتى ضاقت عليه الدنيا، فهو سجين منذ ولادته و إلى الآن، وكما وَرَدَ: «**الدنيا سجن المؤمن**»[2]، فإذا كانت الدنيا سجن للفرد العادي بسبب إيمانه فكيف لا تكون سجناً لمن كان مصداقاً كاملاً وحقيقياً للمؤمن.

دور الإمام و تأثيره في زمن الغيبة

ويستمر مسلسل الأحداث بتدبير من الله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ

---

(١) ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين و تمام النعمة: ج١ ، ص٣٢٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٥.

يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ [يوسف:٤٣]، فهي أزمة اقتصادية سَتحلُّ بأهل مصر يُراد لها تدبير حكيم من شخص مكين، ويراد لها نظام اقتصادي حصين، لمِا سيواجهونه من قَحط في المعيشة وأزمة اقتصادية حادّة وظروف صعبة، فمن هو الذي سينقذهم من هذه الأزمة؟

والجواب: هو النبيّ يوسف عليه السلام لا غير؛ لأنّهم ليسوا بالمستوى المطلوب أمام تأويل رؤيا، فضلاً عن هذه الأزمة التي تواجههم. وهذا ما نعتقده بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه، فهو الذي سينقذ البشـرية من زمان تملؤه الأزمات الحادّة التي تحتاج إلى سياسة صحيحة، وبرمجة وتدبير لإنقاذهم، ولا تتحقق إلّا في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وما يمتلكه من علوم من قبل الله تعالى، فهي علوم لدنّية لا تُخطئ الواقع أبداً، كما كان ذلك في يوسف عليه السلام: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾ [يوسف:٤٨]، وقصّته من تدبير شؤون الناس والخروج من الأزمة الاقتصادية التي أشارت إليها الآية الكريمة واضحة للقارئ في كتب التفسير، فكذلك الحال هنا أنّ البشرية تتطلّع إلى نظام اقتصادي إلهي يتكفّل حمايتهم لمِا تتعرّض له من أزمات، أومنعطفات حادّة جداً في إدارة السياسة المالية على صعيد العالم، وتحقيق ذلك لا يكون إلّا في دولة العدل الإلهي، وما دلت عليه الروايات كثيرة من تحقيق العدل والرفاه والسعادة وبجميع الأصعدة. وخير ما ننصح به قراءة كتاب تاريخ ما بعد الظهور – **منجزات الإمام المهدي على الصعيدين الاجتماعي**

والاقتصادي- للشهيد محمد صادق الصدر[1]، من حيث نقله للروايات المتضمنة لأهمّ منجزات الإمام المهدي وبيان سياسته الزراعية والعمرانية وظهور المعادن والكنوز على سطح الأرض وكذلك بيان السياسة الماليّة لدولة العدل الإلهي من خلال بيانه لتلك الروايات وشرحها بأسلوب علمي واضح وشيّق يغني القارئ بتحصيل رؤية واضحة وكافية بهذا الخصوص إن شاء الله تعالى.

أمّا نحن هنا، فلا نُريد تكرار ما كتبه علماؤنا والمختصّون والمهتمّون بالشأن المهدوي، وإنّما وظيفتنا هي إلفات نظر القارئ والمتدبّر لوجه العلاقة، أو التشابه بين قضيّة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وقصّة النبيّ يوسف عليه السلام وليس من شأننا سرد الوقائع والأخبار من جهة تاريخية،إلّا بقدر الاستشهاد وتوضيح الربط فيما بينها.

لذا نكتفي بالاستدلال على تحقيق العدل المطلق بجميع نواحي الحياة بالتأمّل بكلمات الرواية «**يملأ الأرض عدلاً وقسطاً...**»[2]، وهذا لا يتم إلّا بتدبيرالله تعالى، وكما حصل ذلك في قصّة يوسف عليه السلام حينما قال: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وبعبارة أخرى: أنّ القيام بالدور الحسّاس والمصيريّ من قبل خليفة الله تعالى في تدبير الأمور، لا يستلزم شعور الآخرين بهويته أثناء غَيبته لحين

(١) الصدر، محمد صادق، تاريخ ما بعد الظهور: ص ٥٦٦.

(٢) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ج٢ ، ص٧٧٥.

الظهور، وكما حَصَل ذلك مع نبيّ الله يوسف عليه السلام؛ إذ أنّهم كانوا يرونه ولا يعرفونه، ويُدبِّر لهم، ويتعاطى معهم، ويُؤثّر في مصير الناس، ويحفظها من المنزلقات وبدون أن يشعرون بأنّه نبيّ وأنّه مُسدّدٌ من الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**﴾ [**يوسف: ٥٨**].

الملخص:

١- كما توقّفنا على آيات القرآن الكريم وتزوّدنا بوقفات أخلاقية ومعرفيّة، كذلك نقف على هذه السّورة المباركة، لنتزوّد بوقفات اعتقادية، والعقيدة في إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف هي خير ما نقف عليه.

٢- ذكرنا الروايات التي وردت في بيان التشابه بين قصّة النبيّ يوسف عليه السلام وإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكذلك بيان جهات الاشتراك في مناسباتها.

٣- بيّنا أهمّ المطالب التي قد ترِد عليها شبهات، كالغَيبة وما هو وجه انتفاع الناس في تلك الغَيبة؟ وكذلك سبب عدم معرفة شخصية الإمام في زمن الغَيبة؟

٤- بيان الدور المصيري الذي يقوم به خليفة الله في أرضه، كتدبير أمور الناس، أو حفظها من المنزلقات، أو ما يواجهونه من أزمات، أو بسط العدل (**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً**).

المحور الثالث

فوائد تدبّرية عامّة في سورة يوسف عليه السلام

فوائد تدبّرية عامّة في سورة يوسف عليه السلام [1]

١ـ أنّ قصّة النبيّ يوسف عليه السلام هي أطول قصّة في سورة واحدة من القرآن الكريم؛ لأنّ قصص الأنبياء جاءت مجزّئة في عدّة سور، فقد عرضت هذه السّورة الأفكار على شكل حوادث، وعلى شكل تحليل، وعلى شكل بداية ونهاية، والعِبرة لمن يضع يده على مغزى من مغازي القصّة.

٢- إخوة يوسف عليه السلام أقوياء وقد مكروا به، ووضعوه في غياهب الجبّ؛ ليتخلّصوا منه، لكنّ الله **(غالب على أمره)** فصار عزيز مصر.

٣ـ من مقاصد هذه السّورة، فوز وربح المُطيع لله، وخسارة وخيبة من عصاه.

٤ـ كان النبيّ يوسف عليه السلام غريباً وفي ريعان الشباب أعزبَ، وفي الوقت نفسه عبداً، وقد دعته سيدته إلى ارتكاب الفاحشة؛ لكنّه لم يقترف

---

(١) هذه الفوائد مقتبسة ومستفادة من عدة مصادر، مع التصرف بانتقاء البعض منها، وإضافة ما وفّقنا إليه من تأمّلات، والمصادر هي: ١- دروس الشيخ ناصر العمر، موقع ملتقى أهل الحديث، مقالة تفسير سورة يوسف، ٢- الشيخ محمد صالح، من موقع أهل التفسير، مقالة تفسير سورة يوسف. ٣- عبد الرحمن القماش، موقع نداء الإيمان من كتاب الحاوي في تفسير القرآن، سورة يوسف. ٤- العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، سورة يوسف. ٥- ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، سورة يوسف. ٦- محمد جواد مُغْنية، تفسير الكاشف، سورة يوسف .

المعصية، وجعله الله عزيزاً لمصر، كما قال تعالى لنبيّنا الأكرم: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ **[الشرح: ٤]**.

٥ـ شِباك الشهوة يصعُب النجاة منها، إلّا إذا جعلت بينك وبينها حجاب أمان، فغضّ البصر حجاب أمان، وعدم الخلوة بامرأة أجنبية حجاب أمان، وعدم مطالعة القصص المبتذلة والمثيرة حجاب أمان، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾ **[الإسراء: ٣٢]**، فبمجرّد أن تتخطّى حجاب الأمان ستجرُّك الشهوة إلى شباكها دون أن تشعر.

٦- ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ **[يوسف: ٣]**، قائلها عظيم، فوائدها مكتنزة، موضعها شريف، فلا تشغل نفسك بقصص وروايات مزيّفة، فشتّان ما بين الإثنين.

٧ـ ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ **[يوسف: ٤]**، لا تبخل على نفسك باستشارة أبيك؛ فإنّه قد يفتح لك آفاقاً مُغلقة.

٨- ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ * قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ **[يوسف: ٤ ـ ٥]**، لا تخبر أحداً عن رؤياك إلا لعالم، أو من تثق به، فهي قد تكون خيراً وتحسد عليه من عدوّك.

٩- ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ **[يوسف: ٥]**، أخفِ أسرارك ومميّزاتك عن الآخرين، لأنّه هناك نفوسٌ ضعيفة تحسد حتى الرؤيا، وأعلم أنّ طاقة الحسد تستيقظ لدى الأقربين ومن تربطك

بهم علاقة أكثر من غيرهم.

١٠ـ لا بأس أن يحذر الأخ من إخوته والقريب من قريبه إن علمت يقيناً أنّ فيه شراً.

١١ـ ﴿لَا تَقۡصُصۡ﴾ [**يوسف: ٥**]، لم يقل لا (**تقصّ**)، ففكّ الإدغام، كأنّه يرجع إلى التفاصيل. فلا توضح ولا تفصّل أمورك.

١٢- ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ﴾ [**يوسف: ٥**]، إذا كان ذلك من الأب الواحد على الإخوة فكيف بغيرهم؟.

١٣-﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [**يوسف:٦**]، الاصطفاء والتعليم من الله تعالى، فاذكر نِعَم ربّك عليك، واذكر فضله حتى لا تغتر بنفسك.

١٤ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [**يوسف: ٦**]، إعلم أنّه لا اجتباء بلا إبتلاء.

-١٥﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾ [**يوسف:٦**]، شكر النعم يجرّ إلى نِعم أخرى، كما قال: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [**ابراهيم: ٧**] ، فكن خير شاكر لأعظم مُنعِم.

١٦- ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [**يوسف: ٧**]، على الرغم من كل مكائد إخوة يوسف معه، لكنّ القرآن الكريم سمّاهم (**إخوة**)، فلا تجعل بعض المواقف مهما كانت مؤذية أن تنزع منك لباس الأخوّة.

١٧ـ ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ [**يوسف: ٨**]، صحيح أنّ قيمة المرء تظهر بأفعاله وخصاله فقد يفوق بها الجماعة، لكن

على الوالد أن يراعي ميله لمن كان أصلح أبنائه وأبرّهم، كي لا يتوهّم الباقون أنّه يكرههم ولا يحبّهم، كما حصل ذلك مع إخوة يوسف عليه السلام.

١٨ـ ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [**يوسف: ٨**]، خطّأوا والدهم، بحجّة أنّهم كثرة، فليس من الضرورة أنّ الحقّ مع الكثرة والغلبة، وكما قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [**البقرة: ٢٤٩**].

١٩- ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ [**يوسف: ٩**]، و﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ [**يوسف: ١٠**]، الخصومة وستائر الظلام تقع عادة عند أهل الظلم عندما يخطّطوا لجريمة وقد تكون هذه الخصومة فاضحة لهم أحياناً.

٢٠- ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [**يوسف: ٩**]، لم يعلموا أنّ الحبّ لا يُغادر مع الأجساد، فكم من حبّ تخلّد و ارتسم في القلب، على الرغم من مفارقة الأجساد.

٢١ـ ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [**يوسف: ٩**]، لأجل الانفراد أرادوا قتل أخيهم، فكم من مُحبّ قَتَل لأجل الانفراد وخصوصاً في زماننا هذا، وما نراه ونسمعه من قصص حب تنتهي بالجريمة.

٢٢-﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [**يوسف: ٩**]، الفساد الحالي لا يكون صلاحاً مستقبلياً، كما هو أسلوب الشيطان عندما يوسوس ويقول: اعمل المعصية، ثمّ تُب.

٢٣ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ [**يوسف: ١١**]، مهما أخفى الابن وساوسه، فهي مفضوحة لدى والديه، فإنّ نظراته غالباً ما تكون عندهم مكشوفة.

٢٤ـ ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: ١١]، استخدموا لفظة الأمن في الوقت الذي قرّروا فيه زعزعته، فدقّق بعبارات الآخرين؛ فإنّها قد تحوي شيئاً من أفكارهم، أو قد يُظهر الله تعالى خيط الخديعة على لسان المخادع نفسه.

٢٥ـ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ [يوسف: ١١]، وصفوا أنفسهم بالنصح، لكنّه ليس كل ناصح ناصحاً، فقد عبّرَ الشيطان عن نفسه بالناصح عندما وسوس لأبينا آدم عليه السلام وحواء: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الاعراف: ٢١].

٢٦-﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]، لا تحرم طفلك من اللعب، فلست أكرم من النبيّ يعقوب عليه السلام عندما وافق أن يرتع ويلعب، وابنك ليس بأكرم من يوسف عليه السلام حتى لا يلعب، كباقي أقرانه.

٢٧- ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ [يوسف: ١٣]، كم يحزن والدك عندما تفارقه، ويخاف عليك عندما تغيب عنه، فارفق بقلب أبيك، فإنّ المحبّ لا يرضى بفراق حبيبه.

٢٨ـ ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣]، لا تُهمل توقّعك الأوّل فقد يكون فيه شيء من الإلهام.

٢٩- ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣]، لا تعطِ للآخرين السيف الذي يغتالونك به، فقد تساعدهم أنت على مخطّطاتهم من حيث لا تشعر.

٣٠- ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٢ـ ١٤]، ليست كل الوعود يمكن تصديقها، فبعضها قد تكون خديعة.

٣١ـ ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [**يوسف: ١٥**]، الاتفاق والإجماع والمؤامرة على أهل الحقّ دأب وعمل أهل الباطل والشر، فإنّ رُفقاء السوء لا يفكّرون إلّا في مصالحهم عند اجتماعهم على الضلالة.

٣٢- ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ [**يوسف: ١٦**]، أصحاب الدموع الكاذبة، والمشاعر الزائفة يتربّصون الظلام؛ ليتستروا به من الأضواء الفاضحة، فليست كل الدموع صادقة.

٣٣- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ [**يوسف: ١٧**]، في الأمس أرادوه أن يرتع ويلعب، واليوم جعلوه حارساً لمتاعهم، وأصبحوا هم اللاعبين الراتعين.

٣٤- ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [**يوسف: ١٨**]، لعلّ تزوير الحقائق عادة اكتسبها الإنسان منذ القدم.

٣٥- ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ﴾ [**يوسف:١٩**]،لاتَستَهن بالأشخاص الذين تصادفهم في طريقك، فقد يكونوا أثمن مما تظنّ.

٣٦- ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [**يوسف: ٢٠**]، كانوا زاهدين فيه راغبين بالتخلّص منه بثمن قليل من الدراهم؛ لأنّهم لايعلمون منزلته عند الله، فكثيرة هي المواقف في الحياة، ونحن نسمع ونرى تخلّي البعض عن البعض الآخر لأسباب تافهة، حتى وصلت في بعض الأحيان داخل العائلة الواحدة.

٣٧- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ **[يوسف: ٢٢]**، إذا كان الأشُدّ هو الثلاثون عامّاً، أو الأربعون كما جاء في بعض كتب التفسير[١]، فكيف تصبر زليخا إلى أن يبلغ الأربعين وقد أشرف على الشيخوخة! فالأقرب من الأقوال ببلوغ الأشُدّ هو أنّ الإنسان يقف جسمه عن النمو، وقد يتحقق ذلك في السابعة عشر من عمره، أو لعلّه في العشرين، والله أعلم.

٣٨- ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ **[يوسف: ٢٣]**، عندما تراودك نفسك الأمّارة بالسوء وتغلق الأبواب على قلبك عليك بذكرالله، وأعلم أنّ الله لا يظلم، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ **[النحل: ١١٨]**. واذكر نعمه عليك: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ **[يوسف: ٢٣]**.

٣٩ـ ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ **[يوسف: ٢٣]**، فيه قولان[٢]: **الأوّل:** يعود الضمير **(إنّه)** على الله جلّ جلاله، فهو الذي آواه وأحسن مثواه.

والثاني: قد يعود الضمير على عزيز مصر الذي قد قال عندما اشتراه لامرأته: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ **[يوسف: ٢١]**.

وهنا قال يوسف: ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ **[يوسف: ٢٣]**، والأوّل أصحّ؛ لأنّ

---

(١) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١١، ص١٢٠-١٢١.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ص١٢٦.

يوسف موحّد ولا يرى شرك الوثنيّة، فليس ممن يتّخذ أرباباً من دون الله، كما أنّه ليس ممن يوحّد الله قولاً ويشرك به فعلاً بإعطاء استقلال لهذه الأسباب الظاهرة تؤثّر من دون إذن الله تعالى، فيكون المعنى: أنّ ربّه الذي يتولّى تدبير أمره.

٤٠- ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]،عندما تَهُمّ النفس بالمعصية قد يَهمّ القلب بها كذلك، لكن الله تعالى يصرف السوء عنك إن كان قلبك مخلصاً له: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

٤١- ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٢٦ـ ٢٧]، ذُكِرَ القميص في أوّل القصّة: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]، وفي وسط القصّة: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ [يوسف: ٢٨]، وفي آخر القصّة: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٣]، فالقميص الأوّل مُزّق افتراءً، والقميص الثاني مُزّق افتراءً أيضاً، ولكن القميص الثالث كان آية من آيات الله!!!.

٤٢ـ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠]، الفعل (قال) مذكر مع أنّ الفاعل (نسوة) مؤنث، فلعلّه تكون إشارة إلى أنّ القول في حينها كان يشمل الذكور والإناث، لكن النساء كُنَّ أكثر اهتماماً بهذا الموضوع، بدليل اجتماعهنّ وإصرارهنّ على رؤيته ومن ثم قَطّعنَّ أيديهنَّ، والله

أعلم.

٤٣- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، المستفاد من الآية أنّنا نلاحظ ذكاء امرأة العزيز باختيارها دليلاً ماديّاً لا يمكن إنكاره وهو أن تعطي سكّيناً لكل واحدة منهنَّ، فيسيل الدم، ليكون عذراً لها وإسكاتهنَّ.

٤٤- ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]. يَتبيّن من هذه القصّة كم كان ذلك الوسط منفلتاً، فهنَّ غير قادرات على أن يمنعنَ أنفسهنَّ مما وقعنَ فيه، وكان الأجدر بهنَّ أن يحتشمنَ؛ لأنهنّ من أشراف الناس، أو لأنهنّ في بيت العزيز وما يتمتّع به من سمعة وشرف أوصلته إلى أن يكون عزيزاً للملك، وقد يكون هذا الانفلات في الطبقة العالية فقط؛ لأنّه بطبيعة الحال لا تدعو السيدة امرأة العزيز، إلّا أقرانها من نساء الأكابر، وقد لا يكون بحسب عرفهم انفلاتاً أصلاً، والله أعلم.

٤٥- ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، إشارة إلى دعوة النساء الأُخريات له أيضاً، على الرغم من أنّ امرأة العزيز كانت هي الطالبة والآمرة، لكن يوسف عليه السلام استعاذ بالله وحبّب لنفسه السجن وطلبه هنا ﴿السِّجْنُ﴾ أفضل من فعل الفاحشة.

٤٦- ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، بمعنى: أنّ الله سبحانه قد سَمع قول يوسف عليه السلام وكشف عنه كيدهنَّ،

إذن: أنّ الله يسمع كل من يدعوه ويلتجئ إليه.

٤٧- ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ **[يوسف: ٣٥]**، لم يكن القرار من زليخا وحدها بأن يسجن، بل كان بلسان الجميع **(بدا لهم)**، ومن جهة أخرى جاء الضمير بالتذكير، ولم يقل: **(لهنّ)**، أو **(لها)** دلاله على أنّ الكيد كيد النساء، والحكم والقرار جاءَ من الرجال، وما أكثر هذه الحالة في مجتمعاتنا اليوم.

٤٨- ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ **[يوسف: ٣٥]**، السجن تارة لأمر حقير، وتارة أخرى لأمر شريف، فإن كان الثاني، فهو رفعة وعلاوة وينقلب مُنحة ومكانة، كما يُقبع الأولياء، كأمثال العلماء والمجاهدين في سجون الظلمة المعتدين.

٤٩- ﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ **[يوسف: ٣٧]**، قد يكون الطعام الذي أشار إليه النبيّ يوسف عليه السلام هو ما رآه السجينان في منامهما **(العنب والخبز)**، أي: أنبأكما قبل أن يتحوّل الرمز إلى حقيقة و واقعة.

٥٠- ﴿إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ **[يوسف: ٣٧]**، هنا أرجع يوسف عليه السلام علمه إلى ربّه سبحانه وهو ما عَلّمنا به النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّتنا الأطهار عليهم السلام بإيكال وإرجاع كل شيء إلى الله تعالى، فليستفد معبّرو الرؤيا من هذا الدرس.

٥١- ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ **[يوسف: ٣٩]**، خطاب رقيق بوصف النبيّ يوسف عليه السلام لهما بالصاحبين على الرغم من أنّه قيّد صحبتهما بالسجن

(**ياصاحبي السجن**)، فهي صحبة مكانية لا عقائدية.

٥٢ـ ﴿**مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ**﴾ [**يوسف: ٤٠**]، استعمل النبيّ يوسف عليه السلام ضمير الجمع على الرغم من أنّ خطابه كان موجّهاً للسجينين، وبذلك يشمل الكلام صاحبي الرؤيا على الخصوص والسجناء على العموم؛ لأنّ الجميع كانوا على غير الجادّة والصواب.

٥٣- ﴿**يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ**﴾ [**يوسف: ٤١**]، مرّة أخرى يخصّ السجينين بخطابه، فهذا فنّ الخطاب، وعلى الخطيب الاستفادة من هذا الدرس.

٥٤- ﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ**﴾ [**يوسف: ٤٢**]، يعود الضمير(**ك**) في (**ربّك**) و (**هـ**) في (**فأنساه**) و(**ربّه**) على السجين؛ والدليل: أنّ الساقي هو الذي نسيَ ما ذُكّر به في قوله: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ**﴾ [**يوسف: ٤٥**]، أي: تَذكّرَ بعد حين من الدهر، لا كما يثيرها البعض من شبهةٍ بأنّ النبيّ عليه السلام تعلّق بالأسباب وترك توكله والرضا بقضاء الله تعالى.

٥٥- ﴿**وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ**﴾ [**يوسف: ٤٣**]،هذا فضلٌ من الله تعالى على الرائي وهو الملك لما فيه مصلحة تخصّ الناس وإلّا لو كان شخصاً عادياً لما أُعير لها أيّ اهتمام.

٥٦ـ ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾ [يوسف: ٤٤]، وهذه مشكلة الملوك والرؤساء، فإنّ الملأ والحواشي إذا اقتربوا منهم وكانوا من أهل السوء فسيضلّلونهم ويعتّموا عليهم الحقائق، كما ضلّلوا الملك على الرغم أنّ الرؤيا أصبحت سبباً في نجاة البلد بأجمعه.

٥٧- ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]، استغلّ يوسف عليه السلام الفرصة؛ ليثبت براءته، ولم يستعجل في الخروج من السجن، فلو أسرع في ذلك لما نال المنزلة: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ [يوسف: ٥٤]، وهذه إشارة لنا؛ لكي لا نستعجل ولا نفوّت الفرصة المتاحة لنا.

٥٨ـ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦]، الصدّيق مبالغة في كثرة الصدق، لما رآه الساقي من يوسف عليه السلام في السجن وتأويل رؤياه والطعام، وفي صدق دعوته، لذا على الداعي، والخطيب أن يحذر الكذب أشد الحذر، أو كثرةُ التورية، لأنّه إن لم يكن صدّيقاً في عيون من يدعوهم، فلا يؤثّر كلامه فيهم شيئاً.

٥٩ـ ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ [يوسف: ٥٠]، من كمال خلق يوسف عليه السلام أنّه لم يقل: التي راودتني ويخصّص بذلك امرأة العزيز.

٦٠-﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١]، هذا قول امرأة العزيز وهو اعتراف بالحقيقة الذي هو أصعب الأشياء عند المتكبّرين، لكن يبدو أنّ السيدة زليخا آمنت بربّ يوسف لما رأته من خُلق يوسف عليه السلام.

٦١-﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، السائل كان الملك: ﴿مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾

[يوسف: ٥١]. فأجابت النسوة: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: ٥١]، فقالت امرأة العزيز: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]، والإشارة هنا إلى أنّ يوسف عليه السلام قد علِم أنّ النسوة سَيعترفنَ بما حصل وإلّا فمن المحتمل أن تبقى النسوة وامرأة العزيز على رأيهنّ الأوّل وإنكارهنّ، لذلك وردت أقوال عند المفسّرين[1] عن هذه الآية: ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾، هل هي من كلام امرأة العزيز أم من يوسف عليه السلام؟ ولكن الأقرب أنّها من امرأة العزيز بقرينة أنّها اعترفت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾، وكذلك لتُعلِم الملك والحاضرين أنّها لم ترتكب الخيانة: ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ﴾، بل دفعتها نفسها لارتكابها، ولم يقع شيء، ثمّ قالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]، فلا توجد مناسبة؛ ليكون القائل يوسف عليه السلام وقد بيّنت في لحظتها براءته، فلا داعي أن يُقال غير ذلك.

٦٢ـ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]، هذا دليل على أنّها أصبحت مؤمنة واعتبرت تصحيحها للواقعة سبباً للغفران والرحمة وكما ورد: «**المعترف بالذنب كمن لا ذنب عليه**»[2]. وتصحيح الخطأ هو أوّل خطوة في التوبة.

---

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١١، ص١٩٩.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٧٤.

٦٣ ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤]، إنّ من أهمّ المؤهّلات التي أهّلت يوسف عليه السلام لهذه المنزلة هي: التقوى، الصبر، الإحسان، الخُلق، الصدق، الدعوة، وغيرها.

٦٤ـ ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، يتّضح: أنّ الملك كان من أصحاب العقل؛ لأنّ الإنسان يُحكَم عليه من الكلام، والملك هنا لم يصدر الحكم حتّى أن كلّمه، لكنّ الكثير من المواقف في وقتنا الحاضر نرى إطلاق الحكم وترتيب الأثر من سماع كلام طرف واحد دون الاستماع إلى الآخر.

٦٥ـ ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، لما عزم الملك أن يجعله من المقرّبين كان طلب يوسف عليه السلام تقديم المصلحة العامّة، وخدمة الناس ولم يختر التسلط والمكانة التي أرادها الملك له باستخلاصه لنفسه. ومن هذا فلينتفع المؤمنون بتقديم المصلحة العامّة على المصلحة الشخصيّة.

٦٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ [يوسف: ٥٦]، ارتفاع شأن العبد هو من رحمة الله تعالى عليه بعد انتهاء بلاء الضّراء (السجن) ودخوله في ابتلاء السّراء، وهنا قليل من يثبُت؛ لأنّ الكثير من الناس قد لا يرى حال السرّاء بلاءاً.

٦٧-﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٣]، أنّ الارتباط المعنوي لا ينقطع وإن انقطع الارتباط المادي، فمهما كان الحبيب بعيداً عن حبيبه يبقى الشعور

والأحاسيس رابطاً بينهما وكأنّهما متقاربان، فيعقوب﵇ في بداية الأمر رفض اصطحاب أخيهم بنيامين معهم؛ لكنّه وافق بعدها وكأنّه شعر بأنّ عزيز مصر هو يوسف﵇ جرّاء ما شاع عن عزيز مصر من تأويل رؤيا الملك، وتنصيبه لهذا المنصب، والله أعلم.

٦٨ـ ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ **[يوسف: ٧٠]**، السقاية فقدت وهم من وضعوها فكيف نادى المؤذن **(إنّكم لسارقون)**؟ فقد يكون المؤذن اجتهد من نفسه وعَبّرَ عن الفقد بالسرقة وهي دلالة على تضخيم الأمور، أو أنّه لم يكن يعلم بوضعها، أو قد يكون تكلّم معهم بحقيقتهم الماضية عندما سرقوا يوسف﵇ من أبيه لا على حالتهم الراهنة بفقد السقاية.

٦٩- ﴿ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا ۞ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ **[يوسف:٧١ـ ٧٢]**، لم يقل إخوة يوسف﵇: ماذا سرقنا! بل قالوا: ماذا تفقدون؟ فجاء الجواب متناسباً: نفقد صواع الملك.

٧٠- ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ **[يوسف: ٧٩]**، هنا الكلام من يوسف﵇ لأنّه لم يقل: من سَرَقَ، بل قال: من وجدنا، أو لعلّ الكلام من أحد جنود يوسف؛ لكنّه يتكلّم باسم يوسف﵇.

٧١- ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ **[يوسف: ٧٦]**، هذا دليل على أنّ يوسف﵇ كان حاضراً؛ لأنّ القرآن عَبَّر **(فبدأ)**، وكذلك **(قال معاذ الله)** و **(أنا به زعيم)**، المقصود منها يوسف﵇ لا على أحد جنود يوسف﵇، وكذلك أنّ الخاطرة التي

حضرت ليوسف عليه السلام عبّرَ عنها القرآن الكريم ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦]، وهي: أنّ السارق في شريعة الإخوة يتحوّل إلى دين الملك، وكذلك حضور يوسف عليه السلام ضروري؛ ليتيقّن بنفسه من تفتيش رحلِهم؛ لأنّ الإنكار والكذب وارد من الإخوة، كما قالوا في سياق الآية عن أخيهم: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧] حيث ردّ عليهم يوسف عليه السلام ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧].

٧٢ـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ٨٣]، التسويل بمعنى: الوسوسة، أي: وسوست لكم أنفسكم أمراً، وهنا قد أثار البعض شبهة: أنّه كيف يكون النبيّ معصوماً ويتّهم أبناءه بالكيد قبل أن تثبت عنده الحقيقة، فلعلّ مراد يعقوب النبيّ عليه السلام: أنّ أنفسكم صوّرت لكم أنّ بنيامين سارق وما هو بسارق بدليل أنّه لم يعاقبهم، أو يأخذهم بظنه؛ لأنّ الظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً.

٧٣ـ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، سأصبر على ما أصابني فإنّ الصبر جميلٌ، وهذا شعار الصالحين، نعم؛ إنّهم يحزنون؛ لكنّهم على الله يتوكلون.

٧٤- ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، لعلّ النبيّ يعقوب عليه السلام كان مُرجّحاً أنّ عزيز مصر هو ابنه يوسف عليه السلام؛ لأنّه كان عارفاً بالطريقة التي أُخذ فيها أخوه بنيامين، فهي لابدّ من تدبير من

كان عارفاً على شريعة يعقوب عليه السلام، وهنا يعطينا باعث أمل، فكلمة (تحسّسوا) يُستفاد منها العمل بكلّ الحواس، فاقتران الأمل بالعمل عكس اقتران اليأس بالكسل.

٧٥- ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ ﴾ [يوسف: ٦٧]، درس نتعلّمه من النبيّ يعقوب عليه السلام عندما خاف على أولاده من أن يراهم الناس فتصيبهم عين فتنالهم التفرقة بدل جمعهم، لذلك علينا أن نراعي ذلك عندما نخرج مع جميع أبنائنا، أو أَخوتنا قاصدين مكاناً ما.

٧٦- ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ ﴾ [يوسف: ٦٧]، ليس من شأن يعقوب عليه السلام ولا شأن أحدٍ أن يكون له الأمر ولا دافع لقضاء الله تعالى غير الله تعالى.

٧٧- ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ [يوسف: ٨٨]، انكسار واسترحام مع الشكوى واضح من إخوة يوسف عليه السلام كذلك مع طلب التصدّق، وما أجمل هذه الكلمات أن نقولها عند دعائنا لله عزّ وجلّ ونقول له: قد جئناك ببضاعة مزجاة، أي: لا تليق، لكن الشدّة بلغت غايتها، فتصدّق علينا وأنت خير المتصدّقين.

٧٨- ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ [يوسف: ٩٠]، قالوا هذا وانتظروا الجواب إلى أن قال يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ﴾ [يوسف: ٩٠]، بمعنى: إذا اجتمعت عندك شواهد وقرائن على شيء فلا تقطع به، فهي تُقرّب القطع ولم تصل له.

٧٩- ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ [يوسف: ٩٢]، التثريب هو اللّوم،

لاحظوا كلمات الأدب بعد أن أقرَّ الإخوة بخطأهم، وتبيّنت لهم إرادة الله سبحانه هي الغالبة، فعفى عنهم يوسف عليه السلام ولم يؤاخذهم حتى بالتثريب الذي هو أدنى درجة قد تصدر في مثل هذه المواقف.

٨٠- ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [**يوسف: ٩٣**]، القميص الأوّل: ﴿وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [**يوسف: ١٨**] ، جلب إلى يعقوب البلاء.

وأمّا القميص الثاني، ففيه شفاء، والفرق بموقف الإخوة أنّهم جاءوا بالقميص الأوّل معزّين وبالثاني مهنئين.

٨١-﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [**يوسف: ٩٣**]، معجزة القميص الخارقة لا تختلف عن نار إبراهيم عليه السلام، ولا عن عصى موسى عليه السلام، ولا كلام عيسى عليه السلام في المهد، فهؤلاء أنبياء عليهم السلام ويوسف عليه السلام وأبوه كذلك من الأنبياء، فلا عجب ولا استغراب أن تكون معجزته قميصاً، وكان فيه الشفاء.

٨٢- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [**يوسف: ٩٧ ـ ٩٨**]، لم يستغفر لهم مباشرة، فلعلّه أجّل ذلك إلى السَحر، كما يقول المفسّرون، أو أنّه قد أجّله لكي يصفح عنهم يوسف عليه السلام؛ لأنّ كليهما (**يعقوب ويوسف**) عليهما السلام كانا أصحاب حقّ فيما فعله الأبناء.

٨٣ ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ [**يوسف: ٩٩**]، إذا كنت في سفر، أو لأمرٍ، وطال غيابك عن أهلك مما أدّى إلى امتداد حزنهم

عليك، ثمّ مَنَّ الله باللقاء وكان من بين الملاقين أبواك، فعليك أن تبدأ الترحيب بهم أولاً، وضمّهم إليك كما فَعَلَ يوسف عليه السلام وهذا هو أدب الأنبياء عليهم السلام.

٨٤- ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [**يوسف**: ١٠٠]، قد يُبتلى الإنسان بالضّراء فعليه أن يصبر، وإن ابتلاه بالسرّاء فعليه أن يشكر، فهذا يوسف عليه السلام بدأ بذكر إحسان ربه في إخراجه من السجن، ثمّ ذَكَرَ نعمة لقائه بأهله ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [**يوسف**: ١٠٠].

٨٥- ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [**يوسف**: ١٠٠]، بعد الصلح والمؤاخاة لا تَذكُر سلبيّات من أساء إليك، فهذا يوسف عليه السلام لم ينسب الفعل لإخوته.

٨٦- ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [**يوسف**: ١٠٠]، اللطيف من أسماء الله تعالى، ومعناه الرفق بكل ما يُحيط الإنسان من بلايا فيجعل عوامل الشدّة رخاء وراحة.

٨٧- ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [**يوسف**: ١٠١]، درس نتعلّم منه أدب الخطاب والإلقاء، فبعد أن تحدّث يوسف عليه السلام بنعَم الله عليه توجّه إليه شاكراً منقطعاً مخاطباً ربّه بعد أن ترك مخاطبة أبيه.

٨٨- ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [**يوسف**: ١٠١]، أنا تحت ولايتك يا ربي ولا أملك لنفسي شيئاً.

٨٩- ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [**يوسف**: ١٠١]، نهاية الخطاب

يختم بالدعاء فبعد أن شكَرَ وحمَدَ، ثم شَهدَ بولاية الله تعالى ختم كلامه بالسؤال والطلب وهو سؤال الإسلام في الدنيا، والدخول في زمرة الصالحين في الآخرة.

٩٠- ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، قصّة يوسف عليه السلام بهذا التفصيل هو وحي من الله تعالى لنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله، لتدل على صدق نبوته؛ لأنّه لم يكن حاضراً عند إخوة يوسف عليه السلام وشاهدهم وهم يمكرون، ولم يسمعها من أحدٍ.

٩١- ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، بيان واضح من الله عزّ اسمه أنّ الأكثر من الناس منجذبون للدنيا وزينتها على الرغم من حرص النبيّ صلى الله عليه وآله على أن يكونوا مؤمنين.

٩٢- ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، هناك آيات كثيرة سماوية، وأرضية تدل على نظام الخالق البديع الذي يستدعي توحيده بالتوحيد الخالص والذي دعا إليه نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله والحال أنّ أكثرهم معرضون.

٩٣- ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، أي: أنّ أكثر الناس يقرّون بوجود الخالق ولكنّهم يجعلون له شريكاً، والمراد هنا بالشرك: هو الشرك الخفيّ، كالتعلّق بالأسباب، ونحوها.

٩٤- ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ * أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦-١٠٧]، تهديد في حال تعلّق القلوب بالله وبغيره، كمن يطلب العزّة من

الله وبنفس الوقت يطلبها من غيره رغم أنّه يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، وتراه مضطرباً، كالذي يطرق كل باب طالباً للرزق وقد ضمنه له الله تعالى.

٩٥- ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، السبيل بمعنى: الطريق وكلاهما يُذكّر ويُؤنّث، فنقول: هذا سبيلي، أو هذه سبيلي.

٩٦- ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، أتباعُ الأنبياء كالأنبياء في الدعوة، يدعون إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وإقامة الحقّ والعدل وذلك بالحكمة والموعِظة الحسنة.

٩٧- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠]، الاستيئاس بمعنى: الاقتراب من اليأس، فيُعَدّ يأساً عرفاً وليس باليأس حقيقة.

٩٨- ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، الضمير في قصصهم يعود للأنبياء، ومنهم يوسف عليه السلام صاحبُ القصّةِ في السّورة، وفيها عِبرة لأصحاب العقول، والعِبرة بمعنى العبور فالاعتبار يوصلك إلى برّ الأمان.

٩٩ - ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف:١١١]، إنّ كلّ ما جاء في القرآن ومنه قصّة يوسف عليه السلام هو حقّ وصدق، فهي هدىً لمن يطلب الهداية والرّحمة لمن يعمل بها.

١٠٠-﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف:١١١]، التفصيل والبيان في كل شيء، فمن أراد معرفة كلّ شيء عليه أن يذهب ويرجع إلى القرآن الكريم.

خاتمة الكتاب

أنّ من يواظب على قراءة القرآن بتدبّر، كما بيّنا، ستؤدّي به إلى حياة ملؤها النور والهداية، وتمنحه قوّة في إرادته، وصحّة في نفسه، وعلواً في همّته، وهذه هي مرتكزات النجاح الحقيقي.

ومن يُعرِض عن تدبّر القرآن، واقتصرت همّته على معرفة ألفاظه وتراكيبه اللغوية، فلن يصل إلى كنوزه الخفيّة، وحقائقه السنيّة، بل يبقى عند الخطوة الأولى من مراحل عدم هجران القرآن، فلا تؤدّي به إلى التوجّه نحو فهم قرآني متين بتطبيق آياته على واقعه المعاش والتحصّن بها والامتثال لها.

فنسأل الله تعالى أن يتقبّل هذا الجهد بقبولٍ حسن، ويجعله لنا مُنجياً يوم الحساب، يوم لاينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم، ويجعله ذخراً يوم نلقاه، وأن يوفّقنا لتقديم الأجزاء اللاحقة ضمن مشروع (معاً لنتدبّر القرآن) ويكتُبنا من خَدَمَة كتابه الكريم، إنّه سميعٌ مُجيب. آمين رب العالمين.

أركان الخزعلي

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

[التوبة: ١١٥]

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، الناشر:دار سيد الشهداء ، ط١، قم ـ ايران، ١٤٠٥ ق.
٣. ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، الناشر: نشر جهان، ط١، طهران ـ ايران، ١٣٧٨ ق.
٤. ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، الناشر: إسلاميه، ط٢، طهران ـ ايران، ١٣٩٥ ق.
٥. ابن شعبه الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول، الناشر: جامعه مدرسين، ط٢، قم ـ ايران، ١٤٠٤ ق ، ١٣٦٣ ش.
٦. ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، الناشر: دار الذخائر، ط١، قم ـ ايران، ١٤١١ ق.
٧. ابن فهد الحلي، أحمد بن محمد، عدة الداعي ونجاح الساعي، الناشر: دار الكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧ ق.
٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ دار صادر، ط٣، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ
٩. الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، قم ـ ايران، ١٤١٠ ق
١٠. البحراني، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسّسه بعثت، ط١، قم ـ ايران، ١٣٧٤ ش.

١١. البحراني، سيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٧هـ

١٢. البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، الناشر: دار الكتب الإسلامية، قم ـ ايران، ١٣٧١ ق.

١٣. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم ـ ايران، ١٤٠٩ ق.

١٤. الحسن، طلال، من الخلق إلى الحق، أبحاث السيد كمال الحيدري، دار فراقد، قم – ايران، ط١، ١٤٢٦هـ

١٥. الحيدري، كمال، منطق فهم القرآن، الناشر: دار فراقد، ط١، قم ـ ايران، ١٤٣٣ ق ـ ٢٠١٢ م.

١٦. الخصيبي، حسين بن حمدان، الهداية الكبرى، الناشر: البلاغ، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩ ق.

١٧. الخميني، روح الله، مصباح الهداية والولاية، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٧هـ

١٨. زبيدي، محبّ الدين، محمد مرتضى حسين، تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ

١٩. الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، الناشر: دار التراث، ط٣، ١٤٠٤هـ

٢٠. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، منية المريد، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، قم ـ ايران، ١٤٠٩ ق.

٢١. الشيرازي، محمد، الحكمة المتعالية، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٤.

٢٢. الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر: مدرسة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، ط١، قم ـ ايران، ١٤٢٦ ق ، ١٣٨٤ ش.

٢٣. صدر الدين الشيرازي، محمد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، الناشر: مؤسسه

مطالعات وتحقيقات فرهنگی، ط ١، طهران ـ ايران، ١٣٨٣ ش.
٢٤. الصدر، محمد صادق، فقه الأخلاق، الناشر: دار ومكتبة البصائر، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٣ ق ، ٢٠١٢ م.
٢٥. الصدر، محمد صادق، منّة المنّان في تفسير القرآن، الناشر: دار الاضواء، ط ١، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٣ ق ـ ٢٠٠٢ م.
٢٦. الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي عجل الله فرجه تاريخ الغيبة الصغرى، الناشر: دار مكتبة البصائر، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٢هـ
٢٧. الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار، الناشر: دفتر الانتشارات الإسلامية التابعة لجامعة المدرسين للحوزة العلمية، قم ـ ايران، ١٤٠٣ ق.
٢٨. الصفار، محمد بن حسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليهم، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط ٢، قم ـ ايران، ١٤٠٤ ق.
٢٩. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة دار المجتبى، قم ـ ايران ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.
٣٠. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسسة الأعلمي، ط ١.
٣١. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: دفتر الانتشارات الإسلامية التابعة لجامعة المدرسين للحوزة العلمية، قم، ط ٥، قم ـ ايران، ١٤١٧ق.
٣٢. الطبرسي، علي بن حسن، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الناشر: المكتبة الحيدرية، ط ٢، النجف ـ العراق، ١٣٨٥ ق ، ١٩٦٥ م ، ١٣٤٤ش.
٣٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، الناشر: دار المرتضى، ط ١، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٧ ق ، ٢٠٠٦ م.
٣٤. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، الناشر: ناصر خسرو، ط ٣، طهران ـ ايران، ١٣٧٢ ش.
٣٥. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة، ط ١، بيروت ـ لبنان، ١٤١١ ق.

٣٦. العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي، الناشر: المطبعة العلمية، ط١، طهران ـ ايران، ١٣٨٠ق.

٣٧. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٣٨. الفتال النيشابوري، محمد بن أحمد، روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين، الناشر: انتشارات رضى، ط١ قم ـ ايران، ١٣٧٥ ش.

٣٩. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الطبعة الأميرية، ط٣.

٤٠. الفيض الكاشاني، محمد محسن، تفسير الصافي، الناشر: مكتبه الصدر، طهران ـ ايران، ١٤١٥ ق

٤١. الكاشاني، عبد الرزاق بن جلال الدين، اصطلاحات الصوفية، الناشر: مؤسسة انتشارات حكمت، ط١، طهران ـ ايران، ١٤٢٣هـ

٤٢. الكفعمي، إبراهيم بن على، المصباح للكفعمي(جنة الأمان الواقية)، الناشر: دار الرضي(زاهدي)، ١٤٠٥ ق.

٤٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ط٤، طهران ـ ايران، ١٤٠٧ق.

٤٤. المازندراني، محمد صالح بن أحمد، الكافي ـ الأصول والروضة، الناشر: المكتبة الإسلامية، ط١، طهران ـ ايران، ١٣٨٢ ق.

٤٥. المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة، ط٢، ١٤٠٤ هـ

٤٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣ ق

٤٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة النشر والطبع، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤١٠هـ

٤٨. مجموعة مؤلّفين، معجم الوسيط، الناشر: مجمع اللغة العربية.

٤٩. المسعودي، علي بن حسين، إثبات الوصية، الناشر: انصاريان، ط٣، قم ـ ايران،

١٣٨٤ ش ، ١٤٢٦ ق.

٥٠. المعرفة، محمد هادي، التأويل في مختلف المذاهب والآراء، ط١، الناشر: المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب، مكتبة نكار، ايران ـ طهران ، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.

٥١. المعرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، الناشر: ذوي القربى، ط٣، قم ـ ايران، ١٤٣٢هـ

٥٢. مغنيّة محمد جواد، تفسير الكاشف، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ط١، طهران ـ ايران، ١٤٢٤ هـ

٥٣. المفيد، محمد بن محمد، كتاب المزار ـ مناسك المزار(للمفيد)، الناشر: المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ مفيد رحمه الله، ط١، قم ـ ايران، ١٤١٣ ق.

٥٤. منسوب إلى الإمام جعفر بن محمد عليه السلام، مصباح الشريعة، الناشر: الأعلمي، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٠ ق.

٥٥. النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، الناشر: دار المرتضى، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٧هـ

٥٦. النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط١، قم ـ ايران، ١٤٠٨ ق.

٥٧. النيشابوري، أبو القاسم عبد الكريم، لطائف الإشارات في تفسير القرآن، الناشر: مركز نشر التراث المخطوط، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٥٨. الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي، الناشر: الهادي، ط١، قم ـ ايران، ١٤٠٥ق.

٥٩. اليزدي، الحائري، الشيخ علي، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب، الناشر: الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ

٦٠. فراهيدي، خليل بن أحمد،كتاب العين، الناشر: الهجرة، ايران– قم، ط٢، ١٤٠٩هـ

٦١. جوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح، الناشر: دار العلم، لبنان–بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ

٦٢. الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، الناشر: دار العلم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ

٦٣. الخميني،روح الله، الآداب المعنوية للصلاة، الناشر: مؤسسة الأعلمي،ط٢، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ

٦٤. د.خالد عبد الكريم، مفاتح تدبّر القرآن والنجاح في الحياة، الناشر: مكتبة الملك فهد، ط٢، الرياض- السعودية، ١٤٢٨هـ

٦٥. العيّاشي، محمد بن مسعود، تفسير العيّاشي،الناشر: المطبعة العلمية، ايران-طهران، ط١، ١٣٨٠هـ

٦٦. الشعيري، محمد بن محمد، جامع الأخبار، الناشر: المطبعة الحيدرية، العراق- نجف، ط١.

٦٧. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، الناشر: أنوار الهدى، ط٨ ١٤٠١هـ

٦٨. المعرفة، محمد هادي، التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، الناشر: الجامعة الرضوية، ط٢، ١٣٨٣ش.

٦٩. الرضائي الإصفهاني، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، الناشر: مركز المصطفى، ط٢، ايران- قم، ١٣٨٩ش.

٧٠. العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، الناشر: دار النفائس، ط٢، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ

٧١. الهاشمي، ميرزا حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،الناشر: المكتبة الإسلامية، ط٤، ايران- طهران، ١٤٠٠هـ

٧٢. النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الناشر: مؤسسة آل البيت، ايران-قم، ط١، ١٤٠٨هـ

٧٣. علم الهدى، علي بن حسين، أمالي المرتضى، الناشر: دار الفكر، مصر- القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٧٤. الطبري، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: ناصر خسرو، ايران-

طهران، ط١، ١٣٦٤ش.

٧٥. العمر، ناصر بن سليمان، تدبّر سورة الكهف، الناشر: مؤسسة ديوان المسلم، ط٢، الرياض، ١٤٣٥هـ.

٧٦. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، الناشر: الإعلام الإسلامي، ط١، قم – ايران، ١٤٠٤ق.

٧٧. صاحب بن عباد، المحيط في اللغة، الناشر: عالم الكتاب، ط١، بيروت- لبنان، ١٤١٤ق.

٧٨. الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، الناشر: دار صادر، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٧٩م.

٧٩. القزويني، للملا خليل، الشافي في شرح الكافي، الناشر: دار الحديث، ط١، ايران، قم ١٤٢٩ق.

٨٠. الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي، الناشر: مكتبة أمير المؤمنين، ايران- اصفهان، ط١، ١٤٠٦هـ.

٨١. هويدي، محمد، التفسير المعين، الناشر: ذوي القربى، ط٦، قم ـ ايران، ١٤٣٢ ق، ١٣٩٠ ش.

٨٢. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، الناشر: دار الكتاب، ط ٣، قم ـ ايران، ١٤٠٤ ق.

٨٣. دستغيب، عبد الحسين، الذنوب الكبيرة، الناشر: الدار الإسلامية، ط ٤، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٧ ق ، ٢٠٠٦ م.

٨٤. الشيرازي، محمد رضا، التدبّر في القرآن، الناشر: دار العلوم، ط٣، ١٤٣١هـ.

٨٥. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، الناشر: جامعة المدرسين، ط١، قم ـ ايران، ١٣٩٨ق.

٨٦. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، الناشر: العتبة الكاظمية المقدسة، ط١ ،١٤٣٤ق.

٨٧. موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، تفسير سورة الكهف،

http://www.nabulsi.com/blue/ar/sss_cat.php?id=٩٧&sid=١٠١&ssid=٢٧٧&sssid=٢٧٨

٨٨. منتدى الدرر السنية، مقالة عروس القرآن، سورة الكهف
https://akhawat.islamway.net/forum/index.php?showtopic=٣٢٩٩١٣

٨٩. موقع إسلاميات، مقالة الدكتور عويض العطوي، سورة الكهف،
http://islamiyyat.٣abber.com/post/١٨٥٥٩٥

٩٠. موقع طريق الإسلام، مقالة منقولة من كتاب ناصر بن سليمان، تدبّر سورة الكهف،
https://ar.islamway.net/article/٦١٤٤٤

٩١. موقع إسلاميات، مقالة الدكتور زيد عمر العيص، فوائد من آيات سورة الكهف،
http://islamiyyat.٣abber.com/post/٢١٧٧٦٩

٩٢. مدونة الصفطاوي، مقالة منقولة عن محمد السريع، فوائد تدبّرية في سورة الكهف،
http://alsaftawy.blogspot.co.uk/٢٠١٣/٠١/٩٩

٩٣. موقع ملتقى أهل الحديث، دروس الشيخ ناصر العمر، تفسير سورة يوسف،
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-

٩٤. موقع أهل التفسير، مقالة الشيخ محمد صالح، ١٠٠ فائدة من سورة يوسف،
s١/#.WUrmXGjyu٣٢٤٠https://vb.tafsir.net/tafsir

٩٥. موقع نداء الإيمان، من كتاب الحاوي في تفسير القرآن، عبد الرحمن القماش،
s١/#.WUrmXGjyu٣٢٤٠https://vb.tafsir.net/tafsir

❊❊❊

المحتويات

المحتويات

كلمة الناشر ٧
الإهداء ٩
الشكر والتقدير ١٠
كلمة الشيخ الدكتور طلال الحسن (دام توفيقه) ١١
تقريض الشيخ ضياء بلاسم المنصوري (دام توفيقه) ١٣
المقدمة ١٥
التمهيد ٢١
تقسيمات البحث ٢٣
بيان مفهوم التدبّر ٢٩
موضوع التدبّر ٣٦
هل يشمل التدبّر الآيات الكونية؟ ٣٨
هل يشمل التدبّر الأحاديث و الروايات؟ ٤٠
الخلاصة ٤١
الثمرة من التدبّر ٤٢
الفصل الأول: الجانب النظري في التدبّر ٤٣
المبحث الأول: الجانب النظري في التدبّر ٤٥
المسألة الأولى: ضوابط التدبّر ٤٧
المسألة الثانية: الفرق بين التدبّر و التفسير و التأويل و الاستنباط ٥١
أوّلاً: الفرق بين التدبّر و التفسير ٥١
ثانياً: الفرق بين التدبّر و التأويل ٥٢
ثالثاً: الفرق بين التدبّر و الاستنباط ٥٥
المسألة الثالثة: آداب المتدبّر ٥٦
المسألة الرابعة: علامات المتدبّر ٥٨
المسألة الخامسة: مراتب التدبّر ٦٠

المسألة السادسة:الإشكالات المتوقّعة على مفهوم التدبّر ٦١
المبحث الثاني: نماذج من التدبّر ٧٩
نماذج من التدبّر الظاهري ٨١
نماذج من التدبّر الباطني ٨٤
المحصلة من النموذجين في التدبّر الباطني: ٨٧
المبحث الثالث: منهجنا في التطبيق ٨٩
سبب بدايتنا في التدبّر من سورتي الكهف ويوسف عليهما السلام: ٩٤
كلمة أخيرة: ٩٦
الفصل الثاني الجانب التطبيقي في التدبّر ٩٧
المبحث الأول: التدبّر التطبيقي في سورة الكهف ٩٩
المحور الأوّل سورة الكهف ومعاني مفرداتها ١٠١
فواتح السورة المباركة: ١٠٣
قصة أصحاب الكهف ١٠٤
الآيات التي أعقبت القصّة ١٠٧
قصة صاحب الجنّتين ١٠٨
الآيات التي أعقبت القصّة ١٠٩
قصّة موسى والخضر عليهما السلام ١١١
قصّة ذي القرنين ١١٤
خاتمة السّورة ١١٦
المحور الثاني: الأطروحات في سورة الكهف ١١٧
الأطروحة الأولى في سورة الكهف ١١٩
القصّة الأولى: قصّة أصحاب الكهف (فتنة الدِّين) ١٢١
القصّة الثانية: قصّة صاحب الجنّتين (فتنة المال والولد) ١٢٣
القصّة الثالثة: قصّة موسى مع الخضر عليهما السلام (فتنة العلم) ١٢٥
القصّة الرابعة: قصّة ذي القرنين (فتنة القوة، والسلطة) ١٢٦

الملخص: ١٢٩
الأطروحة الثانية في سورة الكهف ١٣١
الطريق الأوّل: التغيير المكاني في القصّة ١٣١
الطريق الثاني: التغيير المعنوي في القصّة ١٣٢
التغيير المعنوي المستفاد من التغيير المكاني ١٣٥
الملخّص: ١٣٩
الأطروحة الثالثة في سورة الكهف ١٤١
ترتيب و تسلسل القصص ١٤١
الغرض من نزول السّورة ١٤٥
المحصّلة من الطريقين: ١٤٧
السفر الأوّل: قصّة أصحاب الكهف ١٤٧
السفر الثاني: قصّة موسى والخضر عليهما السلام ١٤٨
السفر الثالث: قصّة ذي القرنين ١٤٩
الملخّص: ١٥٠
المحور الثالث فوائد تدبّرية عامّة في سورة الكهف ١٥٣
الجهة الأولى: فوائد عامة ١٥٥
الجهة الثانية: فوائد في فواتح السورة و علاقتها بما قبلها و بعدها ١٥٧
الجهة الثالثة: فوائد في قصّة أصحاب الكهف ١٦٠
الجهة الرابعة: فوائد في قصّة صاحب الجنّتين ١٧١
للشرك مراتب كما للتوحيد مراتب : ١٧٢
الجهة الخامسة: فوائد في قصّة موسى و الخضر عليهما السلام ١٧٧
الجهة السادسة: فوائد في قصّة ذي القرنين ١٨٤
المبحث الثاني التدبّر التطبيقي في سورة يوسف ١٩٣
المحور الأوّل سورة يوسف ومعاني مفرداتها ١٩٥
المحور الثاني الأطروحات في سورة يوسف ٢١٣

الأطروحة الأولى في سورة يوسف عليه السلام ٢١٥
سبب اختيارنا لقصّة السيدة زليخا ٢١٥
الآيات الخاصّة بالسيدة زليخا: ٢١٧
الشهوة و أسرها: ٢١٧
التكبّر منبع الخطيئة: ٢١٨
الإصرار على الذنب: ٢٢٠
المكر والكيد والخداع: ٢٢١
الهَمّ بالمعصية: ٢٢٣
الاعتراف بالذنب: ٢٢٦
الخطوة الأولى نحو التوبة: ٢٢٨
ما بين التوبة وحسن الخاتمة: ٢٣٠
حسن الخاتمة ٢٣٤
أهمّ الأمور التي تساعد على ثبات المؤمن: ٢٣٥
الملخص: ٢٣٧
الأطروحة الثانية في سورة يوسف عليه السلام ٢٣٩
الروايات الواردة في المقام ٢٣٩
البشارة و التمكين ٢٤١
الغَيبة: ٢٤٣
عدم معرفة الإمام في زمن الغَيبة: ٢٤٨
دور الإمام و تأثيره في زمن الغَيبة ٢٤٨
الملخّص: ٢٥١
المحور الثالث فوائد تدبّرية عامّة في سورة يوسف عليه السلام ٢٥٣
خاتمة الكتاب ٢٧٦
المصادر والمراجع ٢٧٩
المحتويات ٢٨٩